الذبابة الفاتنة

(غادة جمال الحجازي)

تخبرنا الفيزياء إننا مهما حاولنا امساك الأشياء فإنها تطفو؛ فتنافر الشحنات بين الأجسام يمنحها استحالة التلامس.....

العالم لا يمنح شيئاً للامتلاك أبداً ؛لذا يجب على الجميع مُحَاوَلة الاستمتاع بالأشياء في أماكنها و على طُرقها الخاصة ...

الإيمان هو المعجزة الحقيقية التي يركع الخيال أمامها مُتَعَجّبَاً و الحلم عاجزاً...

تحترق الشمس ببطءٍ شديد بين جنة العريف بقصر الحمراء و المدينة الجديدة التي أنشأها الأسبان حول القصر، و لابد أن الشمس تضحك من الظنون التي تنقلب على أصحابها؛ فكما كان السبب في إنشاء قصر الحمراء هو مراقبة مدى فراغ تلك المنطقة التي أُنشِئت فيها المدينة كان أيضاً السبب في إنشاء تلك المدينة هو النكاية بآخر معاقل المسلمين في أسبانيا و الشماتة في خروجهم و النصر بتعمير أراضيهم التي احتارت الشمس لمن تنسبها.. أللمسلمين الذين كانوا فيها أم للأسبان الذين عمروها و في الحقيقة لم تركِّز الشمس كل تركيزها في الفصل بتلك القضية بالتحديد؛فهي ليست الأولى من نوعها؛فقد عاصرت و لازلت تعاصر قضايا من هذا النوع منذ بدءِ التفاعُل الذي كوّنها و لذا صبت طاقتها بكسلٍ على الجميع دون انحيازٍ و لم تكترث لدواخل هؤلاء الخلق المتجوّلين في أنحاء قصر الحمراء بملحقاته و جنة العريف؛ فمن المؤكد إنهم مهما أختلفوا و تنوَّعوا فلن يتجاوز تقسيمهم الفريقين ؛أحدهما نادم على خروجه من تلك الجنة يرثي فقدان الفردوس المفقود ــكما دعاهاــ و الفريق الآخر يستنكر ندم الفريق الأول ؛إذ أنه يرى إنه ليس من حق الفريق الأول دعوة أرضه أصلاً التي استرجعها (بفردوسه المفقود) و يصرُّ على أن حتى العمارة عمارته؛ فإن انتهى حكم المسلمين فلا يعني إن معيشة العرب البناة و أسلافهم قد اجتُثَّت بسلالتهم، ربما هم أحفاد هجين العرب و الأسبان ؛ فبحكم إقامتهم في المكان فمن المؤكد إن جدودهم أيضاً هم البناة بشكل ما و بالنهاية الفريقين يشاهدون و يلتقطون الصور و يضحكون ، يفزعون و يتأملون و لكنهم عاجزين عن شيء وحيد و هو أخذ تلك الأرض في جيوبهم ؛فبالنهاية الأرض لله.

و بين الفريقين تتجول (نينا)غير عابئةً بالقصر و لا هندسته و لا زخارفه و لا زواره و لا مُلاّكه،و لا حتى بتلك المرأة التي توبّخ طفلها و هو يركض بعيداً عنها ؛ليلحق بأطفال رحلة مدرسية تقودها امرأة سمينة ترتدي عقداً يخنق رقبتها الممتلئة ..

فقط كانت (نينا)عابئة بتنفيذِ خطتها بجمع أكبر عدد من الصور لها في قصر الحمراء ؛ليمنحها والدها مقراب النجوم الذي أرادته؛ كانت (نينا)فتاة مُدللَّة لعائلة مصرية مُهاجِرة منذ زمن إلى

اسبانيا لتتطبَّع العائلة بطباعٍ اسبانية كاملة عدا إنهم لا يزالون يحفظون بعض الكلمات باللهجة المصرية إلى جوار لهجتهم الاسبانية الأساسية و كانت(نينا) مدللتهم تهوى جمع الأشياء التي تخطر ببالها ثم تضجر منها حالما تتملّكها،تغمض عينيها و تدير دائرة الحظ في بالها لتختر أي شيء يخطر على بالها بالمعنى الحرفي للكلمة مما كان يؤدي إلى اقتنائها أشياء عجيبة لافائدة منها و لا حتى رجاء لها ،و كان من أبرز الأشياء العجيبة التى اشترتها أن اشترت يوماً بدلة غوص و فستان الأميرة و الأقزام السبعة و اشترت دراجة نارية وردية اللون رغم إنها تمتلك سيارة قرمزية و اشترت سمكة قرش و كان آخر حماقة شرائية لها شبل صغير أثار الذعر في منزلهم بسبب إهمالها لإطعامه ؛فهي فقط تشتري ثم تزهد ما اشترته لحين لماع فكرة شرائية أخرى في رأسها ، و كان والدها يستمتع بتنفيذ رغباتها مهما رغبت ؛فطفلته المسكينة ربيت بلا أم و رغم إنه لا ذنب له في وفاة والدتها بسبب اصابتها بالذئبة الحمراء إلا إنه كان يحاول بقدر الإمكان البحث عن التعويض المناسب لها و لذا كان يعشق أن تطلب منه إحضار الأشياء لها فأن تطلب هي بنفسها يزيح عنه عناء البحث عن رغباتها، حتى إنه تزوج بناء على رغبتها ولكن كانت حادثة الشبل إنذاراً بالخطر ،تتذكر (نينا) يوم هاجمهم الشبل و صوبت (انغريد) نحوه ببندقية الصيد تتذكر يومها كيف غضب والدها حتى إنه على أغلب ظنها أن تلك الحادثة هي التي أجبرت والدها على أن يتخذ قراراً حاسماً يقوله بعينين مغمضتين أمام وجهها و هو يخرج من باب غرفته(نينا من الآن وصاعداً لا مزيد من شراء الحماقات التي لا تحتاجينها حتى لاتؤذي نفسكِ، فقط ستشترين ما تحتاجينه حقاً و سيكون الشراء تحت تصرُّفي) تتذكر يومها كيف تذمرت و نظرت إلى والدها باستمالة فأغلق الباب فدخلت نينا تتسلل بعدها لتستغيث بانغريد التي كانت نائمة فنظرت نينا إليها بحنان و رحلت...

و لأن فكرة شراء مقراب النجوم مُتَخلِّلَة في رأسها منذ مدة فهي تحيك و تحيك تحاول أخذ مجموعة من الصور في معاقل الثقافة لتُثبِت لوالدها إنها تغيرت و أضحت تحب الثقافة و الفنون فلن يضر لو طمعت في رؤية النجوم ؛تسليةً لروحها الحساسة.

في قاعة الأختين بقصر الحمراء وقفت نينا تنظر إلى طفلين يضحكان بصوتٍ عالٍ مُفَخَّم ليتخيل الناظر إليهما لسان المزمار في حلقهما و هو يتأرجح بقوةٍ في قصبة هوائية كأسطوانة، و صوتهما تساعده القاعة التي تفخم الأصوات ليبدو بصداه كصوت الضحك في أفلام الرعب، استمر الطفلين وسط غضب الزوار و كانت نينا يعجبها ما يفعلان فوضعت الخارطة المطوية للمكان على فمها و قلَّدت الطفلين فأسرع أحد المسئولين نحو الطفلين ؛ليحذِّرهما من تكرار فعلَتهما فتحرَّكت نينا هرباً، و وقفتْ تمُثِّل إنها مشغولة تتأمل في الكتابة المنقوشة

(البهو قد حاز البهاء وقد غدا به القصر آفاق السماء مُبَاهِياً)***

فدخلت بقوةٍ في التأمل الحقيقي دون أن تشعر ، تجهد عينيها و عقلها في محاولة قراءة المكتوب بلا فائدة رغم إنها تعرف الحروف العربية، تتساءل هل لو كانت عربية أصيلة لكانت فهمت لكنها تُذكِّر نفسها إنها ليست مُهتمّة بالأمر، تبتسم لدى تخيُّلها إنها الآن قد صدقت كذبة نفسها ،و لكن لم لا تهتم؟ ألا تشعر بحنين غريب غير مُبرَّر للمكان؟ تشعر إنه كمنزل تحتضنها جدرانه، تشعر إنها و هو متواطئان يخفيان سراً على الجميع ،إذ كان الأمر مجرد تهيؤات فما مبرر هذا الحلم الذي كان يراودها بأنها تملأ فمها بتراباً أحمر يحوّله لعابها لصلصال كبير الشبه بتلك الحفنة التي كان يبللها منذ قليل المرشد السياحي؛ ليوضِّح طريقة بناء القصر و يرجِّح أن تلك التربة الحمراء أحد مبررات تسميته ،على كلٍ صدَّقت أن هناك سر يجمعها مع القصر فيبأخذها الخيال إلى التصديق على كلام(ألفارو)إنها ربما كانت أميرة يوماً ما فتتخيل إنه محق و ربما كانت أميرة في تلك القلعة يوماً ما فتحاول التمادي في الخيال و لكن خطتها لاتزال مستمرة و إن كانت قد أضحت كذبتها حقيقة أمام المنقوشة في قاعة الأختين .

يقف خلفها تماماً (أيمن) المهندس المصري الذي أنهى المهمة التى كلَّفته بها شركته في اسبانيا، و يأمل في التقاط بعض الصور في القصر ؛الذي هو الآخر غير مُهتم به فقط يريد أن يكون من زواره؛ ليحكي لمعارفه عن رحلاته و أسفاره ،و لكن اسم قاعة الأختين قد لفت انتباهه و إن كانت الأختين في القاعة هما الرخامتين العظيمتين؛ فكلمة الأختين ذكرته بأخيه الشهيد ضحية

الانفجار الارهابي بحي الأزهر ،و زاد الطين بلة رؤيتهُ للطفلين الذين كانا يفخما صوتهما ،كان عقله كمن يقول له (استعد سنبكي الآن) لولا تلكَ القدم الصغيرة التي دهست قدمه دون أن تنتبه ، فاستدارت و اعتذرت له و كانت عيناها الزرقاوتين و شعرها الذهبي و قوامها المثالي و ابتسامتها الخجلي الآسرة ما دفعه ليشهق بالعامية المصرية(ياويلي!آه لو أستطيع أخذ معي ؛لأريهم إن فتاة أحلامي حقيقة،ياربي حتى بالصوت الذي تخيَّلته و الأسنان و الرموش و الشفتين) استمر في هذره ؛ظناً منه إنها لن تفهمه و هي ساهمةً إليه ؛جانب منها يؤسره كلامه و غزله ؛فهي متأكدة إن ما يقوله حقيقة و ليس محض تحرش ؛فمن أين له بدراية إنها تفهم لهجته المصرية و الجانب الآخر منها يريد أن يُنهِي تلك المهزلة بشتيمة إليه بالعامية المصرية ؛لترى تعبيرات وجهه ،و لكنها تساءلت هل يستحق هذا الشاب الخلاسي الأهيف الوسيم أن يُوَبَّخ ،و على كلٍ استدارت و رحلت عنه، و لأنه كان قد ملَّ السير وحيداً لفترة طويلة و انتابه هذا الاحساس بالكسل المخلوط بالتعب الذي يُسرِي للجسد شعور إنه يريد فقط أن يضحك و يرتكب الحماقات غير مهتم بدوران العالم، فكَّر في تلك الفتاة التي لم تغب عن نظره منذ دهست قدمه ،تساءل ماذا إن دهس هو قدمها مرة أخرى هل ستسامحه كما سامحها ؟أم أنها ستوبخه؛ لأنها تعرف إنه قصد مالم تقصد من قبل و لكن تقصد أو لم تقصد إنها ليست مشكلته، كما إنها لا يحق لها تقريعه على حقه في أن يرد ما فعلته فيه منذ قليل، كان يدور في باله هذا التفكير الهزلي الذي ينتهي بابتساماتٍ تعِبَة على شفتيه ،أكمل تتبُّع الفتاة ثم ردد في نفسه باستهزاءٍ(لماذا ينبغي أن أكن الطرف الطيب المتسامح بين الجميع ،و لكن لايمكنني أن أؤذي قدمها الصغيرة) اقترب منها ثم تراجع و لكن القدر لم يتراجع؛ إذ توقَّفت هي فجأة ؛لشعورها إنه يراقبها فدعس الجانب الخلفي من صندلها و كادت تسقط من تلك الدرجة في الساحة الرخامية، و لكنه شدَّها إليه و سألها بالإسبانية إن كانت بخيرٍ فردت عليه باللهجة المصرية(بإنها بخير) و عندها شعر بالحرج الشديد مما قد قال سابقاً و لكنه أبداً لم يشعر بالندم ،يُزِيد خجله من حرارة جسده الذي اندفع للمرة الأولى رغماً عنه ليقوم بم فعله منذ دقائق ،

فتُصَاب دماغه بنوبة ثِقل يشعر بحركة مخه ينكمش فيصيبه ألم و ثِقَل، يشتد الألم فيضغط على مقدمة رأس بالوسطى و الإبهام و يغمض عينيه ليرى ثلاثة صناديق مغلقة بأقفال،و حولها مفاتيحها ذهبية سابحة في الهواء غير خاضعة لقوانين الجاذبية ، كانت هذه الحالة تنتابه كلما شعر بضغطٍ نفسي شديد، ترافقه الحالة منذ بلغ سن الشباب كان يكره تلك الثوان التي لايفهم مالذي يحدث فيها، يكره رؤية تلك الصناديق المقرفة التي يذكره خشبها المدهون بالأخضر بلوح الخشب الذي تم غسل جسد أبيه الميت فوقه ،كان يحاول في كل مرة تجاهُل منظر الصناديق عدا تلك المرة ؛ فتلك المرة قد تغير المشهد و انجذب أحد المفاتيح لقفله و انفتح الصندوق، كان جالساً على الأرض الرخامية غارقاً في أمر دماغه و صناديقه حينما كان يحذره أحد الموظفين المنظمين للقصر بأن الجلوس بتلك الوضيعة ممنوع في تلك البقعة، فجلست نينا إلى جواره ؛محاولةً إيقاظه من غفلته، تفكَّر هل من الممكن إنه مات؟ فيرتجف قلبها ،تتذكر (ليزا) صديقتها التي كانت تحكي عن وفاة جدها على مائدة الطعام و الملعقة بيده، كان هذا الخيال أصعب الخيالات إليها و أقبح مخاوفها، رغم إنها كانت يتيمة الأم إلا إنها لم تتخيل والدتها أبداً ربما لأنها لم ترها مطلقاً،كانت تتخيل الجميع من حولها يموتون و هم يمارسون حياتهم الطبيعية بل و أحياناً كانت تتخيل الدود يخرج من أفواه و أنوف و أعين محدثيها مُثيراً رائحة عفنة ، فجلست إلى جواره مسرفة في الخيال هي الأخرى و الأمن يحذرهما و ذاكرتها تخيفها ،فأحكمت قبضتها ثم لكمته في فخده؛ لتنجو من خيالاتها بموته و لكن لم تهتم لأمره إن مات ،فلا هو قريب و لا صاحب و لا حتى معروف لها و لكنها كانت أكيدة على الرغم من ذلك إنه أكثر من تخشى فنائه ،انتبه لوجهها الذي كانت رؤيته الآن أهم من رؤية محتوى الصندوق الذي ظل يحبسه طوال العشر سنوات و فقط انفتح الآن.

أما هي فلم تنحسر عنها تلك التفكيرات الغريبة التي لا تعي حق المعرفة إن السبب في استدعائها هو أن الجو بأكمله غريب في تلك القلعة الغريبة التى كل ما يحيط بها غريب ؛فهي و إن كانت مصدر فخراً للمسلمين الآن فما كان دافع بنائها سوى خوف المسلمين و تدبيرهم

؛لاستكمال استرجاع أراضٍ قاموا بغزوها من قبل و طُرِدُوا منها و في النهاية كانت معقل أيضاً للخيانة ،و كما كانت مصدر فخر المسلمين فهي الآن مصدر فخر لأحفاد قشتالة و أراغون و مصدر دخل لهم،ولسبب ما شعر الشاب إنه لا يريد الرحيل عن محيط تلك الفتاة ،لا يقبل أن يكون لقائه بتلك الفتاة موقف بلا هدف كتلك المواقف التي تحدث لنا يومياً و ننسى تفاصيل بعضها بل و ننسى مواقف أخرى كاملة، لم يقبل أن تذهب تلك الفتاة كأي ذاهبٍ قد قابله من قبل، يعرف إنه لن يقبل فقط أن يحكي عنها و لم و لمن سيحكي عنها ؟

إن كان قد قرر لسبب ما ألا يتركها أبداً و هو ما قرر أن يُعلِمُها به ،و لكنه تذكَّر إنه ليس من الأدب و الذوق الراقي أن يفرض عليها حبه بتلك الطريقة ،و لكن كيف سيوقفها؛ ليتأمل عينيها التي لن يشبع منهما مهما تأملها فاخترع حواراً من لا حوار، و سألها(هل أحببتِ بيت الشعر على المنقوشة؟)

فردت باندفاعٍ(و ماشأنك هل انت ناقشهُ أم كاتبه؟) رفع حاجبيه بدهشةٍ ضاحكاً، فضحكت ثم قالت(في الحقيقة لم أفهمه؛فأنا لا أعرف من اللغة العربية سوى القليل من اللهجة المصرية،و لكن هل تعرف ما المكتوب؟هل تتحدثون مثل هذه الكلمات في بلادكم؟هل تفهمونها بينكم في المدارس العربية؟هل تتبارون بالأشعار؟)كانت تتحدث بسرعة و بلهجةٍ غريبة تخطيء في معظم التعبيرات و تجتهد في إيجاد الكلمات، تتحدث بعينينِ لامعتينِ شَبِقَتينِ للأجوبة ليفهم كل من يراها تتحدث و تسأل إنها لم تزر بلادها العربية و لم تتعامل مع أهل بلادها مطلقاً ،فأجابها (في الحقيقة ليس بالظبط،أنا لم أكن مهتماً بالشعر فيم مضى ،و لذا لم أهتم بقراءة شعر عربي قوي من قبل ،تعرفين هناك بعض الأشعار الجاهلية التي لا أفهمها أصلاً ربما أفهم اللغة الصينية أكثر منها و تبقى عربية..) تضحك(و هل الصينية أصعب اللغات في تصوُّرك؟) يضحك(لا أدري فأنا لا أفهم الصينية كما لا أفهم الشعر الجاهلي)، تقاطعه(أنا لا أفهم ماذا تقصد بالجاهلي؟)يضحك بخجلٍ فيبهت لون شفته للوردي مُكمِلاً(هم لست خبيراً في شرح التاريخ أو ما شابه ..يقصدون بالجاهلي الفترة قبل ظهور الاسلام) ثم يضحك باستهزاء

مُكملاً(لو كنت تدرسين الآن في بلادك لكنت تحفظين تلك الأشياء حالياً في الثانوية)
ضحكت(لا اطمئن! أنا تخرجت من الثانوية ،لا بد إنني يفوتني الكثير عنكم لا بد إنكم تعلمتم فنوناً كثيرة) يضحك أيمن ثم يكمل(لا تقلقي ! في الحقيقة ليس الجاهلي فحسب الذي لا أفهمه و إنما الكثير من الأشعار على مر العصور أيضاً،لم أعتقد إنني سأحتاج الشعر مطلقاً و لكني بتلك اللحظة أدركت إنني كنت شديد الاخفاق،أتمنى لو إنني كنت أستطيع كتابة الشعر لكنت أهديتكِ قصيدة فيكِ الآن) و يضحك ليذيب الخجل عن ما للتو تلفَّظ به رغماً عن عادته فتزداد شفتيه في البهت؛ لتؤكِّد لها إن مايقوله الآن ليس بغرض مضايقتها أو النيل منها فتضحك بخجل لا يقل عن خجله(لي أنا ؟)

(لا تسيئي فهمي ؛أنا لا أقصد احراجكِ،و لكنني أشعر إنني أريد كتابة الشعر فيكِ ،و لبؤسي وويلي لعنني الشعر و لن ينصفني أمامكِ الآن!) كانا يتحدثا ببطءٍ و كلام غير مُنَظَّم و حواراتٍ غير متناسقة لا مبرر لها سوى إنهما لا يريدا الافتراق، إلى خلف نينا تماماً فتاة بملامح آسيوية تتحرك بخفة كالفراشة لتشكِّل أوضاعاً للتصوير و كأنها تطير في الهواء تضحك بصوت مرتفع فيبقى هو ساهم يفكر و كأنما يعصر فكره كيف سيحركها من ذات البقعة معه لبقعة أهدأ؛ تتحرك نحوه كأنما استجاب فكرها لفكره و ترد على جملته الأخيرة(هل تعتقد أن ما تفعله الآن صائب ؟)

(و طالما أنا الذي أفعل و مستمر في الفعل؛ فبالتأكيد حُكمي و تقديري لما أفعل صائب و حتى لو كان للجميع غير صائب)

(و هل تعتقد أن ما أفعله صائب ؟)

(ماذا تعتقدين ؟)

(أنا أعتقد دائماً أن ما أفعله صائب و لذا أقوم بفعله) يقاطعها(اسمعي!من تلك اللحظة لبقاء عمر الكون عينت نفسي الأوحد المؤمن بصواب كل أفعالكِ)

(و مالذي يعنيه هذا ؟)

(يعني إنك منذ تلك اللحظة ما إن تشرعين في عمل أي أمر لا تفكّري سوى في أن (أيمن) يؤيد ما تفعلين و يؤمن به،لا أحب الشراكة؛ فكّري في وحدي فقط و أذهِبي الجميع للجحيم!)
تضحك بإرهاق و هي لم تفهم ساعتها إنه بتلك الكلمات سيدخل جميع تفاصيلها القادمة، ستتذكر تلك الكلماتِ في كل لحظة من يومها ،تستمر في الضحك بتعب مختلط بذلك الاحساس الطريف الذي يجعلك شَبِقْ ؛لارتكاب الحماقات ؛فقط لتضحك(و لكنني لا أعرفك و لم أتحدَّث يوماً إلى غريب بتلك الطريقة)
يقاطعها (ما اسمي ؟)
ترد (أظن أيمن) يرد (و أنتِ نينا!،إذاً لا غريب بيننا) ترفع ضحكتها صارخة (و كيف عرفتَ اسمي ؟)
(و كيف لا أعرفه و أنا المؤمن بصوابكِ) تتغير قسمات وجهها ؛لتعلن خروجها نهائياً من طور الطفولة المرحة الطائشة التي عاشت فيه منذ ولدت و حتى تلك اللحظة ،كان الجو ربيعي معتدل و كان أيمن يرتدي سترة جلدية سوداء تؤكد أن ربيع اسبانيا بارد على جسده و يتحدث و حديثه يجعل نبض قلبها يُسْرِي احساساً غريباً و لافتاً بالبرودة في جسدها كأنما ندف من الثلج تسري في عروقها مع نبضات قلبها و كان هذا الاحساس المُمتِع هو المبرر لبقائِها مع الغريب رغم فجوات الصمت الطويلة التي كانت تتخلل حديثهما الغريب الغير مُرتَّب، و على فجأة أفاقت من دهشتها من إنه يعرف اسمها مُمسِكة بالقلادة التي تحيط عنقها و للمرة الأولى تمسك القلادة و تتحسس عنقها و تنسى تماماً للمرة الأولى و هي تحسس عنقها أن تفكّر في جملة (ألفارو) حينما أخبرها أن لديها عنق يشبه عنق البجعة على شاكلة (دونا اينيس) كانت نينا حائرة بشأن عنق دونا أينيس لم تكن تفهم هل وصفه بعنق البجعة مدح أم ذم ،حتى أخبرها ألفارو إنه يعجبه و كانت تلك الضمادة التي جففت جروح تجاهل (ألفارو) لها في مواقف سابقة ،أفاقت مُتلمِّسة سبيكة القلادة المسبوكة باسمها ثم ضحكت و قالت(أنت تغش!)

(اسمعي! أعرف أن ما سأقوله سيدو تقليدياً و ربما مُكرراً على أسماع فتاة رائعة مثلكِ و لكنني منذ رأيتكِ و أدركت إننا مقدّران لبعضنا و لأُثبِت لكِ سنفترق الآن و سيجمعنا القدر بشكلٍ ما عندها سأُخبِرُكِ بمدى تميُّزكِ .....سألقاكِ)كانت مواعيد زيارة القلعة قد أوشكت على الانتهاء و الجميع يرحلون أما هي فبقيت جالسة على المقعد الأسمنتي بجنة العريف ساهمة تحاول تخيل كيف بلغا هذا المكان سائرين دون أن تنتبه أبداً، تفكر فيم للتو قد قاله (أيمن) الذي قطع دهشتها باستدارته قائلاً(و عندما أقول سألقاكِ هذا لا يعني إنني سأرحل من أمامك؛فأنا لا أستطيع) لم تفهم ما يقوله؛ خصوصاً عندما استدار و رحل و هو للتو كان يقول إنه لا يستطيع الرحيل أي مُتَلاعِب مُتَحذلِق هذا الشاب العربي كانت تفكر و تضمه لهؤلاء الأمثلة التي كانت تملأ خالتها رأسها بهم ..

و للحق لم يكن أول شاب يغازلها أو يحاول التقرُّب منها و لكنه كما دعاها بأنها مميزة هي الأخرى شعرت أنه مميز بتلك البسمة الغربية التي تخرج منه بإعوجاج لتُبرِز أسناناً بيضاء مثالية مرصُوصة بإتقان شديد و مهدور في تنظيفها و غسلها يومياً وقتاً مُنَظَّمَاً و أنف مدبب و عينين سمراوتين تنحرفان خجلاً لتُبيّن أنَّ المُتَحدِّث يتحدَّث هذا النوع من الحديث كمرته الأولى و معتمتين كثقبين أسودين يجذبان بالإثارة و شعر أسود ناعم مُرسَل للخلف على ما يبدو بأصابع طويلة سمراء ،استدار ثانية و قال (أتمنى أن أتعلم نظم الشعر فأستطيع إهدائكِ قصيدة تليق)ابتسمت بخجلٍ مخلوط بشعوراً بالغرابة التي يبررها تلك النظرة الغريبة التي عقبت جملته الأخيرة التي لم تُعَقَّب بابتسامةٍ ترد على ابتسامتها الخجلي و إنما كانت نظرة لايمكن وصفها سوى بأنها من فِعْل الحدقتين السمراوتين ، ثم أخرجت ربطة الشعر و جمعت شعرها المُبعثَر كأنما أعلنت الكف عن العيش كحمقاء والتفكير في التصرف كناضجةٍ و أول قراراتها في النضوج كان الاحتفاظ بهذا الموقف في رأسها فقط ،لن تركض؛ لتحكي لخالتها عن الأمر خصوصاً إنه عربي و هي تعرف حق المعرفة موقف خالتها من العرب ،كانت خالتها تحذِّرها دائماً من العرب و أفكارهم و مدى أنانيتها، تُذَكِّرها دوماً إن عائلتها قد رحلت من أرض العرب؛

لتضمن حياة لا تُقَارَن مع حياة بلادهم، فكيف تفر من الرخاء نحو مانعه الذي هربوا منه؟ كانت تلك المبررات التي تصوغها الخالة بعنفٍ أمام عيني (نينا) تجعلها توقن إن خالتها ربما في وقت ما تم خذلانها بواسطة عربي و هو ما يفسر تلك الضغينة التي تجعل شفتيها تبهت و ترتعش و تحمر أذنيها في سب العرب و النيل منهم أمام كل من تخوّل له نفسه الحديث عن العرب في حضرتها، تتذكر حينما حكت لخالتها عن علاقتها بشابٍ مغربي و كيف فعلت خالتها الأفاعيل لتُنهِي تلك العلاقة قبل أن تبدأ و نجحت الأفاعيل؛ فقد كانت العلاقة لتفشل حتى بدون تلك الأفاعيل؛ لعدة أسباب أهمها إن العلاقة لم تبدأ أصلاً كما ظن الجميع و على رأسهم (ألفارو) الذي استغلت اعتبار الجميع للشيء الذي كان بينها و بين المغربي (يوسف) علاقة في الأساس ؛لتلفت انتباهه ..

قضت نينا الأيام بعد هذا اللقاء هادئة غريبة المزاج بالنسبة لأصدقائها و أسرتها و اشترى لها أبيها المقراب و يوم استعملته للمرة الأولى كانت تتمنى لو تستطيع أن تطلب من والدها أن يحضر لها (أيمن) مع المقراب؛ ليشاهدا النجوم سوياً، و كانت كلما تذكَّرت كلمات (أيمن) بأنه المؤمن بصحة أفعالها جميعها يرقص قلبها بشكلٍ لم تعرفه من قبل؛ فلم يسبق أن أخبرها مخلوق بأمر كهذا بالإضافة الي تلك المسئولية المُحبَّبة التي أُضِيفْت على عاتقها في اتخاذِ القراراتِ و هي تفكِّر هل سيعجبه أمر كهذا أم سيثير غضبه؟ و لا تتوقف رأسها عن التساؤل هل سيجمعها القدر به مرة أخرى كما قال، تتحجَّج لنفسها برغبتها في سؤاله عن سر نظرته الغريبة فتذهب للقلعة تتورم قدماها في البحث عنه و لكن بلا فائدة، سألت معظم المرشدين بلا فائدة، فأوقفتها يوماً عجوز ترتدي جونلة واسعة و تبدو من شكلها إنها تخفي تحت جونلتها قصعة، و تحدثت معها بصوتٍ منخفض(يابنتي! لايمكن أن تبحثي عن شخص بتلك المعلومات الفقيرة،هناك العديد من الأشخاص الذي يرتدون سترات جلدية سوداء و قامتهم طويلة و ابتسامتهم باعوجاج) فقاطعتها نينا بعنف(أيتها الجدة الغبية! لا يمكن لأحد أن يشبه من أبحث

عنه،لديه نظرة جعلتني أبحث عن تفسيرها) طرقت العجوز على جونلتها من الجانب و ابتسمت قائلة(أشفق عليكِ)فقالت نينا(الغباء وصف و ليس سبة!) و رحلت عنها ...

تجلس في المتنزه تتأمل في أوراق الأشجار التَعِبَة و هي تتساقط بهدوءٍ غير عابئةٍ بتركِ الأفرع وحيدة في الشتاء و لكن لم تعبأ أصلاً بالتمسُّك بالأفرع و الأفرع ذاتها قد لفظتها بلا رحمة؛ ليسطِّروا نهاية الأوراق معاً ،و كانت نينا لا تكره شيئاً في الحياة بقدر كرهها للنهايات، كانت النهايات حتى لو سعيدة تُضَيِّق صدرها فتحاول التناسي برقصةٍ أو شربةِ كحول أو فعل أحمق و لكن التفكير في نهاية الأوراق التعبة و هي تُدهَس تحت الأقدام لم تستطع الافلات منه و في الحقيقة هي لم ترغب،و إنما بقيت لرؤية النهاية مكتوفة الأيدي، تتساءل مالسر في تغيُّرها لتفكِّر بهذا الشكل الكئيب و هي التي كانت أسعدهم منذ أسبوعين ،لا تصدق أن اسبوعين كاملين مرا بلا حفلات و لا سهرات و لا حماقات ، منذ قابلت الشاب المصري في قصر الحمراء أيكون السبب هو ذلك الشاب أصلاً الذي رحل فجأة مُبشِّراً بأن القدر سيجمعهما و لكن لم تريد أن تجتمع معه أصلاً؟ءأبهرها حديثه إلى هذا الحد و لكن حديثه كان عادياً لم يخبرها حتى كم هي رائعة و نظراتها ساحرة و حضورها فتَّان ،و حتى لم يقم بفعل مجنون أحمق معها و إنما كان حواراً يُصنَّف تحت العادي بالمقارنة بمحاولات الشباب السابقة للتقرُّب إليها ، كانت تنجذب لأكثرهم جنوناً و تتسلَّى بأصحاب التقرُّبات المملة و المخادعين ثم تلفظ الجميع ،تناست كيف كانت و كانت تلك النهاية الوحيدة التي طلبتها و استمتعت بها بل و نفذتها بنفسها نهاية حماقاتها الماضية ،و لكنها لم تنسَ عادتها في طلب الأشياء من والدها ودت لو تطلب منه أن يجلب لها هذا الشاب و لو كان من خارج الكون و لا تعرف لم كانت تحتاج جلبه و هي لا تملك سبباً كما لم تملك واحداً يبرِّر إنها لم تخبر مخلوقاً عنه ..

تتأمل في العرافة الغجرية و هي تخبر الناس بمصائرهم ،و كانت تتردد في رأسها أغنية اسبانية قديمة تسمى (ربما ربما ربما) كانت تعشقها بصوت (أولافي فيرتا) ظلت تردد مقاطعها في بالها

حتى خرجت على لسانها تردَّد (***و عندما آتي إليك يائسة ..قل لي ربما ربما ربما***) كان هذا المقطع هو أكثر التصاقاً ببالها و لكنها كانت تستحضر كلمات الأغنية من بدايتها، فحرفت البداية (***عندما أسألك متى كيف اين لا تخبرني ربما ربما ربما ،بل أخبرني بميعاد***) و بين محاولاتها لضبط اللحن على التحريف الجديد سمعت همساً من خلفها يقول:

أبداً تحن إليكم الأرواح ..

ووصالكم ريحانها و الراح..

و قلوب أهل ودادكم تشتاقكم..

و إلى لذيذ لقائكم ترتاح..

لا ذنب للعشاق إن غلب الهوى..

كتمانهم فنما الغرام فباحوا..

وصبت إلى ملكوته الأرواح..

و إلى لقاء سواه مايرتاح ..

سرت في جسدها لسعاتٍ باردة غريبة و مُحَبَّبَة و احمرَّت وجنتاها بشدة ؛لترد على وجنتيه المُحترِقتين ؛خجلاً فهو الآخر لا يدري مالذي يدفعه لقول و فعل ما يفعل ،قطع خجلها بقوله(ألم أقل لكِ إن القدر سيجمعنا؛ لأتلُ عليكِ أشعارٍ .....و لكني في الحقيقة لازلت عند ضلالي؛لم أستطع نظم شعر يليق بكِ و لذا استعنت بشعر السهرودي المقتول في تصوُّفه لربه، قاطعت بحزمٍ(لايمكنك أن تردد شعراً لشخص مقتول)

رد بخجل(و لم؟)

(لا أدري..،ربما لأن الشعر يتصل بشيء غريب في الجسد فيسيطر على الأحاسيس بأكملها مما يعني إنك حينما تقول شعر هذا المقتول ربما ينتابك ما انتابه من مشاعر مما قد يدفعك إلى التصرَّف كمثله و هذا فأل سيء) رد عليها و هو يضحك(كل هذا و لا تدرين! ياله من تحليل! و لكن لا تقلقي لن أُقتَل،....لا أستطيع الجزم بحقيقة الأمر و لكن يوماً ما حين كنت صغيراً

،أتذكر إنني سافرت مع أمي سفراً طويلاً إلى بلدة بعيدة أهلها من ذوي البشرة السمراء ،و كانوا يضعون جميعاً أقراط خضراء و يتحدثون بلغةٍ غريبة و لكنها كانت عربية، كانوا يضحكون ضحكات عالية تُطَيِّر الرذاذ من أمعائهم إلى خارج فمهم و ما إن قابلونا حتى هجموا عليّ بضماتٍ و قبلاتٍ، و أمي لم ترفض و لم تغثني من بين أيديهم حتى إنهم اصطحبوني إلى رجل عجوز بعينين رماديتين بلا حدقة ،لم أدر أكان أعمى أم ملوَّن العيون ،كان يسحق أوراق نباتات و حشرات و ديدان يرفع يد المسحقة باذلاً جهداً كبيراً بالنسبة لسنه و ذات الأربع نساء الائي كن ينهلن عليّ بالقبلات ينخفضن في الأرض و يدرن خصرهن و يصفقن و ينشدن نشيداً لم أفهمه لا هو و لا الرقصة و لا حتى فركة أظافرهم التي تخرج لهباً و أمي بالخارج تشاهد، أتطلَّع أن تنتشلني من بين هؤلاء القوم المرعبين، و بالنهاية دهنني الرجل بالمسحوق المقزز و انتهت الرقصة و أنهال عليّ الجميع يقرصون جسدي قرصات خفيفة فنمت بين أيديهم و أفقت في القطار عائدين إلى منزلنا ،كنت أسأل أمي فتخبرني إنها طقوس لحمايتي قالت (لن يتمكن أحد أبداً من إضاعتك) قالت إنه من الأفضل ألا أخبر عنها أحد ،و بعد أن مرّ هذا اليوم لم تقر أبداً أمي بحقيقة ما حدث، كانت دائماً تنكر هذا اليوم و تخبرني إنها ليست إلا هلوسات طفولة)

انتهى من حديثه و هي تستمع بتركيزٍ شديد و هو ظن إنه يثقل عليها في الحكايا أو ربما شعر بالذنب لروايته تلك الحكاية التي أخبرته أمه فيها ألا يخبر أحداً عنها مطلقاً،و لكن ألم تنكرها أمه ،و الأمر الآخر إنه واثق إن (نينا) لن تحكي عنها، فتابع مُغَيِّراً الموضوع(في الحقيقة كنت أبحث عن شعر بالأسبانية و لكنني لست ضليع في الاسبانية)

و هي لازلت صامتة، فيزداد توتُّره(اعذريني لم أستطع الصبر أكثر و أنا أراقبكِ لأتحدَّث معكِ) خرج الكلام عن سيطرته فصاحت بضحكٍ (تراقبني!،ظننت أنك قلت إن القدر سيجمعنا ،أنت تغش)ضحك بصوتٍ عالٍ؛ ليواري خجله(أوليس هذا بقدرٍ؛ لو كان القدر رافضاً لما كنا اجتمعنا اليوم)

(تملك أجوبة كثيرة..أنا لم أفهم الشعر الذي قلته)

(سأشرحه)

(لا تفعل)

(ولم؟)

(أريد فهمه كما أريد) قال بلهجة غير استفهامية و غير نافية(لا تصدقين حكايتي في الجنوب!)

(و من قال إنني لا أصدقها؟أنا فقط أشعر بالحيرة،هل أسألك عنها و قد نهتك أمك عن الخوض في الحديث عنها،أم..) قاطع يقول(ما قلته الحكاية كاملة! عندما أستحضر تفاصيلاً أخرى سأقولها)

طال الحديث الغريب بينهما ،يسألها و تسأله عن أسئلة إن تبدو للسامعين تخبرهم أن السائلين مصابين بمسٍ من الخبل، تسأله عن أكثر ألوان الجوارب قرباً إلى قلبه، فيسألها هل تفضل الأرانب أم القطط، تسأله أيهما أقسى لسعة بعوضة أم نملة، يسأله عقله أن يسألها أن تصف له الأشياء التي تراها حالاً؛ ليعرف هل يؤثِّر جمال العينين على صورة الأشياء في المخ،يسألها(كم تعتقدين عدد أوراق الشاي في الكوب الذي منه تشربين ؟)و كان أغرب الأسئلة التي تطرقا إليها حينما سألها (هل تؤمنين بوجود المخلوقات الفضائية؟) تفكر و تقول(لا أدري لم يبحث الناس عن تلك المخلوقات في حدود توقعاتنا و تصوراتنا للمخاليق)يرد عليها بابتسامة عريضة(صحيح ،دائماً مايسري في عقولنا حالما تصورنا أي مخلوق أن حجمه سيكون عادي بحجم انسان أو حيوان و أنه سيكون مجسم ثلاثي الأبعاد و لديه أعضاء للنظر و الشم و الحديث و السمع و لكي نرضي الغموض نتوقع أشكالاً غريبة و دماء لزجة زرقاء)

تقاطع بعينين ساهمتين(ربما هناك مخلوقات لا تخترقها الأشعات التي تساعدنا على الرؤية) (كالعفاريت..و ربما هناك مخلوقات متناهية الصغر لاتندرج تحت المسميات التي نعرفها ،ماذا تتوقعين أكثر؟)سأل بحماسٍ فأجابت بنفس الحماس

(أتوقَّع إنها ليست مُهتَمَّة بالتساؤل عنا و لا التواصل معنا؛ لأنها ربما تعتقد إننا كحجارة أو

ككوكب، أشياء ثابتة بالنسبة لها)

(ربما عمرها بحلوهه و مرهه يستغرق خطوة من أقدامنا)

(و ربما أنواعاً أخرى على العكس) ظلا طيلة النهار في وضع تصورات و حكايا عن تلك المخلوقات و في نهاية يومهما سألته(لم تسألني و أسألك؟)

(لي!أسألكِ لأنني مهتم بك،ألم أخبركِ إنني مؤمن بصحة ما تفعلين)

بعدها دارت لحظة صمت كصمت المُنعَمِين في الجنة التي تُليت بمكافأة الرب لهما في قول أيمن(أنا أحبكِ؛و لذا أريد أن أعرف أدق تفاصيل شخصكِ حتى التي تخجلين منها أو تعتقدين إنها مشينة في كتابكِ،لا أريد تغيير عاداتكِ و لا تفكيركِ؛ فأنا أحببتكِ بكل تفاصيلك حتى إن كنت لا أعرفها بعد)

(و لكنني أشعر إنني شخص جديد منذ قابلتك،لقد تغيرت كثيراً ...كأنني بُعثت بروح جديدة ماذا إن لم تروقكَ روحي الجديدة)

(اجابات الأسئلة تتبع خبراتكِ القديمة ،و انت تجيبين الآن تبعاً لخبراتكِ الجديدة و أنا أرى إنهما نفس الشيء و عموماً ألم أخبركِ إنني مؤمن بصحة جميع ما تفعلين)

(أليس ظلماً لكَ)

(مستحيل! معظم قصص الحب التي تُسطَّر ظالمة؛ تسري جميعاً لمصلحة طرف وحيد بمعنى أن أحد قد أعجبه الآخر على حين غفلة فيستمر في محاولة جذبه؛ لينل حبه فيناله تدريجياً و الجميع قد غفل عن حقيقة أن الآخر قد اضطر لحبه؛ نتيجة لتأثيره عليه و هو ما يجعل المرء يتساءل هل من الممكن أن يحب أي شخص أي شخص يؤثر عليه؛ ليجعله يحبه أم أن الأمر مُعقَّد بعض الشيء تشترك فيه مجموعة عوامل و تفاصيل، اسمعي إن كنتِ تشعرين بأنك طرف يتم التأثير عليه حالياً، فلترحلي و عندها سأرحل ؛فلا خير لي في حب أنا الذي صنعته و لأنني كما تعرفين مؤمن بصحةِ ما تفعلين) تنظر إليه ثم تقول بلهجة غير استفهامية(حب أنا صنعته!)فيقول بابتسامة(كنت أفكر كثيراً في أمر كهذا،كيف يمكنني إيجاد شخص أقع في غرامه

و أوقعه في غرامي من النظرة الأولى،حسبت أن الأمر مستحيل،و أحسب الالحاح في الحب سيسحر الطرف الذي يتم الإلحاح عليه فيعتقد اعتياداً إنه وقع في الحب،و ساعتها لن أشعر بالسعادة ...تعرفين في بلادنا يزور الناس السحرة و يسخرون الشياطين؛ ليوهمون الناس بالحب ،أشفق كثيراً على حال هؤلاء المغرمين الذين يضطرون إلى فعل أمور مشابهة)تقاطع بابتسامةٍ حقيقيةٍ تُبرِز لمعة عينٍ عاشقة(فهمت مقصدك،بزوال السحر يزول التأثير، أي إنه ليس حباً في الأساس و هم يعرفون ،كيف يتحملون أن يخدعوا أنفسهم بنفسهم،على كلٍ أعرف بشأنِ أسحار المحبة حكت لي جدتي عنها) ابتسم باعوجاج و قام بإمالة رأسه ، أما هي فقد صمتت تفكر في كلامه و هو الذي منذ رأته و هي تشعر بشعورٍ غريبٍ، كانت تود لو تستطيع إلصاقه فيها للأبد، ودت لو تبقى تلك المقابلة حتى فناء العالم و هو ما اتضح من عينيها المُلتَمِسَتين و ضحكتها الصادرة مباشرةً من قلبها ،تأكَّدت إنه ملاك جنة العريف الذي أُرسِل إليها في حديقة قصر الحمراء من أطهر السماوات ؛ليغسلها من آثام حماقتها و يطهّرها و لذا أقسمت بقلبها أثناء حديثه أن تتطهَّر من كافة آثامها خصوصاً ؛لإيمانه الذي لم ترد خذلانه و لم تخذله؟ و هي أصلاً مؤمنة بصحةِ جميع ما يفعل و يقول، تضع كف على قلبها و الآخر على قلبه و تسأل بهدوء(أهذا هو الحب؟أتلك دقاته،و هذا صوته؟) تعلو منهما الضحكات ؛لتصدم وجوه المارة فتزيد بعضهم سعادة و بعضهم حقداً و بعضهم يأساً، تفرش العرافة أدوات دجلها تحت أقدامهما فلا يلتفتا عن حديثهما تحاول استفزاز انتباههما لها فتخبرهما أنه إن كان حديثهما الأول ضاحك فستكون النهاية تعيسة فتجفل (نينا) عند لفظ نهاية، و هو يشرع في توبيخ العرافة التي تحمل شؤماً لهما ؛عقاباً عن عدم التفاتهما لها فتعيده (نينا) بضحكتها الساخرة؛ لتخفي عن بالها قبل باله كلمة (نهاية) و تخبره إنها سمعت العرافة للتو تحذِّر اثنين بألا يتشاجروا حتى لا تصبح حياتهما كلها شجار،يسألها(في نظر العرافة ماذا يتحتم علينا فعله ؛للنجُ ؟)
(ربما أن نعطيها المال ؛لتقول ما نبغِ و هو حل مُكلِّف، الحل الآخر هو أن نرحل من وجهها)
صاح(و هذا يعني أنكِ تقبلين أن تأتِ معي؟)

(ولم آتي معك؟)

حك أسفل ذقنه بالسبابة و الإبهام فصارت شفته تتلون مع الحكات و قال(لأريكِ الذبابة الفاتنة!)قالها كأنما للتو قد اخترع لفظها فسألته و هي تضحك(بحقكِ هل يوجد بين الذبابات البشعات ذبابة فاتنة؟)

(و هل رأيتِ جميعهن ؟سأريكِ واحدة)

تسأله و (و كيف هي فاتنة؟ فاتنة الجمال أم الأفعال أم ماذا؟) يضحك بمكرٍ قائلاً(فاتنة.. تعني فاتنة!) يصمت برهة ثم يبدأ من جديد (فاتنة.... يعني أنها بشكلٍ ما تجعل كل من ينظر إليها يُفتَتن ،يُصَابُ بالشبق و الإثارة فيركض نحوها ؛مجذوباً و لكنها فقط تستقر ؛لتسمح بأن يقترب منها و يتلمَّسها الذي ترضاه لنفسها) تنظر إليه بوجوم تتخيّل المشهد الذي يحكي عنه،فيستمر في التأليف؛ ليزيد من إثارتها(الجميع يريد تحسُّس أجنحتها اللمَّاعة التي تطير بهما بغنجٍ بعيداً، كأنما تبتعد فقط بقصد أن تثير شوق و احتياج المحتاج إليها ؛فهي تعرف إن أجنحتها تجعل من المستحيل على راغبها اللحاق بها إلا لو هي أرادت فأبطأت من صفقهما، تملك عينين مُقسَّمتين و كالمرايا تعكِس آلاف الصور للعالم كأنما العالم يلهو في عينيها و لا شيء خارجهما ،أما أذرعتها فبرفع الخيط بل أرفع بكثير ليشعر القابض عليهما أنهما بداخله يسريان الدفء و الأمن لأعماقه و لكنها من الرقة أيضاً ما يجعلها يذوبا في قبضة القابض و يتوهان في قبضته فيزيد شوقه و بحثه؛ محتاجاً) تسرح عينيه الضاحكتين في السماء كأنه يحصل على الكلمات من أفواه الأرواح المجنونة الهائمة بين السماوات فتسأله (و مالونها؟) ينظر إليها بابتسامةٍ هادئةٍ و يرد بصوتٍ رخيم كالرواة(يُحكى أنها صُنِعت من مادة غريبة تجعل لها جميع الألوان التي خُلِقَت باسم و بلا اسم).

تعددت اللقاءات بينهما التي يحكي لها فيها حكايات مختلفة من حكاية الذبابة الفاتنة ،و ارتكبت جميع حماقات العالم و خاطت الكذبات التي تجعل العاقل يضحك من عجبها؛ فقط لتصاحبه إلى مكانه حيث الذبابة الفاتنة و حكاياتها.

كانا يمشيا معاً يتساءلا لم خلق الله لهما أقداماً مختلفة رغم إن طريقهما واحد؟ فيجيبا إنما خُلِقَت تلك الأقدام؛ لتعرف أن عليهما التواجد معاً ،عيناهما تودا لو يدخلا لنفس المحجر ؛فالرؤية واحدة، يشعر الجسدان أن لهما نفس الرائحة و النبض و الحرارة ، ربما يودا لو جُمِعَا بنفس الجسد؛ فلا فراق؛ فلا هي تريد أن تحيد و لا هو يريد، وصلا لمكانه في بلده .

كان له بيت مكون من طابقين و حديقة على حافة النيل في بلدة تُدعَى (شمساية السعادنة) و كان(أيمن) قد ادخر كل ما حصل عليه من الراتب في السنوات السالفة في شراء هذا المنزل الوحيد في البلدة الذي أخفاه عن الجميع بمن فيهم والدته ؛و له في ذلك قصة...

نشأ أيمن في بلدة في الصعيد كانت تُدعى(شيم الأكرمين) و مع مرور الزمن و ضيق أخلاق الناس و رغبتهم في الاسراع من رتم الحياة ؛لتنقضي أيامهم و هم لا يشعرون أنهم هم الراغبين في ذلك أصبحت البلدة تُنطق شيم بخطف الياء و كان أيمن يعتقد إن جميع من يعيشون في القرية قد حلَّ عليهم الشؤوم من اسمها الذي لم يفهمه (أيمن) بمعناه و إنما فهمه بمعنى الشؤوم ،فكان يرى حياة الناس فيها بائسة لا تخلو منازلهم من قتيل أو شهيد أو مرحوم؛ ففي هذا البيت غريق و في الآخر مقتول و في جاره مصعوق و في جاره أم ثكلي بثلاثِ أبناء خنقتهم أسطوانة غاز ،و في بيته هو أخيه الشهيد الذي مات مُبعثَراً لأشلاءٍ في العاصمة حتى لم يتمكنوا من لم أجزائه؛ لتكريمها بالدفن في مكان مُستقر مما أخذ بروح أبيه حسرة ،كان يسمع أمه تنوح و ترددد(يا بلدة الشيم !يا شوم يا نحس! أيامك شوم) زرعت فيه والدته إن السبب في البؤس الذي يكلل الجميع هو تلك البلدة؛ ربما عُذِّبَ فيها نبي أو نُجِّست فيها كتب سماوية أو تم ممارسة الشذوذ أو زُنِيَ بالمحارم فيها ،الأم لا تدري و لكنها أكيدة إن البلدة ملعونة و يُلعَن كل من فيها بقهرِ قلبه على أحبابه ،و لذا عزم(أيمن) على شراء منزل في بلدة تحمل اسم سعيد فهداه البحث إلى (شمساية السعادنة)و أهمل (أيمن) قصة البائع عن اسم القرية الذي أخبره أن السعادنة لا تعني السعداء و إنما القرود باللهجة الشامية ،يقال إن جماعة شاميين سكنوا تلك البلدة و كانو يربون النسانيس و يطلقون عليهم سعادنة و لكن (أيمن) كان قد وعي أن الشيم

لا تعني الشؤم لذا لا ضير ألا تعني السعادنة السعادة ،كانت البلدة غير مأهولة و لكنها ليست مهجورة و لكن لا يهم إن كانت مأهولة أو مهجورة؛ فبيته في الأساس يقف وحيداً على ضفاف النيل كعاشق فارٍ بمشاعره اختار القمر و النهر؛ ليريا دمعه بعيداً بآلاف الأمتار عن أي نفس بشرية..

و بعد عودة (أيمن) من اسبانيا مع(نينا) زوجته عرف أن مفاجأة أمه ستكون مُضَاعفة بمنزلٍ و زوجة ؛فقد كان عازماً قبل سفره لاسبانيا على خطبة الدكتورة (صفية) خطيبة أخيه الشهيد، كانت صفية متوسطة الطول معتدلة القوام شاحبة البشرة و ترتدي خماراً يصل إلى أسفل خصرها العريض، كانت هادئة المزاج صامتة و كانت قد جمعتها بأخ (أيمن) قصة حب طويلة هادئة كان يعلمها جميع من في حيهم؛ امتدت تلك القصة منذ أن كانا في المرحلة الثانوية ، التحقت هي بكلية الطب و هو بكلية التجارة جامعة القاهرة ،أما عن يوم الحادث الإرهابي فلم يخمن أحد مالذي كان يفعله أمجد بحي الأزهر سوى الأم التي كانت تصر على أن صفية هي من كانت تحثه على حضور المحاضرات بجامعة الأزهر؛ ليوافق فكرها رغم إن الأم لم تحمل دليلاً إلا إنها كانت تصر على أن صفية نحس و كانت تدعم قولها بإعراض الجميع عن الزواج منها بعد علاقتها الطويلة مع أمجد ،و كان أيمن يفسر الأمر إنه الوحيد الذي سيبارك أن يكون ولاء صفية الأول لأخيه الشهيد و ذكراه، و كانت صفية تكبر أيمن بأربعة سنوات و لشد ما كرهت الأم هذا القرار و حاولت إثنائه عنه؛ مُبرِّرة أن صفية تكبره بأعوام و أن لا ذنب له ليتزوج زيجة بدافع الشفقة، و في الحقيقة كانت الأم داخلياً تشعر بالشؤوم من صفية؛ لم تكن ترى فيها عروس (أيمن) المناسبة؛ لا السن يجمعهما و لا الحب يقرّبهما، فقط ما يجمعهما هو الذكرى بأن صفية كانت مجلب النحس على أخيه الشهيد في نظر الأم ،و كان أيمن مُصِر و الأم مُصِرَّة أما و الآن فلن يثلج صدر الأم سوى (نينا) يريد رؤية أمه و قد حقق لها آمالها بالرحيل من البلدة و الزواج من (نينا)التي لن تريد له أمه سواها ؛فقد بلغ فيها حد الهيام الذي يجعله يتساءل هل يمكن لأحد أن يرى نينا و ألا يعشقها؟ ما إن دلفا المنزل حتى سألته نينا عن الذبابة الفاتنة،

أدخل أصابعه بشعره لتدلف بين موجات الشعر و تساعدها على السير للخلف بنعومة مع ابتسامته التي تخرج باعوجاج من شفتين تبهتان توتراً(إنها نادرة لا توجد منها سوى واحدة أنا خلقتها!) تضحك نينا (أفكر كثيراً في أمر تلك الذبابة،هل هي طيبة أم شريرة)

(في الحقيقة لم أحدد و لكن الفتنة أمر خطير،لذا أخشى إنها أقرب للشر)

(و ماذنبها إن كنت خلقتها فاتنة؟)

(لاأستطيع الاجابة؛فالسؤال يشبه سؤال ماذنب الشيطان إنه خُلِقَ شيطان،وماذنب الوباء إن خُلِقَ؛ ليقتُلَ فاتِكاً بالأجسام،بعض الأشياء تخلق شريرة لتنشر المتعة المحرمة في القرب منها،و تنشر المتعة الكبرى في لفظها لمن يقدر) ولسبب ما اقشعر جسد نينا لدى كلماته و شعرت بقلبها و كأن أحد يقبض عليه فاقترب منها (أيمن) و أهداها صندوق أجهدت لما حاول عقلها التفكير في كيف أحضره و متى و هي شريكته في الهفوات منذ أن تقابلا في المتنزه و حتى سفرهما و دخولهما منزله في بلده ،كان الصندوق كالمُتَوَقَّع يحوى خاتم زواج رقيق و معه ورقة قال و هي تنظر لمحتواه بخجلٍ(لن ترديني مخذولاً من منزلكِ ،أليس كذلك)

(و لم لا؟)قالت و هي تبتسم

(هممم لأنني لدي حكاية،و انت تودين سماعها)

(ألن تحكيها؟)

(يجب أن تبقي لسماعها)،كانت الورقة تحوي عقد صوري بخط يده يملُّكها لمنزله نظرت إليها كان لون الورق أصفر و الكتابة باللون الأزرق الباهت كأنه قام بكتابتها منذ فترة و اصطحبها في جيب بنطاله حتى تعرَّق على الكتابة فأصبحت باهتة ،أمسكت الورقة و خرجت إلى الشرفة تمشط بعينيها الاتجاهات ثم قالت(غريبة لا أرى أهرامات و لا أرى مساجد!انت تغش)نظر إليها مبتسماً و بسط كفيه في الهواء،ردت أجبني(أين نحن،ظننت إنكم في مصر ترون الأهرامات من منازلكم)ضحك و قال (برحلة قصيرة من منزلكِ هذا ترين الأهرامات)طبقت عقد المبايعة و أعطته لأيمن في يده(لم أقبل المنزل بعد لتقول عنه منزلي)رفع

حاجبيه باستفهام فقالت(لا يمكنني أن أقبل منزل لا أعرف الطريق منه إلى الهرم) أخرج ورقة و قلم و رسم لها الخريطة المُعنوَنة بعنوانٍ من بيت نينا إلى الأهرامات ضحكت و قالت(كنت أمزح و مع ذلك احتفظ انت بالعقد الرسمي الممل و أنا سأحتفظ بالخريطة) ،(و حتى لو لم تكوني تمزحي،فالأمر نهائي ،المنزل قانوناً منزلكِ باعتراف هيئات الحكومة)

(هيه! لا يمكنك فعلها بدون أي إمضاء مني،لا أفهم في تلك الأمور و لكنني أشعر إنني لابد أن أوقع أوراقاً)ضحك و قال(لقد أتممت الأمر بدون توقيعاتكِ،أعرف كيف أسوي الأمور) و تزوجا في اليوم نفسه و القمر شاهدهما ...

بقيا في جنتهما خمسة أيام و قبيل فجر اليوم السادس استيقظ كأنما هاتف ما قد أوقظه و أخبره بشيءٍ ما، فشرع في ايقاظ نينا؛ لتنفيذ ما أُخبِرَ بواسطة الهاتف، يهزها برفقٍ في ذراعها فتجيبه بأنَّاتٍ رافضة الاستيقاظ و تغطي وجهها تحت الدثار فيغني(محدش شاف حبيبي أبو نظرة حنينة،ردوا على قلب تايه و غريب مش من هنا) يحرك رأسه بأسى مصطنع و صوت حزين(ماتردوا ياناس علينا أو حد يدلنا) و رغم إنه كان مازحاً إلا أنها استيقظت مأخوذة بصوته الحزين رغم رغبته في ممازحتها أعاد المقطع مرتين ثم توقف فنظرت إليه مستفهمة (ثم؟؟)

أجابها (في الواقع لا أعرف البقية!)

ضحكت باستهزاء(لا تعرف الشعر و لا الأغاني يالبؤسك!)

(و من قال!و حتى سأستطيع تلحين القصيدة التي أهديتكِ على الغيتار)

(تستطيع العزف؟)

(تعلمت من صديق مغربي قابلته في اسبانيا)

(لم تحدثني من قبل عن صديق مصري)

(الأرواح تتفق و لا تفتش عن الجنسية ؛فلا جنسية لها....)سعل بابتسامةٍ ثم قال (في الحقيقة لا داعي للتفلسف أنا فقط أعمل في الخارج لذا معظم صداقاتي من الأجانب) ضحكت و قالت(انت دائما تعترف!) بعدها ذهب أيمن مع نور شمس الفجر و لكنه لم يعد أبداً.

بقيت(نينا) أشهراً في انتظاره ؛تُرَدِّد ذلك المقطع الذي يتردَّد في بالها (ربما ربما ربما) خصوصاً إنه استطاع استحضاره يوم المتنزه، و لكن لابد أن المقطع قد فقد سحره و الأغنية قد فقدت فاعليتها في جلبه إليها ،مضت أياماً و هي تكتب إلى أسرتها ؛مؤجِّلة عودتها أسبوعاً تلو الآخر في حجج واهية، كانت تكتب إليهم؛ واعدة بالعودة في الأسبوع القادم و يمر الاسبوع و تعيد الكرة، حتى كتبت لها خالتها يوماً (هؤلاء القوم لا يعرفون أغنية (ربما ربما ربما)؛ فهم حاسمون بشأن الهجران، لن يرِق ليأسكِ و يعود لتسأليه فيجيبك (ربما ربما ربما)) كانت الرسالة كصاعقة ضربت قلب (نينا) الصغير، فمضت الليالِ في تقريع نفسها على سهولتها و رخصها التي جعلتها تصدق وعود عربي بشأن الارتباط و الحب و هي التي تم تحذيرها من الأمر مِرَاراً بل و أُقصِيت عن العرب تماماً من قبل أن تُولد ،و رغم إن معظم عائلتها تنتمي لأصول عربية ،إلا أن هؤلاء المعظم كانو أشد المحذِّرين و المُنبِّهين من التعامل مع العرب، تتذكَّر الآن بشدة تفاصيل صداقتها مع المغربي و كيف انهالت عليها التحذيرات بشأن إنه لا يريد سوى جنسيتها ؛ليهرب من أمثاله الذين ضاقت بهم أوطانهم، أما بشأن العلاقة المُستَقِرَّة التي سوف يقيم ستكون مع فتاة من بني جلدته، ستكون هي كمزهرية جميلة يعلو باقتنائه أياها على أمثاله و في الحقيقة كانت (نينا) حينما تسمع تلك التحذيرات و أكثر ،ما كانت تُفكِّر سوى بأن تتمنى أن عائلتها لم تكن لها أصول عربية ؛لتعيش كصاحبتها (ليزا) حرة كما اعتقدت ،كانت (ليزا) من أسرة كانت مسيحية يوماً ما قبل وفاة جدهم ، و كانت حكاية وفاة جدها إجابة كل تساؤلات الجميع عن كل شئون (ليزا) كأن يسألها أحدهم كم عمرك مثلاً فتجيب عندما مات جدي كنت في عمر الكذا و الآن في الكذا و كان أفضل الأسئلة التي تود (ليزا) سماعها هي سؤال بم تؤمنين؛ فهو سؤال مباشر عن حكاية جدها ،و لا يدري أحد ما سر حبها في أن تروي تلك الحكاية التي ملخصها(أنها ولدت في عائلة مسيحية مُكَوَّنَة من أب و أم و أخت غير عابئين بدينهم و جد يحمل الدين للجميع ؛حاثاً أياهم على ممارسته، و ذات عشاء عادي كمثل كل العشاءاتِ السابقة التي كان الجد فيها يصلي للرب؛ لتحل البركة على جميع المتعشين الضالين في نظرهِ، و في أثناء

تلاوته الصلاة سقطت رأسه و مات مختنقاً و الملعقة محشورة في حلقهِ فألحدت الأسرة من بعده ؛لائمين الرب؛ لأنه أخذ روحه مُختَنِقاً و هو يذكر اسمه ،كان جميع من يسمع الحكاية يقسم بغباء أسرة (ليزا) التي تلوم رب لا تعتقد بوجوده أصلاً، و كانت(نينا) تود لو وُلِدَت في عائلة غبية كتلك الأسرة التي تمنح (ليزا) الحرية كاملة؛ تضع المساحيق و تقيم علاقات كاملة و تخرج و تعود وقتما شاءت و تشرب الكحول في سنٍ صغيرة ،و على رغم كل التحذيراتِ و التنبيهات التي اعتقدت أن أسرتها تُبالِغ فيها استمرت علاقتها بالشاب المغربي حتى اكتشفت إنها فقط تشعر بالاشمئزاز منه و من شعره المُجعَّد المُهالِ عليه بمُثبِّت الشعر الرديء؛ ليعطيه مظهر مُبلَّل و أصابعه ناصعة البياض المُتجمِّدة التي تربطه بالموتى و تذكِّرها بهم دائماً ،و فطنت في النهاية إنها كان يجب عليها أن تأخذ بالتحذيرات و لكنها خُلِقَت للتجربة؛ فكان من الصعب أو من المستحيل عليها أن تتخذ قراراً بشأن أمر لم تدخله و عندما تنخرط في لوم نفسها على إنها لم تتعِظ من حكاية المغربي يتراقص تساؤل أمامها(مالدليل إن ذاك المغربي لم يكن هو صديق (أيمن) الذي علمه عزف الغيتار؟ ربما هو على سبيل الصدفة فيؤدي التفكير إلى تساؤلها هل حقاً يجب أن تستمع إلى خالتها و ترحل قبل أن تسمع عزف (أيمن)؟)،تحاول قطع تلك التفكيرات و النظر لهذا الشيء الذي يتراقص أمامها يغويها بأن تنتظر أيمن ؛فهو حتماً سيعود يستمر هذا الكيان بإغوائها يدعو نفسه بالأمل يتراقص أمامها بإستفزاز؛ لتتَّبعه و لكنها لم تتعرف عليه ؛فهي لم تعرف له من قبل شكلاً و لا تحفظ له لوناً و لا رائحة؛ لم تأمل من قبل شيئاً ؛فكل ما تريده يُنفَّذ فوراً و لذا لم تعرف هل الذي يتراقص أمامها الآن هو ذلك الأمل الذين كانوا يتحدَّثون عنه في الكتب و الروايات أم الشيطان المُضلِّل الذي يخدعها أن تنتظره هو الذي لن يعود أبداً ، تُحدِّث نفسها (على الأقل سيعود ؛ليشرح لي الشعر الذي أهداني أياه،و لكنني أخبرته إني لا أريد أن يشرحه ، و لكنه أخبرني إنه سيغنيه لي على ألحان قيثارة،هو لم يكذب أبداً،و لكن هل تصدقين حكاية رقصة الجنوب التي حكاها،هل هناك عاقلاً واحداً يصدق حكاية كتلك،أحتاج أن أصدقها،بل و أؤمن بها فهي الدليل الوحيد على

أن لا مكروه قد أصابه،و لكن أليست دموعي في الاشتياق مكروهاً عظيماً؟) تتذكر أنها أخبرته عن الأغنية إنها ستكون أجمل الأغنيات التي ستسمعها على الإطلاق، فأجابها (إذاً ستكون جميلة؛فأنا المؤمن بصدقكِ)تنتحب مُتسَائِلة ألم يكن موجعاً رحيله قبل أن تسمع اللحن،تتساءل أي ذنب اقترفت ؛لتُعَاقب عليه عقاباً كهذا، و أي عقاب أقسى بأن تنتظر لحناً وُعِدَت به لأشعار قِيلت لها، تشعر بمغصٍ شديد يكاد يفتك بها يجعلها تتأوه و هي متأكدة أن الوحيد الذي سيبريء ألم بطنها يداه ...

بالنهاية تظاهرت أن شيئاً لم يحدث و عادت لبلادها رغم يقينها إن شيئاً ما قد حدث .

تؤلمها بطنها بشكل مُستَفِز فتتعاون مع بحثها عنه و حر الصيف و نظرات الجميع المُستَفِزة المُتسَائِلة عن إجابات لا تريد هي الإدلاء بها؛ فدماغها في حالة تساؤلات لا تُجَابُ إلا إن قررت بعض الإجابات أن تتنازل قليلاً عن عنادها و أن تظهر لعينيها، بعد فترة ليست طويلة عرفت لم كانت تفكر إن يديه فقط من ستُبرِيء مغصها ؛لأن المغص كان بسبب طفله الذي يصنع الفوضى بداخلها ،تظاهرت عائلتها بالفرح ؛لحصولهم على حفيد رغم أن أي عائلة في أي بقعة في العالم لا يعجبهم أن تلد ابنتهم طفل بلا أب ،و لسببٍ ما يشبه السبب الذي جعلها لم تحكي عن (أيمن) لمخلوق استمرت في كتمانها لهويته فقط قالت انه شاباً مصرياً، حتى أخفت إنه كان زوجها رسمياً و بأن لها بيت في بلده و في الحقيقة لم يكن الجميع بهذا القدر من الاهتمام الذي يجعلهم يصرون لمعرفة هوية أيمن ،أخفيا نينا و أيمن كأنما كانا يغارا أن يسمع أحد عن ذكرهما فاحتفظا بنفسيهما داخل عقولهما..

تمر الأيام عليها ساحبة معها أدق تفاصيله لذاكرتها كشكل حرف السين بين أسنانه الناصعة و صوت عطسه الغريب و سعلته المصطنعة السريعة و حتى رفعة حاجبيه و حك أسفل شفتيه حينما يشرح أمراً، تتذكر كيف كان شكلها بداخل عينيه، يتردد بداخلها صوته و هو يغني بعينين تضحكان بنظرةٍ تَعِبَة ووجهٍ لا أوسم منه (محدش شاف حبيبي أبو نظرة حنينة ،ردوا على قلب غايب و غريب مش من هنا ،متردوا يا ناس علينا أو حد يدلنا) كانت حنجرته قوية

و صوته آسر للحد الذي يجعلها أسيرة بداخل الصوت في تلك الأغنية التي يغنيها كأنه ينعي أو ينتحب حبيباً ،لم يستطع اليأس من انتظاره رغم انقطاع الأمل في عودته، و كأنها أصبحت في غرفة مغلقة منعزلة عن العالم يتردَّد فيها الصوت بصداه فيمنع عنها أن تسمع أو ترى أو تشعر خارجه، تتذكر المقطع الغنائي فتذرف دموعاً ساخنة تجعل خديها بلونٍ أحمر كأنما تم سلخهما لحتى إنها كانت تظن إن الأمر راجع إلى أن عينيها كانتا تذرفا دماً لا دموعاً عادية مع تَرَدُّد الكلمات الجازعة رغم إنها لم تفهم معنى كلمات المقطع و لم تسأل عنها غريب،إلا إنها على الأقل فهمت معنى (نظرة حنينة) إنها لا تعني سوى نظرة (أيمن) و لكنها تتساءل كيف استطاع (أيمن) أن يُبدِي و هو يغني علي محياهِ نظرة حنونة رغم إنه كان يلقنها بكلِ قسوة الكلمات التي يجب أن تشعر بها في غيابه ، تحاول إبعاد الكلمات الجازعة التي تجعل عينيها تذرفا دمعاً عن فِكْرَهَا بأي تفكير آخر فلا تجد في بالها سوى صوته و هو يغني (أبداً تحن لكم الأرواح)باللحن الذي وعدها، لم تسمعه من قبل قط و لكنها تخيَّلته بهذا اللحن؛ فهو مؤمن بصدقها و هي مؤمنة بصدقه فلا يجوز أن يكون لحناً مخالفاً، تعرف إنه وجد لحناً رائعاً و تتخيله في رأسها يغني بتلك(النظرة الحنينة) التي سألته عن معناها فضحك و ترك السؤال بلا إجابة و لشد ما صار يُعضِّبُها نكران الإجابة؛ فكم يدفعها الشوق إلى سؤال السماء بنجماتها إن كن لمحنه أو حتى السحابات اللائي مررن فوق الجميع ،سألت صوت خرير الماء أن يتوقَّف و حذرت النوراس إنها ستصطادهن و تنتف ريشهن إن استمر صراخهن المُضلِّل، و أنذرت أوراق الأشجار إنها ستفرمهن في أدق مسحقة أوراق و تنثر مسحوقهن في أملح البحار إن استمرت في صوت حفيفها ،تمنت لو أنها وصلت للسماء السابعة وصرخت بأقوى مُكَبِّر صوت مصنوع بأيدي إلهية؛مُحَذِّرة الكون بأكمله أن يتوقف عن طبيعته المُتحرِّكة المُتكلِّمة، طلبت من الكون أن يصمت ؛فلها حبيب ضائع ،كانت تعرف إنه لم يكن ليهجرها، ربما هو في مأزق و بها يستغيث و أصوات الكون تغطي على استغاثاته،سألت عنه العرافات الغجر اللاتي لم تؤمن بهن من قبل ،كانت إحداهن تضحك بتشفٍ على عدم ايمانها السابق بهن ،و الأخرى تدمع عيناها

فقط ،وواحدة ترمقها بصمتٍ،اختلف اسلوب العرافات ،و لكن الرد كان واحداً، لم تخبرها أي منهن عنه شيئاً أبداً، مما أكد لها إنه لم يكن سوى ملاك؛ فلا يمكن أبداً أن تروّج الشياطين أخبار الملائكة على ألسنتها فتحترق؛ إرضاءَ لعرافات غجر ،تتذكر حينما كانا جالسين في المتنزه و كانت العرافة تتحدث لكل واحداً بم رغب أن يستمع مما دفعها أن يسميانها بالغشاشة،و كيف الآن يحاول الجميع من حولها أن يتهم (أيمن) بالغش و يسب أخلاقه التي دفعته لخداع تلك البريئة ،كيف لا يتفقون معها إنه ملاك لم يكن ذنبه حبها و لم يكن ذنبه أن يُسحَب لارتقاء السموات ثانية ، كيف يحاولون إثنائها عن تلك الحقيقة و هي تتذكر الثقة التي كانت تخرج من عينيه و هو يتحدث عن همز الشياطين للعرافات بالكذب يومها قال(هل تقرأ العرافة نجومها و تعرف غيبها ؟إذاً لم هي مستمرة فيم تفعل ألا يخبرها الغيب الذي تراه عم سيحدث لها ؟ ألا ينتزع معرفة الغيب شغف انتظار حدوث الغيب و المغامرة من حياتها؛ فلم ستكون بحاجة إلى عملات الناس التي تلح عليهم؛ ليرمونها لها)كان يردد دائماً أن من يستعين بعرافة لا تُقبَل صلاته لمدة أربعين يوماً ، سألته و لم ؟ أجابها (لأنه ليس على المجنون حرج) و ضحك بصوتٍ عالٍ رغم إنها لم تفهم، تحاول تجميع خيوط الماضي فيزيد من تأكّدها عن كونه ملاك حتى قبل أن تنتهي مهمته معها و يرحل ،تتذكر حينما كانت تتفحَّص ظهره العاري و هو مسجي على بطنه، تفتش بإصبعيها ؛لتكشف عن مكان جناحيه المخفيين، تتذكر كيف كان يُضحِكه الأمر بشدة للحد الذي جعلها توقن الآن أن ضحكته كانت سخرية منها ؛فمن المستحيل رؤية أجنحة الملائكة إن كانت على الأرض تمشي بيننا، فيستدير مُستيقظاً بشعرهِ الذي ينسدل على عينه ؛لخلوه من مُثَبِّت الشعر الذي يتحكم بشعره خلال اليوم فلا تستطيع أن تحدد أي وضع يمنحه جاذبية أكثر من الآخر، و لكن و إن كان أصلعاً أصلاً فلن تقصر شفتيه التي تتحول للون الوردي الباهت فور استيقاظه عن منحه الجاذبية بمساندة ذكرى نظرته و هو راحل بعدما وعدها أن يجمعهما القدر ثانية ،كان يومها يتحرَّك و عيناه ساهمة بنظرةٍ غير واضحةٍ لم تفهمها إن كانت نظرة شوقٍ أم احتياجٍ أم شهوةٍ أم مجرد نظرة مخادعة ،و لكنها كانت تظن إن نظرتها له يجب أن تكن

تَطَابُقٍ لنظرته؛ فحتى إن لم تكن تشبهها فهي تقصد أن تشبهها؛و لذا لا داعِ للتساؤل عن شيء هي فعلته، و يبدو أن الذكرى الواحدة تجرجر التفاصيل بل أدق التفاصيل لتتذكر تفاصيل مثلاً كطرقعة أصابعه في أذنها مازحاً، ترجع في دائرة أنها قد تيقَّنت من إنه ملاك حتى إنها استخدمت مقراب النجوم للبحث عنه بين النجمات ؛فالنجوم تحرق الشياطين المضللة و تفسح مجالاً للملائكة أمثاله بالعيش بينها كما أخبرها ،بحثت عنه مُطوَّلاً بين النجمات بالمقراب و لكنها أبداً لم تجده؛ فالنجوم كانت باهتة الضوء و الأجرام مُوحِشة تعرف إنه لم يطأها و إلا لما كانت مُوحِشة لهذا الحد، قررت الذهاب إلى قصر الحمراء ثانية لعله روح تحتاج التحرير أو شبح يسكن جنباتها و لا يوجد في سواها، لعله ملاك مُولَّى بجنة العريف ،و لكن القلعة لازالت كما هي صاخبة بالزوار و لكنها موحشة بشكلٍ غريب؛ جميع من يتحركون بداخلها غرباء حتى (ألفارو) الجالس بهدوءٍ على أحد المقاعد الاسمنتية في جنة العريف ؛هو نفس المقعد الذي جلست عليه مع (أيمن) و شهد على نظرته الغير واضحة..

تود لو تقبض على (ألفارو)و تلقي به إلى أعمق حجيم ؛فهو يشوه ذكرياتها مع (أيمن) على المقعد، يعبث ببصماتهِ مُخفياً بصماتِ (أيمن) و مُفسِداً أثر احتكاك معدن ساعة (أيمن) بالمقعدِ التي كان يحكها وقتها من التوتر .

يحدق فيها (ألفارو)وهي منتصبة تحدق فيه بغيظٍ لا يعرف له أسباب و تناست أن (ألفارو) الذي جاء الآن يتلمس مراقبتها كان سقف أمنياتها و فتى أحلامها يوماً ما ليس ببعيد، و كأنما مُحِيَ الآن من دماغها إنها ذات يوم قفزت من شرفة منزلها بمساعدة ليزا صديقتها؛ لتذهب للملهي حيث كان (ألفارو)يعزف بالغيتار ،تناست إنها كانت تشتري مساحيق التبرج و الملابس المثيرة و هي لم تتخط الرابعة عشر؛ لتلفت نظر(ألفارو) الناعس، تناست يوم سألتها (ليزا) (كيف سيعجب بكِ (ألفارو) و انت لم تبلغين بعد؟ لازلتِ طفلة!) فقامت بالقفز و ضرب و تدليك بطنها و دعك مبيضيها كما تخيَّلت مكانهما؛ ليزرها البلوغ و لتصل إلى ألفارو.

كان (ألفارو) ببشرةٍ بيضاءٍ شاحبةٍ وعينين ناعستين و شعر فاحم أجعد و مُبعثَر الخصلات

اللمَّاعة و يرتدي قرطاً أوحد في أذنه اليسرى، و كان طويل القامة و يكبرها بعامين، و كان ألفارو دائماً يسبق جيله بخطوة؛فهو أولهم حصولاً على عمل و أكثرهم اطلاعاً و عمقاً و تحصيلاً و أشدهم مجاراة لسنه وسنين تسبقه، كانت الفتيات كلهن يعشقن ألفارو و (نينا) أولهن، و كانت قد حجزته لنفسها عنوة بين الفتيات فامتنعن عنه مكرهاتٍ ،و لكن (ألفارو) كان كئيب المزاج ،عميق الفكر، صعب الإرضاء، لم يُعجب أبداً بروحها الطفولية المرحة التي تعشق الحفلات و التجمُّعات و تهوى الرقص و تجربة الكحوليات بحماقةٍ و إنما عشقها بعد أن ظهر (أيمن) في حياتها ،عشق (نينا) الجديدة التي عذبها وصل (أيمن) و فتك بها غيابه و أنضج روحها ،عشق كآبتها و غموضها الحزين و غيابها عن الحاضر الذي يظهر جلياً على عينيها السابحتين في الأفكار و الخواطر التي لم تتَكَشَّف لسواها فتشد الجميع شوقاً للتقصِّي ، تغيَّرت (نينا) بشكلٍ مُبَالَغ فيه، كانت تود لو تقتل البشر واحداً تلو الآخر حتى يظهر (أيمن) الذي يخفيه عنها الجميع يتستَّرون على غيابه و هم يعرفون أين هو، متأكدة أن حتى هذا (الألفارو) كالجميع يعرف مكانه و يخفيه بإتقانٍ؛ لذا تراه ينظر إليها بشماتة و هي خاسرة كنظرة الجميع المُتشفِّية الشامتة و همساتهم المتآمرة ،استدرات و رحلت و تركت (ألفارو) في منتصف امتصاصه لحضورها، لم يكتفِ بعد فتعلَّق الحبل بينهما و سحبته ،خرجت من أمام ألفارو بقرارٍ أن تعود لبلده ثانية فتبحث عنه بين أهله التي لا تعرف عنهم و لو أصغر تفصيله...

في بلاده التي لم تعرف فيها سواه بحثت و بحثت و أفرطت في البحث و لكنه لم يرجع أبداً فتأكَّدت إنه قد هجرها و رحل عنها للأبد ،و لكن لم لا يزال ظله أمامها يغريها بإتباعه ؟لم لا يزل صوته يتردد واضحاً و ليس خيالاً في أذنها عندما تسرح بفكرها؟ لم لا يزل يسكنها رغم إنه لن يعود؟لم لا تزل أنامله تزحف ببطء على رقبتها؟ أمسكت بأسفنجة الاستحمام و فركت رقبتها بشدة حتى احمرت كأنما تم سلخها؛ لتتخلص من أنامله،علت صوت التلفاز بمبالغة؛ لتتخلص من همساته و صوته، أشعلت البخور؛ لتتخلص من رائحته و لا يزال طفله ينتفخ في بطنها تشعر به يتحرَّك بداخلها ،لاتزال تشعر بسائله في بطنها يمتد من داخل رحمها ماراً بمهبلها نازلاً

على فخديها كأنه خيط ممتد لا تعرف نهايته و لا هي تراه لكنها تشعر به و تشعر بحيواناته تتحرك باستفزاز داخلها أدخلت أصبعها للنهاية ؛محاولةً استخراجهم و النيل منهم واحداً فالآخر و لكن بلا فائدة يتحرَّكون بسرعة شديدة مراوغين مُستغلِّين شفافيتهم تُدخِل اصبعها بعنف؛ لتصل للأعمق غير مبالية بالنزف الذي يحدث بل حتى لا تشعر به، فقط تشعر بخيط السائل المراوغ، تتذكر حينما حذرتهم المشرفة النفسية من الاستنماء لما له من أخطار و عواقب أخلاقية، كانت ساعتها تبلغ الثالثة عشر و لم تعرف عن الاستنماء شيئاً و لكن (ليزا) كانت تعرفه بتفاصيله التي أخبرت الجميع عنها كأنها مُكلَّفة بشرحه لهن؛ ليجربنه، جربته مرة فالثانية فالثالثة بجميع التفاصيل التي أخبرتها عنها (ليزا) و لكنها لم تحصل على أي متعة كما أخبرتهن (ليزا) حتى عجزت (ليزا) عن اجابتها فأخبرتها أن تنتظر البلوغ و كان أول فعل تفعله بعد بلوغها هو تجربته و لكنها لم تحصل على متعة أبداً حتى أيقنت إنها واقعة في مشكلة جنسية لم تعرفها و لكن تلك المشكلة قد ذهبت أدراج الريح يوم زواجها من (أيمن) ، فتنتحب جازعة (لم تفضي جميع التفكيرات بشكل ما إليه؟)؛ لأنه يعيش بداخلها ؛فقد رمي شيئاً بداخلها؛ ليعيش فيها فتشعر به و لكنها لا تستطيع لمسه و لا رؤيته، رحل بقسوة لا تضاهيها قسوة بعد أن انتزع طفولتها و ضحكتها و حيويتها و رغبتها، عندها فهمت أخيراً نوع النظرة التي رمقها (أيمن) بها في الحمراء ،ما كانت سوى نظرة شهوة؛ ليتمتَّع بجسدها اسبوعاً كما أخبرتها خالتها عن العرب من قبل، فقالت لدى تذكرها (لم يكمل حتى الاسبوع!) و ساعتها قررت إنها لن تبقى أسيرة ذكرياته و هو حر يتمتع بحياواتِ جديدة لا أثر لها فيها ،كانت ترتدي ذات الفستان الذي كانت ترتديه في لقائها الأول معه في قصر الحمراء كان فستاناً بلون فاكهة الشمام من الداخل و أزرار على الصدر و كان قصير الأكمام و لم يكن مناسباً أبداً للجو الذي يزداد برودة مع جسدها الذي امتنع عن الطعام و هزل ،و كانت البرودة تخفي تلك اللسعة التي تحب أن تشعر بها؛ تشعرها تلك البرودة أن لسعة البرد المكهربة التي كانت تسري فيها كلما اقتربت من أيمن الآن تسخر منها و تحرض كل صقيع العالم على النيل منها ،نظرت نينا حولها لترى محرك تلك البرودة

و لكنها وجدت فراغاً و أصوات صفير ريح يخترق النوافذ المغلقة نظرت إلى صورتها في المرآة أمامها وجدت فتاة ذات بطن منتفخ و عينين غبيتين تحمل كأساً خزفياً يحتوى على بقايا شاي تركهم أيمن يوم رحيله و من خلفها جميع الشامتين تتقدمهم ابتسامة أيمن اللامبالية، ترمي الكوب بقوة ليصطدم بالمرآة فتتحطم إلى ثلاث قطع و شظايا صغيرة تمسك بأصغر قطعة و أكبر شظية نظرت إليها تشبه إلى حد كبير قصبة قصر الحمراء في الخارطة المطوية التي كان أيمن يمسكها و يطبقها من التوتر يومها، قبضت على الكسرة بقوة حتى شحبت أناملها و جُرِحَ كفها ، شقت بطنها بفتحة عرضية ؛لتستخرِج آثار (أيمن) من داخلها، تشعر بالدم يخرج من داخلها دافئاً بشدة بدرجة حرارة جسد (أيمن) فترغب أن يتدفق لجسدها بأكمله يغلفها فلديها أطراف باردة و تحتاج أن يصبح جسدها بأكمله بدرجة حرارة جسد أيمن، فقد كانت تلك الحرارة التي تنبعث منه هي التي تعادل البرودة المحببة التي كانت تشعر بها مع لسعات خفيفة في عروقها في حضوره و لكن لابد أن البرودة طالت و طالت و لم يعادلها جسده البعيد حتى تحولت إلى صقيع ، تمسك بالدماء تتذوَّقها و تشُمَّها، تلهو بها ثم تغيب...

كان ل(ألفارو)جاذبية لا تُقاوم و لذا لم تُقَاوِم(ليزا) تلك الجاذبية حينما سألها (ألفارو)عم يجري مع (نينا) و رغم إن(ليزا) لم تعرف سوى النزر اليسير عن الأمر إلا أن (ألفارو) استغل هذا النزر في التقرُّب من أهلها القلِقين و استخدامهم لمساعدته على حشر نفسه في حكاية(نينا) و اقتفاء أثرها ،ظل ألفارو مُنجَذِباً لغموضها و غموض بحثها ،مُقتَفِياً أثرها دون أن يشعر هو أنه يجوب ورائها عبر قارات و بلدانٍ و مدن لا يفهم حتى لغة أهلها و لا سبب التجوُّل بينهم ،و أما هي لم تلحظه أبداً ؛على إثر انشغالها في بأسها من أيمن، أو ربما قد لاحظته و لكنها لم تعد تعرفه بعد بشكلٍ ما ،رغم أن فكرة أن يلحظها بتتبعها له من قبل كانت شغلها الشاغل لحتى إن فكرت أياماً في السفر إلى مصرها الذي لم تطأه قدماها قبل أيمن؛ لعمل سحر و جلب (ألفارو) كما في تلك الحكايات التي كانت تحكيها لها جدتها (هيام) أما الآن فكأنها لا تعرفه أصلاً و كأنه هو أيضاً يرى شخصاً جديداً وُلِدَ يوم قابلت(أيمن) الذي لا يعرفه (ألفارو) أصلاً، يراقبها يومياً

(ألفارو) في مصر، تمشي بعينين واجمتين غامضتين، تختر يومياً أماكن عشوائية لا يعرف (ألفارو) مالذي ينقصها فيها و هي الأخرى؛ كان يحركها العشوائية فقط ،و كلما ازداد الغموض الذي يحيط بها و الجنون الذي يعبث بخطواتها كلما ازداد ألفارو حماسةً في تتَبُعِهَا ،حتى اليوم الأخير الذي لم تخرج فيه من منزلها، انتظر ألفارو ميعاد خروجها و لكن بلا فائدة؛ الأنوار مُضَاءة رغم إن الصباح على وشك أن يمحو دياجير الليل و ألفارو يراقب، يتساءل إن كانت خرجت دون أن يلحظ فيتسلق السور ثم النافذة ثم دخل ألفارو ليجدها غارقة في دمائها، و تبدو أحشائها واضحة، هرع ألفارو بها إلى أقرب مشفى رغم إنه كان فاقداً الأمل في نجاتها من الموت في هذا البيت المنعزل، و لكن كونهما أجنبيين ساعدها قليلاً في إعادة روحها بعد إلقاء المرضى المحليين في الحجيم و استعارة أحرف الاطباء؛ لنجدتها في إيقاف النزيف و مع ايقاف النزيف وقفت روحها رغم إنها كانت حية تتنفس و ينبض قلبها ذهبت روحها إلى عالم (جيهان)رأت نفسها في بلدة لا تعرف عنها أية معلومة و لو صغيرة، فقدت فيها الزمان و المكان و الإحداثيات، كانت واقفة و في يدها قدح خشبي و به سائل رغوي أبيض تتلاعب بداخله الفقاعات و كان الناس جميعهم يلبسون جلاليباً قد رأتها نينا لمرتها الأولى في هذا العالم، و كانت نينا تلبس سترة مُتَّسِخَة الأكمام أجهدت نفسها في مواراة اتساخ أكمامها من الخلق حتى التفتت لما تفعل صبية قصيرة القامة كحيلة العينين و قالت و الكحل يختلط بدمعها الجاري(لا ترهقي نفسكِ،لا أحد من هؤلاء يراكِ!)ثم اندفعت منتحبة ،ظلت تبكي لساعات و نينا تنظر إلى الكحل الذي يتجدد مع بكائها ليختلط مع دمعها ؛ليُخرِجَهُ بلونِ القار، ثم صلبت جيهان المهدية كفيها و دفعت نينا قائلة(اخرجي من عالمي أيها البلهاء!)نظرت نينا بوجوم يحمل رداً(لم آتي برغبتي)قالت جيهان(لابد إنكِ تفكرين إنكِ لم تأتِ هنا برغبتكِ،و هذا الإثم من الظن)فغرت نينا ثغرها و قالت(هل تقرأين أفكاري؟) فردت جيهان(بالطبع لا،هي واضحة ،بوضوح الشمس التي خاصمتني حتى ذكراها،هيه!انتِ لم تنظري حتى لتتحققي من الشمس في عالمي!أياكِ أن تألفي اللامبالاة،أياكِ أن ترخي قبضتكِ و تضمين أصابعكِ المائلة،سأخبرك بالحكاية كاملة(على

قرع تلك الطبول الجلدية المرتخية!،)سدت نينا أذنها و فتحتها عدة مراتٍ لتتحقق من صوت الطبول الذي قرع فور أن أتمت الفتاة القول و أكملت بابتسامة دامعة(سأروي حكاية بنت المهدية المستحية،اسمي بنت المهدية جيهان،لم يختلف على أخلاقي من غير أهلى انس و لا جان و أقول من غير أهلي ،فرغم إني قبل فناء أجلي أُرهِقَتُ و أَرهقْت في حفظ أصلي و لكن ما أثار حب أهلى سوى من أخوتي ولدان ،بلغت مبلغ أرادوا الخلاص مني، قالو قد كبر سني ،فعلت المستحيل و لكنه ليغير من تعس حظي كان أقل من القليل،خاصمني العالم،تشفَّى في مصيبتي كل صحيحٍ سالم،أصبحت أتخفَّى من الفضيحة بعد أن كنت أمنح في الرقي نصيحة ،يومياً أردت ترك العالم لكارهيني ،كنت أتمنى بعينين تتوسلا بدمع الإهانات و الضرب التي أتلقاها من أهلي لسبب أجهله (غيرت نينا ملامح وجهها لانتهاء القافية و قالت مهلاً!)فهزت جيهان المهدية رأسها و قالت(لست شاعرة ،إنها حكاية و لها كلماتٍ مراتٍ تتفق و كثيراً ما تتنازع)و أكملت)صاحبني سوء البخت و سحب معه دورتي الشهرية ،انقطع حيضي و انتفخت بطني لمدة أشهر،قلت يا مرحباً؛ مثلي المهدية ،صائنة العذرية،لن يليق بها سوى طفل منفوخ من روح إليهة سأصبح مريم ثانية،يومياً تزداد الركلات في أحشائي المنتفخة المعتلة ،فخرجت إلى أرض زراعية أمسكت المنجل و شلحت فستاني و قررت أن أُخرِجَ طفلي يتحدث و عني يدافع،وضعت نينا يدها على فمها فرفعت جيهان حاجبيها و قالت(لستِ أول من يفعلها ،قلت في رأسي فلأموت لأنسى هؤلاء معدومي الشفقة،لأهرب فلاأسمع عنهم و لا أسعى لأستميل حبهم ،أنا متعبة لن أستطيع حمل لساني على القسم بأن طفلي مزروع في رحم مقفول بعذرية ،فجلست و بيدي المنجل و الفستان مشلوح ،مر من جواري فلاح فبقر بطني بالمنجل و رحل،فتش فيني و لم يجد ما يعجبه، فرحل و حسب، فأدخلت يدي في الفتحة فكان ما ظننته طفلاً شيئاً صلباً يشبة قلب البهيمة فغبت قليلاً، استيقظت كما أنا الآن، وجدتهم و ينوحون بجوار جسدي و يمسكون الشيء المجهول، أبي و أمي و الولدان ينتحبون يقولون ماتت و تعصف بأذهانهم الشكوك عن سبب موتي الذي يعذبهم كما تعذبهم

الشفقة على روحي التي لم تذق الراحة يوماً،ندموا على الأيام التي فيها تمنوا الخلاص مني،أما أنا فلست بحال أجمل من حالهم،أنا معذبة بالشفقة على أعينهم التي لا تتوقف عن البكاء علي،يعذبني رؤيتهم معذبين لفراقي ،عذابي أشد،أبي و أمي يظنون أن الشيء الذي خرج من بطني طفل مشوه،و الولدان يقسما إنه لا يمت للأطفال بصلة ،يقولون إنه مرض،و البلدة تقول انتحرت و الجنية خطفتها و قاتلي يجول معذباً على الروح التي أزهقها بلا فائدة،عذابي أشد بالشفقة،يظنون أن الميت مرتاح و لكنه الوحيد الذي لا يستطيع تفريج همه بين الحزانى بصياح،يحوم حول الجميع الذين يبكون غيابه و هو الحاضر المعذب بأحزانهم جميعاً،عذابي أشد!....،ستخرجين الآن ستقابلين واحداً و إن فعل شيئاً بكِ مؤذياً سيكون أقوى الأذى منكِ حكايتي،على قرع تلك الطبول المرتخية...قرعت الطبول و ظنت نينا أن الحكاية تعاد فقاطعتها بسرعة (من هو؟ أخبريني عن اسمه) و جيهان مسمرة في حكايتها المُعَادة ،و الطبول يعلو صوتها و جيهان تتحدث ،توسّع حدقتيها و تضيقهما و أمسكت جيهان بالقدح و سكبت السائل الرغوى و أعادته لنينا قائلة خذي إنها روح! وجدت نينا نفسها في سرير المشفى أمام طاقم الرعاية الصحية..

كان الطبيب ستيني أصلع منتصف الرأس و قصير القامة حلَّل الأمر على أن(نينا) كانت عازمة على إخراج الطفل و هو ما اتضح من الكشف على مهبلها و شرطِها لبطنها بسكينٍ و لذا كان الطبيب يحاول أن يتحدث مع (ألفارو) عن الطفل الذي ظن إنه نكبتها و لكن(ألفارو) لم يستطع أن يدير حديثاً مُتكَافِئاً مع طبيب عربي و في الحقيقة أن عدم استطاعته كانت مقصودة،و لذا قرر الطبيب منع الزيارة عن نينا لحين تحسُّن حالتها،جلس (ألفارو) على مقعد الانتظار و للمرة الأولى في حياته شعر إنه لازال غير ناضجاً عرف ذلك من نظرة الطبيب له كمراهق هو و (نينا) و ارتكبا الحماقات، و كان ليقبل بعدم النضوج و المراهقة و الغباء و بل و يُثْرِي على تلك الأمور حماقات أكثر لو كان الطفل طفله و إنما لكون الطفل ليس له هو ما جعله يشعر إن (نينا) قد نضجت دونه مع أحد الناضجين الذين يصنعون الأطفال ،أما هو

فلازال يتخبَّط بين طلاب الثانوية و الأطفال، تمنى لو معه غيتاره الآن لكان عزف لها لحن أغنية (ربما ربما) التي تعشقها فجلس يدندنها بحزنٍ و يخبط بأصابعه بين فخديه المتباعدين و هو منخفض الرأس، قضى الساعات جالساً يدندن أحياناً و يصمت أحياناً، و تلك الممرضة السمينة تغلق الباب و تفتحه ،و تنظر إلى ألفارو بنفاذٍ صبر يجعله يُنْقِص من عمره سنوات، تُذَكِّره تلك المرأة بنظرتها الغاضبة بعاملة الروضة التي كانت تعاقب الأطفال و تهددهم بذبحهم إن باحوا لذويهم ،تدخل الممرضة عند نينا و تخرج؛ لتُغلِقَ الباب بهدوءٍ شديدٍ و تقف برهة قبل أن تغلق الباب تنظر إلى ألفارو و هو ينظر إليها، كانت امرأة سمينة قصيرة القامة تعقص شعرها للخلف بوشاحٍ ضيق كأنما أصبح جزءاً من جسدها و أصابعها ممتلئة و بلا قفازات بلون أصابع الفيل إن كان له أصابع، و تضع أحمر شفاة لامع و تحدد شفتيها، و يبدو على كتفها من الأعلى شيئاً ما اهليلجي الشكل احتار (ألفارو) في تبينُّه فكان يحدق فيه مُضَيِّقاً حدقاته أحياناً لتبيُّنه ،أخيراً جلست تلك الممرضة مُستَقِرَّة إلى جوار أصيصِ الزرع الخاص بها الذي كانت تمسد على أوراقه المفلطحة ذهاباً و أياباً للحد الذي جعل ألفارو يتخيله حيواناً أليف و ليس مجرد أصيص زرع مجهول النوع، ثم قامت و اقتربت منه أخيراً و حدَّثته فلم يفهم ما تقول كانت تتحدث راسمة ابتساماتٍ مُصطَنَعَة و مُتَوَتِّرَة بشدةٍ و هو لا يفهم ما تقول، حتى تحدثت بانجليزية بالكاد فهم مقصدها ،و مفاد حديثها كان (أن الطبيب منع الزيارة و سيبلغ سفارة المريضة عن الأمر غداً ،و إن كنت تريد الحديث معها فلن أُكلِّفك الكثير من المال) فوافق ألفارو سعيداً على عرضها، و كان الأطباء قد بذلوا جهودهم في إنقاذ حياة الطفل و الأم مُتَاجَهِلين الأنَّات المحلية و تجاهُل بتجاهُل هرب (ألفارو) بنينا تاركاً الطفل مصحوباً بذكرياتِ (نينا) التي أُودِعَت مصحة جد ألفارو الدكتور (دومنغيز) النفسية بالاتفاق بين عائلتها و (ألفارو) الذي درس الطب النفسي خصيصاً؛ لطرد و إنكار (أيمن) من ذكرياتها ..

طُرِدَت الذكريات و خرجت (نينا) بعد ثلاثِ سنوات بدون ذكري عن سبب دخولها المصحة أصلاً ، تحيطها أسئلة عديدة أولها هذا الظل الذي يتتبَّعها و ما إن تلتفت إليه حتى

يذوب في الهواء ذوباً ،كانت شديدة الحرص على ألا تخبر عنه أحد خصوصاً الأطباء، تنفيذاً لنصيحة (مارتن)؛ كانت قد عقدت خلال مدتها بالمصحة صداقة مع امرأة خمسينية تَدْعِي نفسها (مارتن) كانت مصابة بنوباتِ هلع و تزداد تلك النوبات شدة كلما حاول أحدهم إخبارها إن (مارتن) ليس اسم خاص بالفتيات و لذا قبل بها الجميع كمارتن دون أن يعرف أحد عن سبب تسميتها لنفسها (مارتن)، و كانت هي من نصحت(نينا) ألا تحكي للأطباء عن شيء؛ فهم يفسدون الأشياء ،و تُعلِّل حكمتها بحكاية الرسماتِ التي تحتفظ بهن تحت وسادتها ،كانت تلك الرسمات -كما تصفها- عبارة عن شكل للأذن مرسوم بداخله دائرة بها مطرقة و رسم لكائن ظلامي يرفع المطرقة بأصابع قدميه ،كانت تزعم أن كائناً برأسٍ يشبه كوكب المشترى كان يتسلَّل يومياً و الجميع نيام؛ ليهديها تلك الرسمة بداخل مظروف، و سألته مراراً عن تلك الرسمة فأجابها يوماً (إنها أذن يعرفها) و رحل، كانت تنتظره يومياً؛ لإقتلاع المعلومات منه، و يوماً ما أخبرت الطبيبة عنه فاختفى عن الظهور و لم يخبرها عن صاحب الأذن و لا عن اسم الكائن الذي يعرقل طبلتها بمطرقته ؛و تنفيذاً لنصيحة (مارتن) لم تخبر (نينا) أحد عن الظل؛ طامعةً أن يستقر يوماً ؛ليتحدث إليها؛ تعرف إن هؤلاء المُتَتَبِّعون لديهم الكثير؛ ليتحدثوا عنه ،و في الحقيقة لم يكن الظل هو الشيء الوحيد الذي أرادت (نينا) السؤال عنه و حبسته ،بل كانت حياتها بأكملها الآن سؤال غير مُجَابٍ عنه ،لم لا تتذكر إنها تعاطت المخدر أصلاً الذي كانوا يخبرونها إن شعورها بأن شيئاً عظيماً ينقصها بسبب غيابه ؟و لم لا تستطع الشعور بأنها على مايرام رغم إنها تتشافى لمدة ثلاث سنوات ؟ و ماهي الذبابة الفاتنة التي لا تتذكر حكايتها و لم حينما تنتقى فستاناً الآن من خزانة ملابسها تبدو كل ملابسها جديدة عالق بنهاياتها الثمن الشرائي ؟و لم تشعر إن أغراض غرفتها بأكملها لم ترها من قبل؟ هي متأكدة إنها ليست مجنونة؛ فلو كانت مرتابة أو مُشتتَّة لكانت شعرت أن أهلها و (ألفارو) و (ليزا) و حتى الجد (مكسيم) كأنها لم ترهم من قبل و لكنهم تتذكرهم كأن لم يحدث شيء، أما بشأن الأغراض المُبدَّلة فكان يخالجلها شعور إنها ربما ماتت فتخلَّص أهلها من أغراضها و بُعِثَت من جديد فاشتروا لها جديداً

،و في الحقيقة لم يكن خصامها للسؤال بلا سبب؛ فهي تتذكر عندما كانت في المصح كم تسوَّلت الإجابات و توسَّلت المسئولين عنها، أن يخبروها عم ينقصها و كانت الإجابات مغشوشة مزيفة غير مُرضِيَة ،كانت على يقين إنها مغشوشة؛ فهي ليست فاقدة للذاكرة، يذكِّرها (ألفارو) بحماقاتها التي تُضحِكها؛ لأنها تعرف إنها حقيقة و ليست ضلالاً، تتذكر تحدي تناول المثلجات في حوض السباحة و تتذكر حينما لطَّخت جدار المدرسة بالبذاءاتِ؛ مُتعمِّدة ؛ليتم فصلها و تحضر حفلة (ألفارو) الموسيقية هي و عصابتها؛ لدعمه ، تتساءل لم تخلَّى (ألفارو) عن الموسيقى و اتجه للطب فتتذكر إن (ألفارو) كان دائماً غريب المزاج مُتَقلِّب الهوى، فتتساءل كيف لها أن تتذكر تفاصيل شخصية (ألفارو) و تفقد تفاصيلها شخصياً كما يتهمها الجميع ،و لازالت الأسئلة تلح عليها،يوماً ما قررت أن تُنهِي أمر تلك التساؤلات المُتعلِّقة (بألفارو) أو على الأقل تمنحه فرصة أخيرة ؛ليجيب عنها، قابلته و كانت ترتدي فستاناً أبيض مُشجَّر بورق أخضر ستحفظ عدد الوريقات عليه ؛فيوم كهذا لن يُمحَى من بالها ؛فهو اليوم الذي قررت فيه أن (ألفارو) يحبس إجاباتها ؛مُتعمِّداً لسبب ما سوف تسعى نحوه ،جمعت العديد من الأسئلة يومها ؛لطرحهم على (ألفارو) كهل قُصَّت قطعة من مخها أثناء تواجدها بالمصحة و هو ما يُفسِّر نظرة الكناس العجوز(رامون) إليها بضحكةٍ تُبرِز أسناناً صفراء و حاجبين طويلين بشعرٍ أشيب كأنه كان يتشفَّى فيها بضحكته و جرجرته لمكنسته خلفه فتجرجر معها الأوراق الميتة تعباً فتُحْدِث حفيفاً مع أصوات تكسُّرها و يستمر هو بسحب المكنسة و التحديق في عينيها بابتسامةٍ مُستَفِزة ،عندما حضرها هذا الخيال أخذت تنظر إلي الورقات النضرة على فستانها و تقبض عليهن بقوةٍ و تشكر السماء إن تلك الوريقات سيبقين نضرات للأبد و ينجون من دهس أقدام رامون العجوز لهن التي لا يصح وصفها سوى بقوائم، تتذكر اليوم الوحيد الذي رأت فيه رامون يتحدَّث كان الثلج يتساقط و المرضى جميعاً بالخارج يستمتعون بمشاهدة ندف الثلج الرقيقة و هي تتساقط بذاتِ خجل وردات الربيع، يومها هجمت (مارتا) على رقبته و كادت تخنقه فنفضها عنه بابتسامته الشريرة التي أذابت ندف الثلج الساقطة حولها، كانت

مارتا تصرخ و تقول كنت حاضراً يومها يا (رامون) رأيت الأمر برمته أيها الخنزير، رأيت المقص الصديء و هو يقص من مخي فأبعدها رامون قائلاً و هو يسعل(أيتها المعتوهة) اقتربت نينا إليه فخفض صوته و أحني رأسه و قال (معتوهة) و نينا تتفحص أسنانه الصدئة و تسمع سعلاته التي يحفزها رائحة أوراق الأشجار المسحوقة الملتصقة فيه؛ انتقاماً منه،سألت نينا (مارتن) عن حكاية (مارتا) فأخبرتها إن (مارتا) تزعم إنها كانت المرأة التي زعمت إنها رأت الصبي يقتل والده في فيلم (اثنا عشر رجل غاضب) و تم إعدام الصبي بناء على أقوالها التي زعمتها بلا سبب، فصارت روح الطفل تطاردها، فكتبت سيناريو آخر ينجو فيه الطفل و سُرِقَ منها و أُنتِج الفيلم و تم إيداعها المصحة لإصرارها إنها الكاتبة الحقيقية للفيلم و لم يكن رغبتها في أن يعرف الجميع عن كونها الكاتبة لأنها تسعى وراء الشهرة أو المال و إنما حتى ترضى عنها روح الطفل عندما تراها نادمة؛ فلا يوجد ماهو أقسى من إحساس بالعجز التام الناتج عن الندم ،و تقول إنها كانت تملك دليلاً قوياً على إنها هي الكاتبة و كان موجوداً في قطعة المخ التي قصتها لها المصحة المتواطئة مع الكاتب المزعوم للفيلم، حاولنا جميعنا إقناعها بلافائدة إنها كانت طفلة في عام 1957 حيث سنة عرض الفيلم كانت مارتن تتحدث و هي تجدل المطاط لصنع ربطة شعر و في النهاية قالت(نينا أحب مخاصمتكِ للسؤال،و أقدر ثقتكِ في منحي الأسئلة المتبقية،يا فتاة منحكِ الرب الفطنة،ابقي على حذركِ،يجب أن تخفي أسئلتكِ عن الكثيرين) و في تلك الأثناء حيث كانت(نينا) مستغرقة في التفكير بشأن الأمخاخ المقصوصة و الأسئلة المخفية،كان (ألفارو) تائه في عينيها السرِحتين؛ يحثها على التوقُّف عن التفكير في الماضي؛ فطالما هي تتذكر إنه حبيبها فمالداع من الاصرار على إن هناك شيء مفقود؟ حينها أكدت (نينا) إيمانها بنصيحة (مارتن) بأنها لن تسأل و لكنها لم تستطع منع نفسها من أن تطلب من (ألفارو) أن يعزف لها بغيتاره لحناً تتذكَّره،.

تُحاوِل أن تدندنه فيمسك (ألفارو) بالغيتار و رغم إنه بارع في العزف حد الاحتراف إلا إنه يصر على تضليلها في اللحن و تغييره ؛ليوهم دماغها إنها تحفظ لحناً آخر و لكنها لا تسمع في

بالها سوى اللحن الذي تتذكره و تعرف إنه لحن لكلماتٍ معينة و لكنها لا تتذكرهن أبداً، و كأن الهواء غاضب على تحريف اللحن المقدس بقصدٍ، فيعبث بفستانها المُشجَّر و يشعِرها بالبرد و لكنها تتساءل ما ذنبها، و هي كمثل هذا الهواء الطاهر تريد سماع اللحن،تتساءل ترى لو كان للهواء لسان أكان نعتها كذباً بالمجنونة متواطئاً مع الجميع،تنظر بغيظٍ إلى أصابع (ألفارو) المُتحرِّكة بخطأ مقصود على الأوتار فتجد منتصف الأصابع من المُقدِّمة حمراء من أثر وشمٍ حديث الصُنْع ،تدقق النظر على أصابعه المُتحرِّكة فيجمعهم لجوار بعضهم مُشكِّلاً قبضة؛ ليتضح إنها حروف اسمها (نينا) و يخبرها ضاحكاً إنها مصدر قوته تسأله(ألايؤلمك أثر الوشم؟)

(لا يؤلمني،ربما تنخزني قليلاً) يسكت لمدة ثوان ثم يُكمِل(هل تصدقين إن النخز يتوقف كلما اقترب كفي منكِ) تبتسم، فيُكمِل(لم أقصد مغازلتكِ،أنا أعني ما أقول كفي يحبكِ؛ تناسبه الطاقة الخارجة منكِ ،الأمر نفسي) قالها و زفر هواء من داخله براحة،تُقَاطِع بإبتسامة(أنا لا أؤمن بهذا النوع من الأشياء)

تابع و كأنه لم يسمعها و هي تنكر علمه(أثناء دراستنا واجهتنا حالة غريبة،كانت امرأة في نهاية العقد الثالث، و كان تشكو من مرض غريب بأنفها،لم يستطع أحد من الأطباء تحديده، كان أنفها أزرق اللون و به بثور غريبة مُمتَلِئة بسائلٍ مجهول ،و يومياً كان يذبل أنفها كثمرة في جذع مقطوع من شجرة كأنه سيسقط، في البداية تم تصنيف الأمر على أنها مصابة بالجذام و لكن بعد إجراء بعض الفحوصات عرفنا إن شكنا كان خاطيء و عرفنا أن تلك المرأة كانت تكره أنفها بشدة ؛كانت تظن إنه كبير للغاية و لا أمل في أن ينكمش حجمه يوماً ما أو يصمت الناس عن تشبيهه بخرطوم الفيل و لا فرصة لديها لجراحة تجميلية فكرهت أنفها و كادت تلفظه من جسدها نهائياً) يصمت و تنظر إليه بإعجابٍ و هو يتحدَّث و يحكي و يسرد تفاصيلاً، تتأمل فيه قد تغيَّر كثيراً لم يعد_في تلك اللحظة_ كئيب المزاج غامض الهوى عميق الابتسامات التي لم تكن تتعدى عينيه فتسأله(هل ستصبح طبيباً مملاً مع مرور الزمن؟) يضحك بصوتٍ عالٍ(هل تجدينني ممل؟)

(انت تتغير!)

(إذاً أنا لست ممل؛فالتغيير يساعدك على رؤية أطوار مختلفة ؛لذا فهو عكس الملل) لايزال يجول في بالها كيف أصبح مُبتَهِجاً بهذا الشكل؛ ليحاول أن يبعث أملاً في شخص لايدري سبب شعوره أن الأمل خاصمه، لا تجد سوى حلاً أوحد لسؤالها و هو ربما أن (ألفارو) سرق روحها ؛لأنها عشقته و استبدلها بروحه المعتمة، و لذا لم تعد تراه غامض الهوى، يروادها دائماً خيال أنها مسجية على ظهرها ترتدي قميصاً أبيض مُنتَزَع الأزرار و مفتوح بالكاد يواري جسدها و ألفارو يمرر اصبعه بين ثدييها حتى يصل لسرتها صانعاً خطاً أحمر بأظفره ثم يمسك بسكين مُزَركَش بالورود و يشق جسدها من مكان العلامة التي صنعها و لكن ما يخرج ليس دماً و إنما بخار بارد بشدة للحد الذي يؤلِمها و يؤلمه هو الآخر فيبدو عليه إنه يجأر و لكنها لا تسمع صوته ؛لانشغالها بالبخار الذي يحاول (ألفارو) حبسه في كيس و يركض به ؛ليصل لأعلى جبل و يلقيه فيتفكَّك في الهواء و ينتشر عبر الأرض، تتساءل لم يلح عليها هذا الخيال و كيف لا تستطع التفريق من كونه خيال أم حقيق ربما حدثت ربما كانت تلك آخر لحظات في حياتها الفائتة في كون آخر و لأنه من غير الصحيح أن نتذكر حيوات سابقة في حيواتٍ حالية فربما يكون هذا السبب في إحساسها بعدم الاتزان ، تزفر الهواء من أعماق قلبها و هي تتساءل هل كان عشقها (لألفارو) مؤذياً لهذا الحد و لم لا تتذكر كيف أصبحت خطيبة (ألفارو) ،تمر الأيام و تزيد كآبتها و إلحاح الأسئلة على رأسها فتزيد معها إلحاحات ألفارو بأن تتابع الذهاب للمصحة في الجلسات الاسبوعية ؛ليقصوا عليها حكاية إدمانها و خطوبتها لألفارو للمرة الألف فتتهرب من الذهاب لتلك الجلسات ؛إذ أنها لاتستطيع تخيُّل حكايات المصحة في رأسها ،لا تستطيع رسم الأحداث التي يرويها المعالجون، لا تستطيع اعادة تمثيلها في رأسها لسبب ما و هو الذي يضايقها بقدر ما تضايقها نظرات(رامون) و ضحكته المرعبة و عصا مكنسته المقرفة ،و حتى ذاك الظل الذي يتبعها و يكره المصحة بقدرٍ تحذيرات (مارتن) لها و بقدر كرهها للمكان، كان أول يوم تشاهد ذلك الظل فيه ليلة عيد الميلاد في السنة الثانية من وجودها

بالمصحة كان كدخان يتصاعد من خلف شجرة عيد الميلاد ،في البداية ظنت (نينا) إنه ناتج عن حريقة صغيرة تحدث في الشجرة فأسرعت لإنقاذ حبل الأمنيات الذي وضعته في الشجرة حتى لا يحترق، فشاهدت هذا الظل في خلف الشجرة كان بحجم سمكة الأنقليس و كان يحرك جسده مثلها تماما، و لكن بوضع قائم و بهدوءٍ شديد ،يتحرَّك مُخترِقاً الأبواب المُغْلَقَة و أجساد البشر، بعدها أخذ جسدهُ في التغير ؛فتارة يصبح سميناً جداً و تارة يعود للوضع الأول و تارة يتشكَّل كشخصٍ بالغ و أحياناً كطفل و أحياناً كشجرة غرقد زاحفة على الأرض، و كان أكثر الأوضاع التي تحبها (نينا) لهذا الظل هو تشكُّله بماردٍ للتو خرج من مصباح محكوك كدخان يتعاظم لا تعرف تحديداً لم كانت تحب تلك الهيئة بالتحديد للظل و لا تعرف لم أصلاً من الممكن أن تجد في قلبها رضاً أو حتى إعجاب لتَشَكُّل شيء غبي، يضايقها بشدة؛ لعدم وجود وجه له ليبين إن كانت حزين أم سعيد أم مُتَحَمِّس أو حتى يبتسم بخبثٍ... و على كل كانت تطبق نظرية (إن المتتبعين دائماً لديهم شيء يهمنا سماعه) كان هو يتتبعها لتلتفت ثم يمضي ليحثها على تتبعه فيختفي بعد ثوانٍ ليظهر و هو يتتبعها في مكان آخر..

و قبل أيام من الموعد المُحدَّد لحفلة زواجها من (ألفارو) كانت تجلس في شرفة غرفتها تتأمل في الطلاء الذي تسطع أنفها رائحته؛ فيؤكِّد لها الآخر إنه حديث الطلاء ،يرنو إلى الزهرة التي لا يتعدى عمرها الشهرين موضوعة في أصيص غريب على عينيها ،فيؤكِّدا لها أن تلك الأشياء و غيرها لم تنتمي إليها يوماً،تنظر إلى السماء بصدرٍ ضائق و تسألها؛ إذ أنها متأكدة إنها ستكون الذكرى الوحيدة لها من عالمها القديم، تعبث كوكبات النجوم برأسها ؛لتخبرها إنها يوماً ما فتَّشت السماء جرم جرم و نجمة نجمة و غباراً غباراً؛ لتبحث عن شيء و هي أكيدة إنها لم تجده بعد؛ إذ أن عينيها مستمرة في البحث رغم نسيانها عم تبحث ،و تؤكِّد لها تلك الأفكار:السماء الصماء التي تسمع و تنكر ببلاهة و لغزٍ مفتوح، تصعد فوق سطح المنزل؛ لرؤية أوسع فتصطدم بمقرابِ نجومٍ مُوجَّه للأرض و ليس للنجوم ترفعه فتجد بداخله ذاكرة آلة تصوير مُنتزَعة ،تُفتِّش في الصور على الحاسوب و الذاكرة معطوبة تعلن التوصيل و الفصل، تظهر

صورة لنقش على رخام في قاعة الأختين بقصرِ الحمراء ،رغم إن الصورة لم تتعرف عليها بوضوحٍ الآن إلا أنها لا تستطيع سوى أن تنسبها لروحاً قديمة أو شبحاً كان يسكنها يداعب أنفها الآن برائحته التي حضرت مع الصورة فينبض قلبها بشكلٍ يحبس الأنفاس و تسرى البرودة لأصابعها و تتوه حدقات عينيها فتعود على إعلان الذاكرة انتهائها عن العمل نهائياً ؛بعطبٍ لا يُشفَى ،و رغم إن الصورة الوحيدة التي عرضتها الذاكرة قبل أن تتلِف نهائياً لم تكن هي فيها فكان من الممكن أن تعتبر أن المقراب في الأصل ليس لها و الذاكرة لا تخصها إلا أنها كانت مُستَمِية؛ لاستحضار ذكرى لم ذهبت لمكان كهذا؟ كيان ما في الصورة يناديها يطلب منها ألا تنساه، يخطو خلفها كظلاً ،كطيفاً، يلحِّن لحناً تحفظه، يخبرها بألا تعلو عليه و تأتيه مُتذَكِّرة، يعاتبها على انصياعها لخطط شيطانٍ آثم يضللها؛ للتتناسى الوعد بكل ريع، يخبرها أن حفيف أوراق الشجر وخرير الجداول يومها اتفقا على أن يكونا شاهدا على قطع الوعد بألا تنساه، يخبرها أن السماء يومها كانت حاضرة و النجوم مُستَمِية في الوهج ؛من شدة تأثُّرِها ،يخبرها أن القمر يومها قد أنار جسده كاملاً؛ ليشهد الوعد، يومها هرولت السحابات الخفيفة و حتى الثقيلة على نداء أمها السماء ؛لتحضر حتى ندف الثلج قطع هذا الوعد ،هي تعرف ما يقول و تتذكر يوم نادت السماء أولادها فالتف أبنائها بمن فيهم الأرواح العابرة و الأشباح الهائمة، و لأنه ليس شائعاً أن يُقطَع وعداً حقيقي بعدم النسيان كان الجميع مُجتَمِعين، تنكز الأشباح بعضها؛ لتنتبه و تندم الأرواح الهائمة؛ لأنها لم تقطع وعداً مُشَابِهاً يحررها من ضياعها قبل صعودها السماوات ،و يتآمر الشياطين على أصحاب هذا الوعد ، لأنها تتذكر أن شخصاً ما قد أخبرها أن للشياطين مزاج في الإيقاع بين البشر؛ ليتآمروا على بعضهم فيكرههم الرب؛ لذا فهي متأكدة أن الشيطان يومها قد همز فيها بالنسيان ،و لكن كيف يقبل الجميع أن يكونوا متواطئين مع هذا الشيطان الخبيث في سلب الذكريات التي وعدت في استبقائها ،و بمساندة أفكار (مارتن) و التفكير في الأمر وصلت إلى قرار: بأنها حتى لو استرجعت ما تريد ستبقى تتظاهر بالنسيان؛ فهي لا تعرف من متواطيء و من بريء؟ و لذا لن تعرف خطة الشيطان إن علم

بأنها تذكرت جزء، قد يضللها قبل أن تُلملِم بقية التفاصيل ،و لا تدري لم الشيطان يريد النيل منها ،أي ذنب اقترفت ؛ليتعقبها شيطاناً و يتواطأ معه الجميع، رغم إنهم يعرفون إنه شيطان و يكرهونه في معظم الأحيان التي يحاول إيذائهم و لكنه لديه طريقة شيطانية في جلبهم لصفه في إيذاء الآخرين فيتواطئون بغباءٍ و دورهم قادم، فكرت كثيراً من تسأل عن الأمر من سيمنحها الاثبات بأنها لا تهذي من سيؤكِّد تأكدها إن التفاصيل التي حصلت عليه في المصحة افتراء على حقيقة ما، و هداها التفكير بالنهاية إلا إنه لن يستطيع مساعدتها سوى دمية (الأرنب الهرم) كما دعتها في عقلها ،كانت تراها مرابضة بيأسٍ في القبو بين الأثاث المُكسَّر و الأجهزة التالفة المُهمَلة المُلصَق فيها الأمل بأن يتم إصلاحها و تشغيلها يوماً ما، رغم إن الجميع يعلم بأن هذا اليوم لن يأتِ، و لكن الجميع يأبَ الاعتراف بالأمر؛ إذ أن الاعتراف سيكون بمثابة اعتراف إنه يجب حالاً التخلُّص من تلك الأشياء، لم تستطع التذكر لمن هذا الأرنب و من خذله و أسكنه القبو ؛لتصبِغ الأتربة فروه و تذبل عيناه بهذا الشكل الخانق ،رأسه محنيَّة للأمام كراهب يرجو التوبة على ذنب عظيم صعب الغفران أو كشخص نادم على تعرضه لخذلان و تم إذلاله، له شوارب شعثاء تفكر و هي تتأمل فيه هل تملك الأرانب شوارب فتنتهي إلى إنه إن كانت الإجابة بلا فلابد إن سبب خذلانه و تسكينه هذا القبو هو اختلافه بشواربه أو ربما من العادي أن تمتلك الأرانب شوارب و لذا يجب أن تجد سبب آخر ،و لكنها تفكِّر مالها و مال سبب خذلان الأرنب؛ هي فقط تريد سؤاله عما يخصها ؛فعينيه تحبس لها الإجابات و لذا يحاول لفت نظرها بتلك اللمعة المثيرة للشفقة كلما زارت القبو، تحاول استجواب الأرنب الهرِم و لكنه صامت كقبر فارغ في صحراء أو ربما صامت كدمية مُهملَة في قبو، تضيء أنوار القبو فتشاهد مجموعة من أثاث غرفتها القديم قبل أن تستبدله أسرتها بجديد؛ لسبب تجهله هي، ترجع لسؤال الأرنب عنه ؛فهي تعرف إنه كان شاهداً على اليوم الذي تغيَّر فيه أثاث غرفتها الذي كانت قد سألت عنه أسرتها يوماً فأُخبِرَت إنها من طلبت كعادتها في طلب الأشياء و لكنها كانت أكيدة إنها لم تفعل ؛فهي ليست فاقدة لكل أحداثها إنما تفتقد جزء

معين فقط و هو ما يعصبها خصوصاً إنكار الجميع لفقدانه، تتذكر حينما كانت في المصحة و كانت تصرخ طلباً للدكتور (دومنيغيز) شخصياً تخبره إن الجميع ينكر فقدانها لشيء ما و ينعتونها بالمسكينة، فيبتسم ابتسامةٍ مقرفة تبرز طقم أسنان باهظ ؛ليخبرها كما الجميع بأنها هنا تتعالج من الإدمان و ليس فقدان الذاكرة تستغيث بألفارو فيساند ضلالهم.

تنظر إلى الكرسي الهزاز الذي تتذكر وقت اشترته، أصبح مُهمَل في القبو، تسأل الأرنب مُجددَّاً و هو صامت خائب العينين، كأنما أقسم على خذلان الجميع كما خُذِلَ، تعده بتنظيف فرائه و تبنيه و هو مُصِر على صمته، فترميه بعصبية(لايليق بكَ سوى أن تبقى قذر في قبو مُهمل بين أشياء تُقزِّز المقرفين، لا أبغى ماضياً فلتذهب مع ما تخفيه للجحيم و لأخبرك لا أريد أثاثي القديم)) تُمسِك بمقص تقليم الأشجار المفصول شفرتيه و تنطلق في تخريب الأريكة المشجرة فيتطاير الأسفنج أيما تَطَايُر و الأرنب مازال صامتاً ،تفكِّر إن الوسائد لايمكن أن تبقى على حالها و أريكتها تالفة، تشقهم بشفرة المقص المكسور فتخرج منها ورقة تكوّمها سريعاً و تخفيها في حمالة صدرها قبل أن يلاحظ الأرنب الهرم و تصعد سريعاً غرفتها (لا تدري لم أخفت الورقة سابقاً و مالذي تتوقَّع أن يكون مكتوباً بها و لكن ما أخفته من قبل يجب أن يختفي الآن، كانت الورقة لعقد صوري لتملُّك منزل و اسمها مكتوب فيه بالعربية ولا يظهر اسم البائع في العقد كأنما تم كتابته بيد طفل لا يفقه شيء عن أمور بيع المنازل و في الحقيقة لم تكن نينا على دراية أكثر بالموضوع، و في الوجه الثاني من الورقة مكتوب بالعربية الخريطة من منزل نينا إلى الأهرامات و مرسوم برسم تصوري منزل مكتوب عليه بيت نينا و مدرج عنوانه و يصل إلى رسم آخر للأهرامات بطرق ، و على عهدها لم تخبر أحد و إنما هرعت مع شمس الفجر نحو منزلها في مصر و كيف لا تهرع إن كان الظل يسبقها إليه بدلاً من أن يتبعها...

يتحرك الظل كأنما يتم التلاعب به رغماً عنه، فتتساءل مجدداً عن هذا الأسود، ماهو؟ مالذي يحرِّكُه إن كانت لم ترَ له عينين تريا و لكن مالمشكلة؛ فالسماء أيضاً ترى بلا عيون و تذرف دموعاً بلا حزن؟ و تكتم أموراً بلا قلب، ربما هو الآخر لديه ظروفه التي لم يتم الكشف عنها،

يستمِر في الحركة الجديدة الغريبة فتراه يسبقها لا يراقبها على عادته منذ أن صاحبته ، صار كأنه يقصد أن يتراقص بين الأضواء؛ ليعاندها أو ربما يحكي للأضواء عن الذي أظلمه و هو لا يعي إنه يثير حيرتها بين المتحركين و رغم حركته الغريبة إلا إنها لاحظت إن حركته أصبحت محدودة المكان، مختاراً شخصاً مُحدَّداً مُتَحَرِّكاً في محيطه ،يجلس على طاولة الانتظار و يحتسي مشروباً كان ساخناً و يعرف الجميع من هجران البخار له إنه تم تبريده ،و كان يتفحَّص (نينا) بيعينيه الرماديتين التي تناسب شعره الرمادي بأكمله رغم إنه في منتصف الاربعينيات و يبرهن على الأمر شاربه الأسمر الوحيد بلا لحية و كانت هي الأخرى (نينا) تتفحصه؛ لتعرف لم يختفي جزء معين من الظل فيه، كان يتحرك كأمير من أمراء القصص الخيالية يرتشف القهوة ممسكاً بطبقها و يمسح بعد كل رشفة على الرغم من إن الرشفات لاتترك أثر على شفتيه الرفيعتين اقتربت منه سيدة شابة على مايبدو إنها تائهة فانتصب قائماً؛ ليجيب تساؤلاتها ثم أحنى رأسه في النهاية احناءة خفيفة و رحلت السيدة بعدها أخرج سيجاراً كوبياً و صار يدخنه على مهلٍ يخرج حتى الدخان المحروق بطريقة راقية ،صعد الجميع إلى الطائرة و عينيها لازالت مُتَعلِّقة ببعضها ؛لأسباب مجهولة لكليهما ،انفصلا حينما دخلا الطائرة و عاد إليها الظل بسواده كاملاً يتلاعب بلا هدف أمام عينيها قامت من مقعدها؛ لترصد الظل و لكنه توقف أمامها يتراقص فقط، فطلب منها المضيف العودة إلى مكانها و هو سيقوم بمساعدتها، فسألته بصوتٍ هامس (تلك الظلال الخبيثة! لم تراوغنا بعدم رؤيتها ثم تقرر فجاءة الثبات، تُرى مالذي تعنيه؟)

(ربما هي وصلت لم تريد؟)يرد المضيف بلهجة استفهامية

فترد نينا بيأسٍ(هذا الظل الغبي! إنه ينقص ، تتلاشى أجزاء في منتصفه يصبح مثقباً بنورِ الشمس،و هل يريد شيئاً لنفسه الفناء؟ الظلال تحركت حيث تتخلَّى عن أجزاء منها يرمي بنفسه إلى الهلاك و الويل)

(ربما هو عملها و قدره الذي يركض نحوه)

(هل من الأفضل أن ينقص الظل أو أن يبقى على حاله؟)

(بالنسبة لي احتاجه لأن ينقص؛ فأنا أحب الضوء و أخشى الظلال .) تشعر بالخجل لدى رؤيتها لأعين المضيف و هي متوترة من الحديث الدائر؛ فهي تعرف أن الجميع ربما بمن فيهم هي يكرهون الظلال، و تتساءل ماذا إن عرف الجميع إن هناك ظل مربوط بها،يتركها المضيف ؛لتلتزم بمقعدها و يتحرَّك ليساعد آخر و عيناها مربوطة به تود لو توقفه فتترجاه ألا يخبر الجميع عن سؤالها بشأن الظلال الذي سألته فجأة دون أن تراجع عقلها ،و في تلك الأثناء كان الرجل الراقِ الذي أنار جسده جزء من الظل يتحرَّك بين المقاعد؛ مُتَفَحِّص الجالسين ؛باحثاً عنها، تحدَّث قليلاً مع المضيف عن تبديل مقعده و هو يقف مرفوع الرأس غير مهتم إنه في طائرة تحاول شق عنان السماء ، ترفع يده الموضوعة في جيبه من حرف وزرته، و يستخدم اصبعاً وحيداً من اليد الأخرى في الحديث و أخيراً نجح التفاوض بشأن المقاعد مع المرأة التي تجلس إلى جوار (نينا)،لاحظت نينا أن الظل قد توقَّف لجوارهما ،يمد الظل يده إلى صدر الرجل الذي يعلو و يهبط مُسرِعاً بطريقةٍ غريبةٍ، تنظر إليه (نينا) و تقاوِم رغبة مُلِّحّة بأن تضع يديها فوقه ،و أن تلمسه بخدها ،تشعر إنها تريد استبدال العالم بضمة من صدر هذا الرجل الذي تعرف يقيناً إنه ليس جذاباً بالنسبة لها و رغم ذلك تريد ضمة من صدره الذي يغدق عليه بعطرٍ قوي يُخفي حقيقته التي تبحث عنها،يقَاطِع الرجل نظراتها الغريبة بقوله(لا يمكن رفض صفقة تبديل مقعد رجال الأعمال مع مقعد الدرجة الاقتصادية) تنظر إليه باستغرابٍ فيتحدَّث بصوته القوي ذو النهاية النشازية ؛مُشِيراً للمقعد الذي يجلس عليه (كنت أعرف من البداية إنني سأدفع ثمن مقعد بدرجة رجال الأعمال ؛لأجلس على واحد اقتصادي ،وجودي هنا ليس مصادفة ،أردت أن أقابلكِ)

(كيف عرفت عني؟)

زاد في تقليب نغمة صوته حتى بدى النشاز فيه جلياً و قال(في الحقيقة لا أعرف، شيء ما بداخلي أجبرني على خوض الرحلة إلى اسبانيا و حرضني على تَتبُّعكِ ،شيء بداخلي لم يهدأ سوى برؤيتكِ و أنا الذي لم أعرفكِ من قبل)

(هل تحبني ؟) سألته،فضحك بصوت عالٍ و ازدادت حركة صدره عنفاً فأخرج من جيبه قرص دواء و تناوله ،ثم قال

(يا آنسة!أنا لم أعرفك من قبل؛ ليتسنَّى لي حبك) لم يكمل جملته حتى قاطعته (هل تريد ممارسة الحب ؟)

(لم أقصد!) قالها و سعل سعلة مصطنعة حركها ذوقه الرفيع الذي يحتم عليه أن يتصرف بحياء و حدود مع الجميع.

(إذا لم لم تبحث عني بداخل البلد؟ انت في رحلة العودة و تقول إنك جئت للبحث عني ؟)

(أنا في اسبانيا منذ أربع ساعات فقط) تنظر إليه بتفحُّص ؛لتسأل ذاكرتها إن كانت عرفته من قبل فتجيبها الأخيرة بأنه ليس محفوظاً فيها أبداً، تحضر المضيفة الطعام فتختار هي صدر الدجاج المشوي بالخضار المسلوق تضع قطعة منه على لسانها ثم تلوي شفتها باشمئزاز كأنه لم يعجبها و تلوم في بالها على انغريد التي لم تحذرها من أنها لا تحب رائحة الخضار المسلوق؛فانغريد كان تخبرها بعد خروجها من المصحة عن أي الأشياء التي كانت تعجبها و أيها كانت تكرهها ،فيعرض عليها يخنة اللحم بالبازلاء الخاصة به فيستبدلا الطبقين و هو ينظر إليها برضا تقاطع نظراته(على ما أتذكر! لم أحب يخنة اللحم من قبل و لكنها لذيذة اليوم) سكتت قليلاً ثم تابعت بنبرةٍ منخفضة(ماذا تعرف عن لقاءنا اليوم، أشعر كما قلت إنه ليس مصادفة)

(من انتِ ؟)

(لست متأكدة من شيء بقدر ما أنا متأكدة بأنني نينا)

(هل انتِ فاقدة للذاكرة؟)

(لا أعتقد ،و لكن من انت ؟)

(أنا ماهر القاضي،هي مرتك الأولى إلى مصر ؟)

(لا أعرف ،و لكن جواز سفري مختوم من قبل ،هل تصدق إن أبي كان يخفيه عني ؟)

سكتت فجأة حينما أدركت إنها تتحدث بإفراطٍ إلى رجل غريب للتو التقته ثم نفضت عن رأسها

التفكير به كغريب؟ فكيف يكون غريباً و الظل يرافقه؟)
(و لم يخفيه عنكِ؟)

(لا أدري؛ فالجميع يتصرف بغرابة تلك الأيام) ضحك ضحكة مصطنعة ثم قال
(الجميع الجميع! ...و ماذا فعلتِ؟)
(عرفت إنه يخفيه و من الخطأ أن تطلب شيئاً خُفِيَ عنك قصداً و لذا أخذته البارحة بمجرد أن قررت السفر و رحلت دون أن أتعرَّض للاستجواب)
يخرج أنبوبة مرهم خضراء اللون و يمصها و هو يقلب في الطبق ثم يقول (تعرفين إنه من الخطر أن تخبري رجلاً غريباً عن أمر كهذا؟) تخرج الكلمات منه بالكاد و هو يحاول ألا يبتلع المرهم الذي كان يمصه و هي تنظر إلى فمه فترد
(أعرف ،و لكن لدي أسباب..... لا أعرفها)
يضحك بصوتٍ عالٍ و يسعل بطريقةٍ مُتَكَلِّفَة و يُخرِج حبتين من الدواء يبتلعهما رغم إنه لا يبدو عليه العلة ثم يتابع الحديث (أصدقكِ) تسأله بخجل(هل هناك مرهم قابل للأكل؟)
يبتسم (إنه مخدر للفم استخدمه لغرضين أولاً ليغطّي على سوء مذاق أكل الطائرات و الآخر ؛لأستغرق وقتاً أطول في المضغ فتنخدع معدتي بالشبع و عندها أبقي في قوام رياضي كالذي ترين) نظرت إليه و كأنها خجلت لأنها تدخلت في شئونه فأجابته كأنما تذكِّره إنهما في الأساس كانا يتحدثا في شأنها
(و لكنني لست جامحة كما ستظن ، تركت رسالة لأخبر الجميع إنني أزور مصر للسياحة مع بعض الأصدقاء ،احتاج بعض الوقت للتفكير قبل الزفاف)

(هل ستتزوجين؟)
(لاأعرف بعد، اسمع عرفت إنني كنت أعرف شخصاً مصرياً كتب لي في ورقة بخط يده إنني أملك بيتاً في مصر،أريد اللإيقاع بهم جميعاً،إن تتبعني أحد إلى هناك فهذا يعني انهم يعرفون

أمراً أحتاج معرفته و هو السبب الذي جعلني أكتب التفاصيل في الرسالة، أما سبب مجيئي الحقيقي فلا أود الإفصاح عنه)

يضحك بضوت عالٍ مُتَلَمِّساً صدره التي تحدق فيه و هو يتحرك بقوة (سأعتبر إنك لم تفصحي عن أسباب أبداً) سكتت عن الرد؛ فرغم إنها أدلت بمعلوماتٍ لا تعكس شيء سوى حماقتها إلا إنها أصلاً لا تعرف إن كانت تعرف سبباً حقيقياً أم أن الأمر لا يتعدى كونه محض حماقة ،نزعت مشبك شعرها و لملمته فصارت لمعته الذهبية واضحة و هو ينظر إلى المشبك بتفحصٍ و يقول (من الخطر أن يسمحوا لهذا الشيء في شعرك بالصعود على متن الطائرة،إنه حادٍ) و همس في أذنها (بإمكاننا خطف الطائرة بواسطته) نظرت إليه بلا إجابة ثم سألته (هل تخشى الحديث مع الغرباء؟ ..... حسناً أنا أكره الحوار الغير مُتكَافِيء)يقاطعها

(هل سألتِ و لم أجيبكِ؟) سكت قليلاً ثم تابع(لا استطيع الجزم إن كنت أخشى الحديث مع الغرباء أو لا و لكن هذا ليس موضوعنا ؛لأنكِ لستِ بغرباء ؛أنا أهدرت جزء لايستهان به من مدخراتي لأقابلكِ في تلك الرحلة)

(هل يجب أن أشعر بالأسف؟)

(لا تشعري ؛فأنا لا أستطيع العيش بدخل محدود و هو ليس ذنبكِ؛ لذا ما إن خطر ببالي إن الوقت قد حان لم أهتم سوى بأن أراكِ حتى لو كلفني كل ما ادخرت)

(لا أفهم !هل الحياة في مصر تحتاج لكثير من الأموال؟)

(الأمر لا يتعلق بمصر ،إنه يتعلق بي ،اعتدت العيش كمترف.. شديد الغنى، كنت لاعب كرة قدم شهير و ماهر كأسمي، أحصد البطولات حتى أُصِبتُ بمرض في الرئة و أجريت جراحة على إثرها ،مُنِعتُ تماماً من المجهود لفترة طويلة ثم عدت للملاعب كمدرب للناشئين بأجرٍ زهيد و كان أقل مجهود يؤذي رئتي فتوقَّفْت عن العمل و استغنى عني الكثير من معارفي برئاسة زوجتي ،أنا لا ألومهم و لكنني هبطت في طبقة أدني من طبقتهم؛ فلن تصبح صداقتنا متكافئة،

(يصفع جبهته بكفه) ،صدقيني لا ألومهم حتى و إن كان المال يشتريهم مثلهم مثل كعكة الشوكولا فما ذنبهم؟ هل تلام كعكة الشوكولا ؛لأنها رفضت أن تُبَاع بلا ثمن؟)

(هل انت حزين؟)

(أنا أفعل ما يحلو لي دون التفكير في الآتي ،أنفق من مدخراتي أعرف إنها ستنفذ و لكنني لا أستطيع تغيير نمط عيشي)

(هل الحياة باهظة الثمن لهذا الحد؟) كررت سؤالها
قال(اسمعي هناك فرق في العملات يمحيه فرق الجنسية ؛لذا حاولي ألا تُظهِري إنكِ أجنبية ،كلما اختصرت في الكلمات كان أفضل، على أية حال إلى متى تنوين البقاء؟)
(لا أعرف بعد)
(أنا أعمل حالياً مدير في أحد صالات الألعاب الرياضية،بإمكاني تأمين وظيفة لكِ)
(و لكنني لست مُؤهَّلة) ابتسم ثم قال (لا تقوليها! و الكل سيكون على مايرام،أنا مدير الصالة و هي مملوكة من قِبَل صديق قديم فلا تقلقي أبداً)
(سيكون لطفاً كبيراً منك..) لم تكن جملتها الأخيرة رداً على عرضه بإيجاد وظيفة لها و إنما كانت مطلع التماس منه تكملته (ضمي إلى صدرك...) مد يده؛ ليمنحها عنوان صالة الألعاب و رقم هاتفه، كانت تفكِّر بألا تمد يدها؛ لأخذ المحتوى؛ فهي تتذكر أن شخصاً ما أخبرها يوماً بأن القدر سيجمعها ثانية إذا أراد مع الأشخاص التي لم يكن جمعها الأول معهم مصادفة و مع ذلك أخذت العنوان و احتفظت به..

وصلت المنزل الذي لا تتذكره أصلاً في (شمساية السعادنة) تلك البلدة التي لم تحوي من قبل سوى منزلها وحيداً يبكي غيابهما كأن السماء قد استمعت له و أهدته جيراناً ضائقين بحيواتهم مُتوسِّلين السعادة و لو كانت في اسم بلدة ..
كانت تعرف إنها لا تملك للمكان مفاتيح و لكنها تملك عقد ،رغم إنها ليست متأكدة من

صحته؛فهي لم ترَ عقود مبايعات من قبل، طرقت باب البيت المجاور حديث البناء فخرج لها ساكنهُ (فؤاد)، طلبت منه برقةٍ أن يساعدها لفتح المنزل كانت تتحدث بحذر شديد كأنما تخشى أن يكن فؤاد على علاقة بسكان المنزل الحقيقين التي تريد معرفتهم أما فؤاد فكان متأكد أن المنزل لها فمن غير المنطقي أن تكن تلك الفاتنة الرقيقة متسللة أو سارقة و من غير المنطقي أن يطلب لصاً المساعدة من الجيران، و بمساعدة (فؤاد) سائق الشاحنة جارها نجحت في الدخول إلى المنزل و استبدال قفله و كانت تُطَبِّق نصيحة (ماهر) على أكمل وجه في أن تختصر حديثها قدرما استطاعت ..

دخلت المنزل مع (فؤاد)؛ مدفوعاً بفضوله لرؤية هذا المنزل الذي لم يرَ أنواره منذ أن جاوره أبداً، كان المنزل مُكوَّن من طابقين يصلهما سلم داخلي، الطابق الأرضي مُكوَّن من جناحين على جانبي السلم ،جناح يطل مباشرة على النيل مكوَّن من غرفة و حمام و جناح آخر مكوَّن من غرفتين و كانت غرف الجناح الأرضي لازالت لم تجهز بعد كانت عبارة عن بناءات بالطوب غير مدهونة و لها أبواب خشبية بلا مقابض فقط مثقوبة من ناحية المقابض ، و الطابق العلوي يحتوي على غرفة نوم و هو ما عرفته من المرتبة الملقاة على الأرض و إطار مرآة فارغ و هما قطعتا الأثاث الوحيدتين بالمنزل، و غرفتين فارغتين بعد حمام، و كان المنزل نظيفاً و كأنما للتو تم تنظيفه حتى إنها أخذت تنادي لعل أحد يسكنه؛ فلا يمكن أن يكون منزلاً مهجوراً منذ ثلاث سنوات على الأقل بلا ذرة غبار واحدة، كان المكان بارداً رغم حرارة الجو في الخارج و كان أكثر ما أثار إعجابها في المنزل هو أن الظل قد اختفى تماماً منذ دخلته، رجَّحَت أن السبب ربما يرجع إلى برودته التي تُميت الأطياف؛عندما كانت(نينا)طفلة كانت تعشق حكايات جدتها(هيام) عن الأشباح و جنية الترعة و عفاريت النيل كان لتلك الحكايات مذاق مرعب مثير و ممتع ،ذات مرة سألت(نينا) جدتها لم جميع حكايات الأشباح تدور في بلاد العرب؟ فأخبرتها الجدة أن الأطياف طاقة نارية تألف حرَّ بلادهم و هاهي الآن تستنتج أن البرودة تميتها أو ربما تُشتِّت تلك الأطياف، و لكن أيكون البيت أشد برودة من شتاء

اسبانيا الذي اتبعها الظل خلاله؟،لا يهم ما يهم إن الطيف قد ذاب في أنوار المنزل،كما ذاب (فؤاد) الذي التفت لسخافة ما يفعل إلى جوارها بين غرف منزلها فخرج، خارت حواسها؛ إعجاباً بالرائحة التي يملأ عبيرها جنبات المكان،رغم إنها لم تكن رائحة عطر أو منظف ،إنما كانت رائحة غريبة لا يمكن تفسيرها و كيف تُفَسَّر و مصدرها مجهول، كان الفراش بلا مفرش موضوع عليه مفتاح من المؤكد إنه مفتاح المنزل، تساءلت عن آخر شخص وضع المفتاح بتلك الطريقة فتأكَّدت إنه لايزال بالداخل و حتى إن كان روحاً ؛ فهي تبحث عنها و ستستمر حتى تجدها؛ فالبحث مُتَكَافِيء و إلا لما تركت الروح المفاتيح بالداخل ،غلبها النوم على الفراش و استيقظت على صوت طرقات الباب لم تدرِ كم غابت مُكَحلة الرؤية؛فنومة هانئة كتلك لم تحصل عليها منذ وقتٍ طويلٍ ،نومة تستغني فيها عن الأحلام جميعها؛ لتنجو من الكوابيس ،كان الطارق هو نفسه جارها (فؤاد) الذي ساعدها في فتح الباب ليلاً ، كان فؤاد شاباً في أواخر الثلاثينات طويل القامة رفيع القوام أسمر البشرة بارز الوجنتين و كان يحمل صينية تحوي طبقاً من يخنة اللحم بالبطاطا و الخبز و رغم إن (فؤاد) لم يكن كريم الطباع أو مضيافاً و حتى ميالاً ؛للتعرُّف على الناس إلا إنه أراد كشف غموض هذا المنزل بالتحديد، و زاد فضوله عند مقابلة تلك الشابة الأجنبية الجميلة التي امتلكت أول بيت في البلدة، ناولها الصينية فتناولتها بلا تردُّد و شكرته ،عيناه تفتِّش الأرجاء من حولها فتنظر إليه بعدم فهمٍ فينتبه لجلافة ما يفعل و يبتسم(أعجبني منزلكِ بشدة،انتظرت طويلاً؛ لأرى مُلاكُه فأتفاوض معهم بشأن شرائهِ) سكت قليلاً ثم سعل و تابع(أنا لا أقصد أخذ ماليس لي ،كنت أمرُّ من هنا كثيراً و لاحظت إن سكانه في غيابٍ دائم،على العموم عندما يأست من حضوركم أقمت منزلي على نسخة حاولتُ أن تكون مشابهة مُجتَهِدَاً ليشابه منزلكم)

(ولم؟)

(في الحقيقة أنا سائق شاحنة ،كنت أمر من هنا كثيراً، أتساءل كيف يشعر من يقطن منطقة مُنعَزِلَة كتلك لابد إن العيش هنا كالعيش في معبدٍ ؛للتأمل ،تمنيت أن أقطن مكاناً بتلك الناحية فأنام نومة حقيقة بعد صوتِ هديرِ محرك الشاحنة طيلة يومي ،و كانت الفكرة تتخمَّر في رأسي حتى أصبحت جاهزة للخبز بعد وفاة زوجتي فأحضرت ابني و جئنا للعيش هنا)

كانت تنظر إلى وجهه الأسمر بإحمرار من آثار الشمس و هو يتلوَّن و عيناه تسترق النظرات السارحة منها و تهرب من اللقاء فسألته(و هل انت حزين؟)
(لم؟ لوفاة زوجتي؟.....بالطبع لا ؛فسائقو الشاحنات لا يجب أن يتزوجوا في الأساس،هم طوافين عبر البلاد يتخطَّون الكثير من الظروف و تتغير الظروف بهم، تصطدم قلوبهم بقلوبٍ جوالة لا تهدأ في مكان و تصطدم أعينهم بعيونٍ كالآبار التي في قرارها الذي يبحثون عنه بين الطرقات فيتأخرون على زوجاتهن اللاتي اعتدن الأمر و يعودون في النهاية؛ ليروا زوجاتهم في أوقات لا يجب عليهم رؤيتهن فيها) سكت قليلاً ثم تابع (و ماذا عنكِ؟) لم تفهم إجابته و لم تهتم أن تعرف و لم تفهم السؤال في آخر كلامه و لكنها طبقت نصيحة مارتن و ماهر
فأجابت(كنت أعيش هنا) ثم توقفت؛ لتعلن أن لا شأن له بم تفعل؛ خصوصاً إنها لم تطلب أن تعرف عن حياته فقط كانت تنفِّذ ما اعتادت عليه و هو أن تسأل من تراه إن كان حزين أم سعيد، و لم تطلب أن يكن ثمن معرفة خصوصياتها يخنة البطاطا، نظر في ساعته و استأذن بالرحيل للعمل (أنا لا أعرف متى سأعود ؛فأنا سائق شاحنة كوني بخير).

مرت الأيام دون جديد، فقط تستنشق العطر الذي يخفي الأطياف و تتلذَّذ بالبرودة مُتأمِّلة بمياه النهر الآسنة التي تعرف ماجري في تلك الناحية و تحفظه عن ظهر قلب و لكنها تأبى الحديث عنه ،كأنها أمانة حُمِلَتْها دون رغبة منها؛ فلم تستطع قولها و لم يتبقَ بها طاقة لتركض و تتلاطم كعادتها فقط بقيت كسولة آسنة كأنها في الرمق الأخير في عمرها ..

بحثت في البيت عن أي دليل ملموس بلا فائدة حتى أغطية الفراش منتزعة،و المرايا مُنتزَعة من أُطرها ؛حتى لا تعكس صوراً حفظتها ،لم يتبقَ فقط سوى الكيان الفواح الذي يخفي الأطياف، تساءلت ماذا سيحدث إن توقَّف الكيان الفوَّاح عن بثِّ العطر الذي يُخفي الأطياف التي تغيظها، فوجدت إن عندها ستلجأ للملجأ الأوحد الذي تعرفه إلى الآن: إنه صدر ماهر المُنهَك الذي لم يغب عن بالها منذ رأته من بين جسد الظل ينيره،لم تستطع تجاهل مشهد صدر ماهر في بالها و هو يعلو و يهبط مثيراً إعجابها و تساؤلها و خفقات قلبها...

و ما إن خرجت من محيط المنزل حتى وجدت أن الظل قد خُلِقَ مرة أخرى؛ ليرافقها تلك المرة خلال رحلتها إلى الصالة الرياضية يتراقص إلى جوارها؛ فقوانينه صارمة بالنسبة للاستقرار رغم إنه لا يسبقها و لا يراقبها إلا إنه لايستطيع أن يدعها تراه مُستَقِراً جوارها و كان قد خدعها باختفائه من حياتها خلال الأيام التي مكثتها في المنزل و على كل هي قد اتخذت قرارها النهائي بشأن الظل؛ قررت أن وجوده في حياتها ليس بهذا السوء؛ فهو على الأقل يمتلك هدف يسعى إليه و إلا لما امتلك خطة بشأن تعامله معها.

قطعت الشوارع و الميادين و الأزقة و الظل لايزال يرافقها مُكتَمِل على هيئة امرأة بقوام عود القصب و تحمل جنيناً ينفخ أحشائها تارة و تارة يهبط عمودياً مُنضَمَّاً إلى قوامها فيزيده سمكاً فيصير بقوامِ خيزرانه مجوفة يسري الهواء فيها فتصدر صوتاً موسيقياً كأنها آلة شينوبويه فتزداد حيرتها في هذا التشكُّل الغريب للظل،تصطدم بفتاتين فيصيحا بغضب(على الأقل يجب أن تعتذري أيتها العمياء) و يلصقا بها نظرتهما المزدرية تفتح فمها؛ لتبرر إن تشكُّل الظل الغريب يثير تعجبها فتغلق فمها قبل أن تصل فتحته إلى النهاية،ثم تتفحَّص في أعين الناس ؛لترى فيها الظل فتجد إن تلك العيون قد عميت عن رؤية الظل رغم إنهم يتفحصونها شخصياً ،يبدون في تجوُّلِهم متعرِّقين و محترقين بشمس الصيف التي لم ترحمهم كما لن يرحموا نينا إن طالوها، كالموتى الأحياء الذين انتبهوا للحم بشري مُتَحرِّك بينهم و هو ما يفسر نظرة سائق الأجرة إليها حتى إنها ظنت إنه يعرفها معرفة شخصية حتى وصلا إلى مرحلة التفاوض على الأجرة التي انتهت إلى

حل وسط هو المنتصر فيه، أدركت أنها بذاك النمط في الانفاق لن تنتهي السنة حتى تنتهي الأموال التي بحوزتها للآن، فقررت التمسُّك بكاملِ قواها بوظيفة الصالة الرياضية التي عُرِضَت عليها...

استقبلها (ماهر) بنفسٍ عميق كأنه يستنشقها و عيناها لم تحيد عن صدره وهو يعلو و يهبط فيزيد من شبقها ؛لأن تريح رأسها عليه فتتأرجح مع تنفُّسَه جيئة و ذهاباً متجاهلة الظل الذي كان مُتَشْكِّلاً على هيئة مضرب غولف .

استطاع ماهر توفير مسكن لها بداخل إحدى غرف الصالة،في اليوم الأول عرَّف لها الجميع ابتداءً من موظفة الاستقبال الحسناء(هناء الورداني) مروراً بالمدربين الكابتن (علاء) و زوجته (رانيا) و قصتهما التي يعرفها الجميع عدا هما ،حتى إن (ماهر) رواها للوافدة الجديدة (نينا)كان الكابتن (علاء) رجلاً أجش الصوت، مفتول العضلات، قوي البنية ،و لكنه ضعيف الشخصية أمام زوجته، ذات يوم تعثرت زوجته في عش للفئران المولودة أسفل سلم بنايتهم فسحقت فأراً مولود و خرجت أحشائه كالاسباغيتي و كانت عيناه تفرزا سائلاً و هما مسحوقتين كأنه لازال يبكي من الألم و صارت الفئران تنعيه بصرير لم يغادر أذنها، و يزداد يومياً خصوصاً في السابعة صباحاً حينما يغادر علاء للعمل كان الصرير يحتد بحدة نظرات عيون الفئران لها في تلك الكوابيس ،و لم تجد حلاً سوى أن تهدد زوجها بأنها ستتخذ عشيقاً من فرط غيابه ففعل الأفاعيل و توسَّل إلى (ماهر) بأن يتم توظيفها معه ووظفها ماهر فكان (علاء) يقوم بعمله و عملها فقط لتبقى أمام عينيه ، و عرَّفها (ماهر) حتى بمسعود الفار عامل النظافة ،الذي تساءلت نينا لوهلة كيف تجري الأمور بين مسعود الفار و رانيا إن كانت لديها هلع من الفئران،كان المكان كبير للغاية ممتليء بالوافدين و يعج أكثر بطالبي الوظيفة التي نالتها(نينا) بلا جهد و لأن (ماهر) هو من توسَّط لها و وظفها فلم ترد إحراجه بين الجميع لسبب وحيد ؛فهي لا تريد لصدر كصدر ماهر أن يختنق حزناً بسببها فاجتهدت قدرما استطاعت دون أن تعلم أن فقط كونها أجنبية و جميلة كفيلاً في حد ذاته لأن ينضم الجميع لها

بل و يتزاحمون؛ لنيل مكان في حصصها ،رغم إنها كانت مبتدئة و لم تتعلم شيئاً و لو صغيراً عن الأمر حتى إنها كانت تؤَلِف أسماء لحصص معينة يبتدعها خيالها كحصص ضبط الطاقة و طفو الروح و تُخصِص لها ضِعف اشتراك الحصص العادية و يتاهفت الجميع لحضورها و كأنها تدرِّس في تلك الحصص الاسم الأعظم الذي يجيب الرب بذكره...

و ذِيعَ صيتها في وقت قصير جداً حتى أقصر من وقت امتلاء قائمة حصصها بالمشتركين بها فتمتلي القائمة و يتبقَّى العشرات في قائمة الانتظار ينظر إليهم دائماً الحاج(سلامة) بنظرة المنتصر كان الحاج (سلامة) رجل في أواخر الخمسينات يملك أموالاً طائلة و عقلٍ محدود التفكير بالنسبة لطريقة إنفاق تلك الأموال، و كان مُشترِك في تلك الصالة منذ سنة؛ فقط ليريح رأسه الذي نصحه بذاك المكان لسبب يجهله، حتى إنه كان ببطنٍ واسعةٍ و لم يشاهده أحد من قبل في تلك الصالة يحرك أنملة ؛ ليخف من تلك البطن و كيف يفعل إن كانت بيئته الريفية التي تبعد ثلث اليوم عن تلك الصالة تنظر إلى صاحب البطن السمينة بأنه ابن عز، كان طويل القامة أسمر البشرة واسع الكفين، و لكن كفيه لم يكونا أوسع من خياله الذي كان يستمر بتأليف الحكايات الكاذبة عن بطولاته و درجاته العلمية التي كان يخترع أسمائها بسذاجةٍ و بلهجة ريفية مُتَصَنِّع في إخفائها، و على الرغم من أن ليست لهجته هي الوحيدة المصطنعة إلا أن الجميع يصدقه و لا عجب؛ إذ أنه تخرَج منذ زمن من طور الهواية في الكذب إلى طور الاحتراف ،و كان الحاج (سلامة) من المستميتين في حضور حصص (نينا) المُبتَكَرَة ليس لشيء؛ سوى لرغبته في التواجد بتلك الحصص و مشاهدة نينا و هي تحاور و تناور الظل الذي لايراه سواها ؛رغم إن (نينا) (منزُوعَة الدسم) -كما كان يشبه الحاج سلامة الفتيات في مثل قوامها- لم تكن من نوع الحاج المُفضَّل؛ فالحاج كان يُفضِّل مُمتَلِئات الأجساد مكتنزات الدهن و الشحم إذ كانت له هواية غريبة في خلوته مع الفتيات و هي عضهن من أكثر المناطق احتواءً للدهون في أجسادهن و لم يعرف أحد عن السبب في تلك العادة؛ إذ ربما السبب في رغبته بالزهو بأسنانه التي كان يغطيها جميعها بالذهب أو أن الأمر له تفسير آخر، و في الحقيقة

لم يكن التحاقه بحصص (نينا) و نيله مكاناً بها دائماً بسبب اجتهاده أو سرعته في حجز المكان و إنما كان بسبب(نينا) شخصياً؛ كانت (نينا) تمنحه الأولوية في حضور حصصها بشكلٍ ملحوظٍ ؛كانت ترى إن لديه عينين جميلتين تستطيع أن ترى فيهما أعمق من قدرتها على الاستيعاب في النظرة الواحدة، أخبرها ذات مرة إن والدته روسية ووالده فلاح و لكنها لم تصدقه أبداً؛ فتلك العينين يختفي بحدودهما الظل كما يختفي على صدر (ماهر) الذي كانت (نينا) تحاول طيلة النهار أن تختفى مُكرَهة من حضرته و تقضي بقية الليل مُكرِهَة بصحبته بين المتنزهات و المطاعم و أماكن الترفيه، يستقبلا هي و (ماهر) رسائل أيبها و (ألفارو) و يقومان بالرد عليها كانت تسرد في رسائلها مع أيبها تفاصيل صداقتها مع (ماهر) و كم هي سعيدة ، أما بالنسبة ل(ألفارو) فكانت ترد على رسائله بورقٍ فارغٍ اتفقت معه على إنه سيكون علامة على إنها بخير باستمرار وصول رسائلها الفارغة إليه ،و أعجبت فكرة الرسائل الفارغة(ألفارو)ذو المزاج الغريب ؛حيث كان الورق الفارغ يتيح له تخيُّل ما يتخيل من الكلمات المتلاعبة على سطحه و رغم توطُّد أواصر الصداقة بين (نينا) و(ماهر) إلا إنه مايزال يُخجِلُها التحديق الملحوظ في صدره و لكن ليس بقدر أكبر من الخجل الذي يعتريها لدى تحديقها في أعين الحاج (سلامة) و على كلٍ قرَّرت(نينا) أن تفعل ما يحلو لها طاردةً شعورها بالخجل ؛إذ كانت قد اعتادت أن تستَغِل جنونها؛ ليسحب لها الأعذار دائماً من المحيطين منذ ذلك اليوم الذي سألت فيه لم هي أُودِعَت المصحة و أُخبِرَت إنها مدمنة فأخبرتهم إن شيء ينقصها و لكنه ليس جرعة مخدر فأخبروها بإنها تتخيل و أن مخها قد أتلفته العقاقير و لا أحد ينطق بنفي حرفاً من هذا، كانت تعرف إنها ليست مدمنة و لا مجنونة و تأكدت من الأمر حينما وجدت خريطة المنزل المخفي ذِكره كما ورقته، و لكي تصل لإجاباتها تحتَّم عليها استغلال أيما تستغل حتى لو كان جنونها، كلما تذكرت محاولات الجميع ليؤكِّد إنها مجنونة شعرت بالحرية تصبغها و ترخي أعضائها لتتصرف كيفما أرادت؛ فالجنون يمنح المنعوتين به حرية لم يجربها المُتعنِّتون بالركض خلف لقب العقلاء ،و لأن تلك الأيام الظل كان يضللها أحياناً يظهر بكامله و أحياناً أخرى تختفي أجزاء منه حول

جسدي ماهر و الحاج سلامة فيصيب حدقاتها بالإجهاد و رأسها بالصداع فقررت أن تُعَاقِب الظل الأخرس بإخفائه تلك الأيام في بيتها بإجازة من عملها...

جلست في محطة الانتظار تخط رسالة إلى والدها

(أبي العزيز.....

تحياتي و قبلاتي إليك و إلى انغريد و جدتي هيام و خالتي ، بمناسبة خالتي كيف تتحدث عني تلك الأيام أعرف إنها بالتأكيد تذم في و في ماهر ،أضحك كلما تخيَّلت الأمر و يزيدني ضحكاً كلما تخيلت كيف يمكن أن يكون اللقاء بين خالتي و ماهر، كيف سيحرك قسماته الراقية لدى سماعه ذم خالتي فيه، أتساءل كيف يتعارك شخصاً كماهر كيف يستطيع الصراخ و تلقين أحدهم بالبذاءات و هو يتعامل كأمير؟ هل تصدق يا أبي إنه لازال لا يستطيع شرب الشاي إلا و هو يستخدم مكعبات السكر فإن كان السكر حبيبات يمقته و إن كان الشاي موضوع في كوب عادي لا ينظر إليه في الأساس لابد أن يكن الشاي مصبوب في فنجان من الخزف المنقوش عليه رسمة رقيقة و له طبق ،و كريمة القهوة في فنجان زجاجي صغير بموضع مائل للأمام من المؤكد أن فنجان الكريمة له اسم و لكنني أجهله ربما يمكنني دعوته دورق، لا يقبل ماهر أبداً احتساء المشروبات و هي ساخنة فهو يقول إن النفخ في الطعام و الشراب من عادات الحثالة،علمني ماهر كيف أقوم بالرقص كسندريلا الحقيقة مع الأمير و لو أنني أتساءل كيف قابل سندريلا الحقيقية،لن تصدق يا أبي إنه فصَّل لكلينا بدلتين كالفيلم تماماً عرفت بعدها إنه صار يأكل المعلبات لمدة طويلة لأن ماله قد استنفِذَ في ذلك الأمر ،و عندما أخبرته إنني أريد المشاركة نعتني بالجلفة ،رخيصة الذوق ضحكت بشدة حينما نعتني برخيصة الذوق ،تعلم يا أبي أن السبب في تفصيل تلك الأزياء هو إننا يوماً ما ذهبنا إلى ملهى و اندمجت بشدة مع الموسيقى حاولت بكافة الطرق جذب ماهر إلى ساحة الرقص و لكنه رفض و صرت أرقص رقص شوارع مع شاب لا أتذكر اسمه تحديداً ،كان ماهر ينظر إليّ بغيظ و هو يمص شفته السفلى و يطبق ذراعيه على صدره المتحرك بشدة و أنا أنظر إليه أستمد حركات الرقص من

النبض في صدره فانتهيت حينما قال لي(انتِ رخيصة الذوق) بعدها فصل لي فستان سندريلا ليلقنني كيف يجب أن تكن الفتيات الجميلات،أتساءل كيف سيكون رد فعله إن رأي(باولا) و هي تبول في حوض السباحة، على كل اشتري لي ماهر رواية الحب في زمن الكوليرا كانت نسخة قديمة و لكن لازال غلافها و أوراقها في حالة رائعة ،لا أدري من أين حصل عليها و لكن لابد إنه دفع مقابلها الكثير من المال،عندما انتهيت من قراءتها سألني و هو يحرّك سبابته بانحناء فوق إبهامه و كيف(وجدتِ النهاية؟) أجبته(أحببتها)و كانت تلك المرة الوحيدة التي أراه غاضباً و يعلن غضبه بصوتٍ عالٍ، رفع حاجبيه برقي و ابتسم هازئاً و هو محمر الوجه و صدره يتعالى(فيرمينا أنانية!لايمكن أن يعجبك فوزها بالنهاية ،في البداية تزوجت الطبيب الرائع خوفينال حينما كان فلورنتينو لاشيء و في النهاية ذهبت مع الثري فلورنتينو بعدما مات خوفينال و كليهما أقنعته بالحب ياللروعة!) قالها مستهزئاً فقلت(حسناً!) فلم يمر اليومين حتى أهداني نسخة أخرى من نفس الرواية و قال(أعيدي قرائتها من تلك ،ربما تغيرين وجهة نظركِ) و بالفعل أعدت قراءتها و لكن النسخة سقطت أسفل الدرج و انتزع غلافها فأكملت القراءة من النسخة الأولى ؛فكما تعرف يا أبي لا أتحمَّل قراءة كتاب بلا غلاف و لكن هل سأكون مخادعة ....،مرحباً انغريد الآن صرت أتقن جدل الضفيرة الخماسية كما كنتِ تسميها ربما لو كان لماهر شعر أطول من شعره لكنت جدلته؛ كانت لتبدو الجدائل رائعة عليه؛ فلونه رمادي لامع كشعر الجدات، بالمناسبة أتمنى أن تكون أختي بداخلكِ على أفضل حال سيكون معروفاً كبيراً لو استطعتِ حني رأسك و تقبيلها و إن لم تستطع يا أبي أرجوك أفعلها من أجلي سأكون موجودة قبل موعد ولادة أختي لأمنحها اسماً ...

ابنتكم المخلصة.....صحيح يا أبي أريد شراء بعض المستلزمات ....سأعيد الختام ثانية و لكن تلك المرة مع القبلات...

ابنتكم المخلصة..))

بعدما انتهت من الرسالة أوقفت سيارة أجرة و قفزت بداخلها ،تحرَّكَت السيارة على أنغام

أغنية(خطوة واحدة أقرب) للفريق الأمريكي لينكن بارك، كان السائق مُندَمِجاً مع الموسيقى ،يغني بكل ما أُوتِي من حماس مع الأغنية و لكن لم يكن غناء السائق لأغنية من هذا النوع بتلك المهارة ليلفت انتباه(نينا) عن أن السائق في الأساس يرتدي ملابس باهظة الثمن لعلامات تجارية معروفة، و يضع عطر لعلامة تجارية شهيرة و ساعة يد يفوق ثمنها مرتب(نينا) الحالي في صالة الألعاب،عرفت (نينا) تلك الأشياء؛ فقد عاشت مترفة كهذا السائق ذي قبل و الآن لم تتعجب أصلاً كيف ترضى أن تعيش براتب أقل من ثمن الساعة الواحدة من الساعات التي كانت تستبدلهن مع كل إصدار جديد ،و لم تفكر أصلاً بالأمر؟ و هي ليست مجبرة على قبول وضع كهذا؟..... بلى هي مجبرة على عيش هذا النمط ؛لتكتشف الحقيقة و لا داعٍ لتقليب الأمر في بالها كل ثانية و لكنها لا تبحث أصلاً و كيف تبحث و هي لا تعرف طريقة للبحث؟ لطالما تساءلت ماذا تفعله و مالذي يجب عليها فعله؟ تعيد قراءة الرسالة فتنتبه إلى أن هفوات (ماهر) تحتل معظم الرسالة فتتساءل هل يعجبها؟لحد العشق؟ تتذكر يوم كان يعلمها الرقص بفستان سندريلا، فتتذكر يومها لمست بأصبعها على صدره مباشرة فافترقا بسرعة دون وداع كأنما صاعقة قد حلت بينهما ؛لتفرقهما فوراً و على إثر تلك اللمسة سهرا ليال يفكرا فيم حدث و بعدها دعته إلى حفل راقص آخر تتذكر يومها تلك المشاعر التي كانت تنتابها و رأسها على صدره، كيف كانت تسمع صوت الهواء بداخله يرفع صدره و يخفضه، تتذكر يومها كيف كانت تنهار قواه ووجهه يحمر و يختنق حلقه، تتذكر كيف فضلت بأنانية أن تستند إلى صدره و هي تعرف إن استنادها عليه هو السبب في النوبة التي كانت تفتك به حتى انسحب هو، فتعود للواقع لترى أن حالها من البؤس ما سيدفعها للتفاوض مع سائق الأجرة الآن على الأجرة ؛فالمصريين جميعاً يفعلون نفس الشيء، بل و السائقين أصلاً يكونون قابلين للتفاوض، فتتذكر حينما كانت مراهقة و اشترت ل(ألفارو) زجاجة عطر بمئات النقود و سكبتها عليه ؛تحيةً له في حفلته الموسيقية و يومها وشى بها لأبيها أحد لا تعرفه للآن، فمنعها أبيها من التصرُّف في الأموال مباشرة وهو السبب الذي جعل عقلها يسرف في تخيُّل الأشياء

و طلبها من والدها حتى يمل والدها و يمنحها التصرف المطلق ،و كانت (ليزا) هي من أصرت أن واقعة زجاجة العطر السبب في تصرف والدها و نينا مصرة رغماً عن قناعاتها الداخلية أن واقعة الشبل هي السبب..

و في منتصف خيالاتها كانت السيارة قد دخلت الطريق الصامت بين المدينة على تخوم شمساية السعادنة حيث الهدوء النسبي الخادع للجميع عدا هي؛التي تعرف إنه مملوء بالأطياف و الخيالات و تعرف إنها لا تراهم لأنهم ليسوا معنيين و مُخَصَّصِين بها كما الخيال المُكلَّف بها و لا يراه سواها و لكن كونها لا تراهم لا يعني أن تنخدع كالجميع و تكفر بوجودهم..

يزداد الظلام و تضحك المصابيح المُعلّقة المُنطَفِئة من الراحة و الدعة التي جعلتها تُقسِم على إفساد أي مصباح يُلَف في قاعدتها ؛فهي لا تألفهم و تكره أن يحلّ غريباً عليها، توقَّفت السيارة قبل البلدة بدقائق و نزل السائق و دلف المقعد الخلفي مُعَلِّلاً إن هناك صوتاً غريباً يصدر من الخلف،أمسك بها بقوةٍ و خلع ملابسه و بدأ في اغتصابها، لم تصرخ و لم تتحرَّك أو حتى تُقَاوِم كل ما فعلته أن أغلقت فتحتها عنه و طردته و صارت مسدودة بشكلٍ غريبٍ جعل سائله يرتد بين فخديها الأبيضين فيحرقهما و يتلونا بالأحمر،ابتعد عنها و فتح الباب و رماها خارجاً،جلست هي تحت الشجرة في الظلام تحوم حولها الكلاب الضالة فتنبح ؛لتكتشف مَنْ الغريب على أرضها و بالنهاية تتخطاها الكلاب؛ فهي تعرف إنها لاجئة لأرض الله أساساً فتقبلها شريكة فيها، و هي ساهمة تتذكَّر عينيه و هو رابض فوقها كأنها كانت تقول إن الأشياء تُنتَزَع لا تُطلَب ؛فالطلب فقط يؤخِّر حصولنا عليها و يزيد حيرتنا، كانت تعرف إنها كانت تستطيع أن تقاومه، أن ترميه بعيداً عنها و لكن الرعب قد شلها في البداية و ضعف الحيلة؛ فهي ترى عظمهُ سميك كأخشاب اطارات النوافذ و طوله يفوقها و ما إن اقترب منها كان شيئاً في جسده يبث دفئاً غريباً رغم إن الجو كان حاراً إلا إن الدفء الذي كانت تطلبه لم يكن مُتعلِّقاً بدرجة الحرارة، ما إن اقترب أكثر و جثم على جسدها و شلح فستانها و ألصق جسده بجسدها ،تأكدت إن الدفء بجسده أو على سبيل الدقة في جزء لم تستطع تحديده عدا ذلك

كان جسده بارداً كأجساد الموتى بيديه المُتعرِقَتين كأنهما كانتا مثلجتين و خرجتا من الثلاجة فنديتا، احتارت في تمييز الدافيء من جسده؛ فهو كثير الحركة و لذا تأخَّرت في المقاومة و لكن جسدها في النهاية طرده ،عدلت من هندامها و قامت؛ لتمشي لمنزلها و خلال الطريق توقَّفت شاحنة إلى جوارها و صارت تزمر لها و لكنها كانت ما تزال على تفكيراتها و عينيها تدمعا من الضيق؛ إذ أن الحكايات تتعدد و تتشعب و يزداد ضلالها ،و أكثر ما كانت تكرهه أن يتم تضليلها عمداً؛ فحتماً سيؤدي تضليلها إلى زيادة شماتة (رامون) العجوز فيها و اتساع ابتسامته التى تُظهِر الموتى المُتَحلِّلين في قبر مفتوح يطلب صاحب العين التي وقعت على هذا الفم ،نزل صاحب الشاحنة جارها(فؤاد) و دعاها لتوصيلةٍ ، هالهُ أن يراها على تلك الهيئة في تلك الناحية بفستانها المتسخ المقطوع من ناحية الركبة من أثر احتكاكه بالأرضية، تعترك في رأسه التخيُّلات عن السبب الذي أوصل مظهرها لتلك الدرجة فقطعت تلك التخيلات بإبتسامة و هي ترفع رأسها (لقد سقطت و انكشطت ركبتي)سكتت فقال(كنت في المدينة ابتاع بطاريات لأداة تحكم التلفاز)سكت قليلاً ثم تابع بصوتٍ منخفض قليلاً مُشِيراً إلى ركبتها(هل هي مجرد سقطة كشطت ركبتكِ؟)

نظرت إليه بعدم فِهم فتابع(أقصد يتحتَّم عليكِ البعد عن المشي في مكان كهذا،لا يلام الأسد في وسط الغابة!) عندها انهارت و سألته(حقاً ! الخطأ خطأي أضعت فرصة) و قالت بالأسبانية هازئة(نقص أن تخبرني إن لم أستطع مقاومة الاغتصاب فكان يجب أن أحاول الاستمتاع)قاطعها (هه أنا لا أفهم لغتكِ)

(لا عليك سأحكي لك حكاية..... في بلدة كانت تقتات على شجرة تفاح واحدة ،و ذات نهار أُصِيبَت الشجرة بمرضٍ جعل التفاحاتِ فيها مُرة المذاق تفتك بأمعاء مُتَذَّوِقها، صار الناس يقطفون التفاحاتِ و يلقونها بعيداً، فصاحت طفلة ذات شعر مجدول في ثلاثِ ضفائر بأيدي جدة سينفذ التفاح و نجوع ،يجب علينا أن نجد دواء لهذه الشجرة، تغاضى الناس عن قول الطفلة كما تغاضوا عن رؤية الرجل الذي دهن التفاحة بمرهم من عشبة الكرفس فشفيت!)

(و لم تغاضوا عن الأمر؟)

(ليسووا بهذا النشاط و لم يعتادوا الدقة و الاتقان ؛فالجميع يقطف التفاح و يلقيه و هو الحل الأسهل!)

(بالنهاية سيموتون جوعاً!)
(صنع أيديهم و أدمغتهم،لابد أن ينل الأغبياء عقابهم مالذي ينتظره هؤلاء الأشخاص إن كان قد تم تحذيرهم آلاف المرات أن يتجنبوا..) قاطعها بصوتٍ مرتفع (لكن ماذا إن كان مرهم الكرفس يحيل التفاح لثمرة جديدة لها طعم هجين بين الكرفس و التفاح؟)

زفرت(ياربي!أكره الهجين بشكل لايُوصَف؛ فناتجه بنظري مسخ خليط بين أصل و أصل)سكتت قليلاً فتابع هو (على كل الشر موجود رغماً عني و عنكِ إن أردتِ التجوُّل ثانية بإمكاني مرافقتكِ) قاطعته (أين طفلك؟) اكفهر وجهه ونظر في عينيها نظرة مُطوَّلة كأنما يحصي خطوط قزحيتها ثم أجاب بطريقة مندفعة كأنما قرر سكب ما تبقى له من كلمات معها (حسبت أن أمر البطاريات لن يستغرق الدقائق)..تركها عند منزلها و رحل مُسرِعَاً كأنما تذكَّر ميعاد هام،أما هي فقد تناولت عشائها و كتبت خطاب إلى أسرتها تطمئنها على أخبارها الجيدة و أمورها التي تتحسَّن يوماً تلو الآخر لتسلِّمه صباحاً إلى مكتب البريد بدلاً من الخطاب القديم الذي تمزَّق بينها و بين سائق الأجرة المترف، و نامت ليلتها تجهز في بالها العودة إلى الصالة الرياضية ما إن يحل الصباح ؛فهي الآن تعرف تحديداً ما تريد..

في الصباح التالي تزيَّنت ؛لتبدو في أبهى حُلَّة و تعطَّرت و مشت قليلاً ؛لتصل لأقرب سيارة أجرة و كانت هي سيارة السائق المترف الذي اغتصبها منذ ساعات، ارتبك قليلاً لرؤيتها ثابتة التصرفات هادئة النفس كأنما لم تقابله في حادثة كحادثة الأمس،فتحت باب المقعد الأمامي و جلست إلى جواره و كان يفكِّر في داخل رأسه إنه يحتاج أن يسيء الظن بها؛ فكونه لا يسيء الظن فيها يجعل الأمر غير عادي و الاحساس بالغرابة مقلق للجميع خصوصاً هو، كان يردد

(هي عاهرة معجبة بي) رغم إن ليس لها عيون كعيون العاهرات و لم يشم في جسدها البارحة قذارات الرجال و لم يلمس على بشرتها آثار أصابع نجسة ،يسرع بالسيارة ثم يبطيء فتنهال عليه الشتائم من السيارات الأخرى و يرد الشتائم بشتائم أفظع أو أقل أو مجرد ضحكات على حسب حظ المُتَلَقّي ،يتوقَّف بسيارته في أحد إشارات المرور يهرول نحوهما متسوِّل بقدمٍ واحدة و يجر خلفه طفلاً لا يتعدَ الأربع سنواتٍ، تنظر(نينا) إلى الطفل و الذباب مُلتَصِق بمخاطِ على أنفه و الطفل لايحرّك ساكناً؛لطرد الذباب و الأب يتوسَّل إليهما أن يساعداه، تكلَّم السائق مُستَهزِئاً(هل من المفترض أن تثير قدم مقطوعة شفقتي ؟و هل عندما تثار تلك الشفقة و أمنحك المال ستنمو قدمك ثانية ؟أم دعني أخمن أن طفلك هو من سيكسب الشفقة ،بالله عليك هل كان لديك ذرة واحدة من الشفقة و انت تمنح للعالم طفلاً بائساً تتسوَّل الشفقة له)نظر إليه الرجل و لازال يمد يده فأخرج السائق من جيبه ورقة نقدية فئة المائة جنيه و بصق بها و مد يده بها للرجل الذي غمرته السعادة و تناول النقود و قبلها رغم البصاق و(نينا) تنظر باشمئزاز فنظر السائق للرجل و هو يدعو له بالتوفيق و قال(تصلي لي ؟ هه فالتصلي نفسك ...همم! على كلٍ اخفائك لقدمك الأخرى يجعلك تصبح في مكان فاقدها فعلاً)و نظر إلى الطفل و قال(هذا العمل يسمى ذل و موظفه ذليل)و رحل الرجل و الطفل سعيدين كأنما لم يتم إذلالهما و رحل السائق مُسرِعَاً ،و سألها بفظاظة(هل أعجبكِ الأمر ليلة البارحة ؟) ردت (لا!)فنظر إليها بعدم فهم كأنما تسألها عينيه لقد أهنتكِ البارحة أيما إهانة من الممكن أن تقبل بها فتاة أو تتخطاها فتاة بلهجة أجنبية لم لم تشكين إلى سفارتكِ أو الشرطة أو حتى توبخيني ربما أعجبكِ الأمر هل نكرره، قاطعت ظنونه(احتاج لمعرفة أمر ما!) و سكتت

(أصدقكِ ،ربما تتعجبين من هيئتي أو حتى طريقة كلامي فأنا لست سائق أجرة عادي أو على سبيل الدقة لست سائق أجرة أصلاً، أنا(ممدوح) سليل عائلة غنية أو على سبيل الدقة فارهة الغنى تمتلك مشاريع و عقارات و أراضٍ تعرضتُ...)سكت قليلاً ثم تابع بصوتٍ مُرتَبِك(جاءتني يوماً خاطرة بأن شيئاً ما أبحث عنه و يبحث عني فوجدت السبيل الوحيد و هو التسلية في

سيارة أجرة ،أشعر إن سائقي الأجرة يشاهدون سكان العالم بأكمله خلال سنوات عملهم ؛فتخصصهم التنقل.....،ينظر إليها لا زالت ثابتة النظرة ،عينيها تلمعا كأحجار كريمة بكر فتَّشَت عنها الشمس طويلاً حتى وجدتها بعد عناءٍ و لذا استجدتها الشمس طويلاً لتقبل بها داخل حدقاتها الزرقاء، و شعرها يجمع خصلات منه رباط شعر و القليل يخرج منه كخيوط من الذهب تلتمع تحت وطأة سمو العنصر النبيل،يستفزهُ صمتها، ألتلك الدرجة تحتقره ،لم تهدده على فعلته بالأمس ولم يستفزها عرضه أمام المتسول و لم تربكها التساؤلات بشأن حكايته العجيبة فتحدَّث متوتراً (لا! لا تقللي من شأن معاناتي كانت خاطرة مُقلِقَة بحقٍ؛ كانت تجعل جسدي بأكمله يحكَّني و رقبتي تتجمد برداً ،كنت أحياناً أبل سروالي) و ضحك بصوتٍ عالٍ، تفاجأت عندما سمعت تلك الكلمات عن البحث ؛إذ أنها قد سمعتها من عدة أشخاص قابلتهم في الآونة الأخيرة و أكثر ما أثار تعجبها هي إنها تشعر ذات الشعور و رغم ذلك رفعت صوتها (لم أقصد إنني أبحث عنك) ضحك و قال(و كيف تعرفين ؟) ردت باستهزاءٍ كأنها تتحدث إلى نفسها(قلت لهم إنني أبحث عن شيء،فقالوا إنني مضطربة نفسياً،مجنونة!،اتفقوا جميعاً على الأمر،عندما كان الملل ينال مني كنت أخترع أشياء في بالي ؛لأطلبها من أبي ،و ذات يوم كان في أقصى درجات الضيق و أنا لا أدري و كنت ألح عليه لشراء جهاز محاكاة طورته شركة يابانية كنت قد قرأت عنه في أحد المجلات فنعتني بالمملة ،عندها أدركت أن الملل قد نال مني ليجعلني أتصرف كملة من فرط ما مللت خصوصاً حينما جاء أبي لاسترضائي بعدها قال(يا صغيرتي ، قصدت أن أقل لا تجعلي الملل يدفعكِ لأشياء لا تحتاجينها) هل نشعر الآن بالملل و لذا يجعلنا الملل نشعر إننا نبحث عن شيء لا نعرفه؟ أنا أبحث و هو يبحث و انت تبحث،أم أن ألفارو اللعين هو من بعث بكم لتضليلي ؟ تقولون جميعكم مثلما أقول و تفكرون كما أفكر،لم قرر الجميع فجأة التصرف بغموض) كان يستمع بهدوءٍ إليها و هي تتحدث و حالما قرر مقاطعتها قاطعته هي و سألته (هل يمكنني لمسك) فضحك ضحكة خبيثة(أكيد يا حلوتي) مررت سبابتها اليمني على بعض أجزاء من جسده كانت تشعر بجسده و هو يقشعر مع مرور اصبعها عليه و كان جسده

ينبض من مكانين حالما شعرت نينا بأن له مصدرين للنبض زفرت بيأسٍ ثم قالت(لم أنم البارحة لذا سأنام قليلاً و أكمل حينما أستيقظ) نظر إليها نظرة غير مفهومة لكليهما..

استيقظت على نكزة تبعها أصابعهُ الباردة تتحرَّك على رقبتها فنظر إلى عينيها الحمراوتين مُتأسِّفاً فنظرت إليه نظرة بلا معنى ،و طلبت النزول و بالطبع لم تعرض عليه أجرة؛ فهو ليس سائق أجرة كما أخبرها، و صلت إلى الصالة فوجدت ماهر مسجياً على ظهره في الغرفة التي كانت قد خُصِصَتْ لها للنوم، و هب يسألها بحزمٍ(أين كنتِ،ظننتُ إنكِ لن ترجعي،عاد جسدي ينبض كالمحموم كأنني عدت كما كنت فارغ الصدر قبل أن ألقاكِ) أما هي فكانت تعاد داخل رأسها نظرة السائق الغني (ممدوح)، يُعَادُ في رأسها أن التفكير في الأمر مضيعةً للوقتِ و مُضَاعفة للمعاناة، يجب اتخاذ القرار حالما فكرنا به، تحدِّق بصدره يعلو و يهبط ثم يهدأ،و تنظر إليها بغيظٍ يبرره قوله فارغ الصدر فكأنه يعرف اهتمامها بصدره و يستفزها به خصيصاً، فقاطع تفكيرها قائلاً(حقاً لا أعرف مالذي حلَّ بي البارحة،أين كنتِ ؟كنت سأموت دون أن تعرفي وصيتي) تضحك قائلة (و ماهي وصيتكَ؟) يضحك (اجعلوني غنياً مرة ثانية)تضحك(لاتكلِّف الناس بم لا طاقة لهم به)

(و لم لا ؟ بالنهاية أنا منهم هم يحملوني ما لاطاقة لي به،جميعنا نفعلها!) ثني شفتيه مفكراً و هو يحرك سبابته حركة دوامية (بيه! أخبرتكِ أن رئتي مُتضرِّرة بشدة و مع ذلك لا يأبه أحد يستمرون بالتدخين و إثارة العوادم حولي بشراهة هل تصدقين إنهم يقدمون لي الحشيش لأدخنة)

(لا يعرفون أن بك علة؟)

(هذا ما قصدته! لايهتمون .....،فقط يفعلون ما يخطر ببالهم)نظرت إليه بشفقة قاطعها(على كلٍ أنا منهم كما أخبرتكِ لست مميزاً عنهم في شيء)

(هل انت مريض إلى هذا الحد؟)

(من قال إنني مريض؟ لأنني أتعاقر الأدوية ؟)، تنظر من نافذة الغرفة تلاحظ إن الوفود بدأت في التزاحم على الصالة ينظر إليها نظرة تَعِبَة بابتسامةٍ واهنةٍ (كنا فريقاً رائعاً!)

ردت (لا يُهزَم... رغم إننا لم نجرب التحديات)

(ليت كان لي تحدي أخوضه، انظري! الزبائن تتضاعف... لن نخرج من هنا قبل منتصف الليل) قالها و هو يبتسم بوهنٍ ثم تابع(لا أعرف إن كان تضاعف عدد الزبائن يسعدني أم يضايقني)

(أن تكون مديراً ناجحاً أم أن تكون مرتاحاً لا تبذل الجهد!)

(في الآونة الأخيرة لا أختر كثيراً؛ الأمور تصير فقط وفق مسلسل حتمي و أنا تفصيلة بداخلها لا أختر)

(هل هذا يضايقك؟)

(لا أدري أهتم فقط بحصد الأموال؛ فلم أستطيع تغيير نمط عيشي القديم)

(انت تعمل كثيراً،تبذل جهداً) و لازال على ابتسامته التعبة رفع كتفيه و صفق بكفه

(هذا ما حدث!...)سكت قليلاً ثم نظر في عينيها مباشرة ،و ثبت نظرهُ كأنما عينيه دورية الشرطة التي قبضت على عينيها الهاربتين بمهارةٍ منذ زمن (تعرفين إننا نخفي شيئاً...، نخشى الحديث عنه أنا و انت طيلة الأشهر السالفة، كنا نعمل و نبذل جهدنا دون أن ننتبه إننا نعمل نعمل و نعمل لا شيء سوى إنني آخذك إلى وجبة العشاء ثم نمشي بمحاذاة النهر ،نشاهد الأفلام و نستمع للأغاني، لم نتحدث أبداً عن الشيء الذي نسعى كلينا لمعرفته) حرَّرت شعراتها من الربطة ثم أعادت جمعهم ثانيةً بمهارةٍ(ربما انت محق، و لكن بالنهاية سينتهي عمر الصمت و سيتحتَّم علينا الحديث)

(ربما!)

(ما رأيك أن تأتي معي لأريكِ شيئاً استثنائياً)اندفع العرض من فمها ليذكرها أن تتوقف عن الهذر و تنفذ ما تريد فوراً

(و ماهو؟)

(الذبابة الفاتنة!)

(سنذهب سوياً!) قالها و هو ساهم بنظرةٍ بعيدة المدى لم تهتم لها و لم تعرف أصلاً عنها؛ إذ كانت مُنشَغِلَة بذاك المغص الذي تعرفه جيداً و ينذرها بحلول قطرات الدماء الشهرية و تركته ؛ليجمع أشيائه و يتحضَّر للرحيل و قررت أن تسبقه للصيدلية لشراء المستلزمات الطبية و ليتقابلا على قارعة الطريق ،و في الحقيقة اكتشف ماهر إنه لم تكن لديه أشياء ليجهزها ؛فأي شيء جدير بالاصطحاب لمقابلة الشيء الذي حلم بمعرفته منذ شهور أو على الأدق منذ ما يزيد على السنتين، أسرع ماهر الخطى مُغادِرَاً الصالة؛ خوفاً من أن يلحظه أحد فيسأله أشد الأسئلة كراهية له و هو (إلى أين؟)

.وصلا بيتها ،و تخلى عن وقاره للمرة الثانية و جلس يفترش مرتبة السرير،قال (لديك منزل رائع! و فارغ بالكامل) وقفت تنظر إليه فقال(رباه! ليس من الذوق الرفيع انتقاد منزل أحدهم و لكنني أقول سيكون لطيفاً لو اقتنيني بيانو ووضعتيه إلى جوار السلم)قاطعته(لا أعرف العزف بالبيانو) قاطعها(هراء! عندما أقول لكِ(لقد بطل السحر و صرت في حل منه،أعدت الكلمة إلى مفادها الأصيل الذي يحسم القضية نهائياً و يعوض عما فات.فلاتعزلوني على أرض هذه الجزيرة المهجورة التي انتفت عنها كل فضيلة،و إلا استولى عليّ اليأس القاتل.ترى هل بلغت هنا غايتي) قاطعت (نينا) محاولات ماهر المبتذلة لتمثيل مشهد النهاية في مسرحية (العاصفة) لوليم شكسبير،فتكمل(هاه!أنا سعيد لأني وجدتكم حيث تتبدد الطلاسم،و يتبخر الوهم و ينعدم استبداد الأرواح..،هل حقاً اجتمع شملنا بعد زوال المحنة عنا؟إن كل اتكالي هو على همتكم وفيم أنا أتهيأ للعودة أحتاج إلى سواعدكم المفتولة لتؤازرني.و متى برأت ساحتنا)ردد

ماهر معها و هو واقف كمثل مسرحي يحرك يديه يميناً و يساراً(سيفك أسرنا و سننعم جميعنا بالمهادنة،فهيا ننفض عنا غبار الماضي و نرحل من هنا سالمين) عندها صفق ماهر و قال (أرأيتِ ينبغي أن تعرفي أي لحن سيناسب حالتنا الآن و يلحِّن خاتمة كتلك)

(انت تصعِّب الأمر ،هل تعرف كم لحن ينكزني لأتذكره و لأنني لا أستطيع العزف لا أستطيع استحضارهم) أشار بكفه هو ينظر حوله مُبَدِّلاً الموضوع(لا يُعقْل! لايمكن للفتيات الجميلات أن يسكن بيوتاً فارغة كهذا ،ينبغي أن توجد هنا مرآة و هنا أريكة، و في البهو مكتبة تنظر إلى البيانو،لا يمكنني التفكير في الأمر) تنظر إليه و هي تفكِّر في نصائحه، و لكن لم تحتاج أشياء كهذه و هي لا تستطيع الاستقرار و ترك ما يشغلها يلهو في الخارج ،قاطع تفكيرها(لننهِ الأمر لا يمكنني الاحتمال أكثر ،أخبريني عن الذبابة الفاتنة)

(حكايتها الكاملة محفوظة في لسانٍ هارب لا أعرف عنه سوى إنه يطل بخجلٍ من بين وردات باهتةٍ ،يحكي إنها تبدو حزينة تتخبَّط أجنحتها بسرعةٍ شديدةٍ؛ تسحب لب الناظر إليها فتدور حدقات عينيه في دوامةٍ لا نهائيةٍ يبحث فيها بغباءٍ عن النهاية و تلك الخدعة، فأن تسحبك الدوامة لا تقاوم و لا تبحث عن نهايتها؛ فهي لا تنتهي أبداً ، بل و تتلذذ بهؤلاء الباحثين عن تلك النهاية كأنما يخبرونها أن تستمر في الدوران؛ فهم لم تعييهم المحاولات و لم يتعبهم قانونها) ثم سكتت فجأة وحاولت تذكُّر مابال الذبابة الفاتنة و أثناء التفكير خلعت ملابسها العلوية فصارت عارية تماماً عدا من السروال و استجاب لما فعلت بالمثل تماماً و عينيه ساهمتين كأنما فقدتا خاصية الالتفات،دفعته ليصبح مسجياً على ظهره، الصقت رأسها بصدره كانت حركات الصدر تهدهد رأسها و تُثمِل روحها من الدعة على الرغم من إنها تضطرها؛ لتلامس جسداً لا تألفه و تلاصق جلداً لا تعرفه، و بينما رأسها تتحرَّك علواً و هبوطاً أمسكت بسكين اشترته خصيصاً و فتحت صدره من ندبة به ،ما إن فتحت فتحة صغيرة حتى خرجت معها روحه في هدوءٍ بلا مقاومة كأنما تشبَّثَت بالرحيل لما أشار لها الموت فتعلَّقت بأذياله ،كانت عظام قفصه الصدري مُشَوَّهَة الشكل، و الرئة بداخلها تنبض بقوةٍ كأنها ستنفجر؛ اختناقاً فأدخلت (نينا)

أصابعها ؛لتتلمَّس الرئة فهدأت الرئة و اطمأنت، أخرجت نينا أصابعها من بين العظام المُتَيَبِّسَة و صارت تنتحب بصوتٍ مرتفع؛ العظام يابسة و الرئة تختنق بالداخل و أصابعها باردة يؤلمها بشدةٍ الحشر بين عظام قفصه الصدري المُشَوَّهة و محاولة ثنيهم لتخرج الرئة من بينهم سليمة، و بين الانتحابات فكرت أن توسع الفتحة في جسده و نفذَّت و أدخلت ذراعيها الاثنين يخترقا جسد ماهر ليصلا إلى الرئة أصبح ذراعيها منغمسا تماماً بالداخل حتى وصلا إلى النقطة التي تنتهي عندها رغبتها، كان خرطوماً زلقاً في أعلى الرئة قطعته بالسكين و أخرجت الرئة أخيراً ، و رغم إن الرئة لم تصطدم بالقفص الصدري أو تمر بعقبات أثناء خروجها إلا إنها كانت مُشوَّهة الشكل ،بها خط مائل كأنه برزخ يفصل بين درجتين مختلفتين من اللون الوردي و تبدو كثمرة مانجو مستديرة ليست كما اعتادت رؤيتها ،و لكنها كانت دافئة بشكل لا يُصدَّق ،و غريبة الملمس تأبى الدماء الالتصاق عليها أو حتى ترك رائحتها عليها ،بقيت(نينا)لجوار الرئتين طيلة اليوم تحرِّك اصبعها عليهما تداعب بأصابعها الحويصلات الموجودة فيها و تحاول إخراج بقايا ماهر العالقة في القنوات بها و تنظر إليهما بإبتسامة المُنتَصِرة التي لم يسبق لها من قبل أن حققت انجاز كهذا و سحبت الجثة الفارغة على ــحد وصفها في رأسهاــ إلى الغرفة الفارغة في الطابق السفلي، و غطتها بمفرش ،الغريب في الأمر إن الخيال الذي كان يراودها بشأن الأحياء و هم ميتون و الدود يخرج من أنوفهم لم يراودها أمام أول ميت تراه مباشرة؛ ربما انشغالها باقتناء الرئة كان أكبر، كانت تتلمَّس الرئة و هي تنتفخ وتتفرغ رغم إن الحياة قد انقطعت عنها و لكن أي حياة بالتحديد قد انقطعت عنها و أيها لازالت عالقة فيها مُتشَبِّثة أيما تَشَبُّث بخلاياها وردية اللون التي بلون شفتي أحد ما و بدفئهما تحاول جاهدة أن تتذكر هذا الشخص، تبحث عنه في بالها ،في عينيها التي لم تعد ترَ الظل في المنزل أبداً ،تضحك بانتصار كلما فكرت كم كانت ذكية و دقيقة حينما علمت الشيء الذي يجذبها تحديداً لماهر و اقتنصته ، إنها رئة ليس أكثر ،و لكن أتكون تلك الرئة هي ما تبحث عنه منذ سنوات، ياللغرابة! شيء لا يُصدَق و لكنها ستصدقه و لن تنكره كما أنكر الجميع هواها من قبل ،تتذكر كيف كان مُؤلم الاحساس

عندما يصف الجميع أقوالها بأنها هذي و جنون و يجب أن تُنكَر ،تتذكر يوم سألت عن اللحن و قيل لها إنه هلاوس مُفَكَّكَة لم تُسمَع من قبل،تتذكر يوم سألت عن الذي صاحبها في رحلتها إلى الشرق و قال الجميع إنها رحلة كتلك لم تحدث مُطْلَقاً،تتذكر الرسائل التي كانت تبعث بها من المصحة إلى والدها تخبره إن الدكتور (دومنغيز) يهيل عليها بالأدوية رغم إنها ليست مريضة و كان الطبيب يستدعيها؛ ليقرأ الرسائل أمامها بعينيه عديمتي اللون و يتصنَّع الرقة و هو يقول(عزيزتي! طالما لازلتي تنكرين مرضكِ فانت في حاجة ماسة للعلاج) تذكرت كيف كان مؤلم عدم الإيمان ؛و نتيجة لهذا لن تجربه على أحد أبداً و لن تسمح أن تشعر به تلك الرئة التي بينها و بين نينا آلاف كلمات العشق التي لم تقال ،فطالما الرئة قد غمزت بعينيها الوحيدة و هي الانتفاخ بإنها تحتاج نينا فستصدقها ....

و في صباح اليوم التالي نهضت نينا مشرقة و سعيدة ؛ و عزمت على شراء مستلزمات للمنزل؛تطبيقاً لنصيحة ماهر ، كان أول من فكرت أن تطلب مساعدته جارها فؤاد سائق الشاحنات،فخرجت من شرفتها بحثت عنه بعينيها ،كان يجلس بمحاذاةِ النيل و معه مُشَغِّل موسيقى و حافظة بلاستيكية مُتَنَاثِر فوقها فتات خبز و طبق بلاستيكي على ما يبدو يحوي عنب، وقفت تراقبه تحاول أن تصفِّر له ليلتفت و فجأة التفت فأشارت إليه بكفها و لكنه لم يجبها الإشارة و حمل الطبق و دخل إلى منزله من الباب الخلفي ،ارتدت نينا ملابسها و تناولت فطورها إلى جوار الرئة التي أخرجتها من المبرد و همت بالرحيل بعدما طرقت باب فؤاد و لم يجبها لسبب تجهله فقررت أن تتجاهله ...

و ذهبت في رحلة تسوُّق ،اشترت مبرد ووعاء صغير للرئة خصيصاً و أريكة جلدية و مغلسة ملابس و سرير و مكتبة صغيرة و مستلزمات للمطبخ، و شعرت للمرة الأولى إنها في منزل حقيقي،عاشت مع الرئة عدة أيام سعيدة أو تمثِّل السعادة مُتجَاهِلة عدم الارتياح البادِ جلياً على الرئة ؛فرغم إن الرئة لم يكن لديها عينين تعكس مشاعرها و لا ثغر يفتر عن شيء إلا إنها كانت تستطيع قراءة احساسها بكل مهارة ،كانت تشعر هي و الرئة بنفس الشعور،شيء ما

ينتظرهما ؛ليأتيا به ،فقررت أن تتَّبِع هذا الشعور و بالتأكيد سيوصلها لما تريد كما أوصلها من قبل ...

في صباح اليوم التالي رجعت إلى صالة الألعاب الرياضية؛ لتباشر عملها الذي يصرخ جاهداً لاستحضارها...

في الصالة لاحظت إن الجميع يتغامز بضحكاتٍ خبيثة كلما مرت من أمامهم ابتداءً من (هناء الورداني)موظفة الاستقبال التي حاولت فوراً تجميع حكايات النميمة منها ؛لتسلية الجميع و الحصول على السبق في تجميع الأخبار فتحدثت معها كأنها تُحَقِّق في جريمة(ماهر كان يبحث عنكِ)رفعت نينا حاجبها سارحة ؛فلم يعد لماهر معنى بالنسبة لها ،فقاطعت هناء شرودها (عموماً ليته هنا الآن، لم يحضر منذ البارحة)

(و لماذا؟)

شعرت (نينا) إن هناك شيء ما يجري في الصالة يخصها ،ربما شخص ما كان يراقب ليلتها الماضية مع ماهر و هو السر في النظرات الغريبة، و بينما كانت تحاول أن تباشرعملها زاد أمر الغمزات و الضحكات و أضحى مُثِيراً للريبة و يُشعِرُها بعدم الراحة بالإضافة إلى آلام دورتها الشهرية فانزوت على نفسها في أحد أركان قاعة اليوجا، تفكر حتى و إن كان الناس قد شاهدوا ليلتها البارحة مع ماهر فلم يصرون على جعلها تشعر الآن بعدم الراحة ؟كل ما في الأمر إنها أرادات استعادة رئة تنتمي إليها ، و بينما كانت منخرطة في تلك التفكيرات كان مسعود الفار _عامل التنظيف_ يقترب منها يمثِّل التنظيف رغم إن المكان نظيف فيحرّك عصا المكنسة يميناً و يساراً مُحدِّقاً فيها و على شفتيه الكلمات التي تُلألِيء عينيه كأنهما ستخرجا من محجريهما؛ لترويا ما يكتمه دماغه فتنادي(نينا) عليه بأن يتحدَّث عما يحبسه، جلس إلى جوارها على أرضية المكان و تحدَّث بصوتٍ مُنخَفِض (آنستي! لا تحزني ؛أنا أعرف أن لا شيء مما قيل قد حدث) نظرت إليه بغيظٍ ثم قالت(أيها الغبي الحقير لا عجب إنك تعمل كناساً بدأً من أن تلتحق بالجامعة ،كيف تجرؤ على إنكار ما فعلت؟ تقول لم يحدث شيء؟ لدي دليل! أحمل

الرئة في ثلاجتي كيف تنكر أني قمت بتحرير رئة طلبت مني ذلك!) فقاطعها (أوه أوه آنستي أنا لا أفهم انت تتحدثين لهجة أجنبية) انتبهت نينا إنها كانت تحدِّث مسعود بالاسبانية دون أن تدري فصمتت في كسلٍ فتحدَّث مسعود(آنستي!بالله لا تبرّري لي ،لا تقلقي! أنا عامل نظافة سأعيد لسيرتكِ نظافتها) تحاول الابتسام بعدم فهم فيتحدَّث مسعود كأنما فُتِحَ للكلام ؛ليندفع بلا هوادة من حلقه(أعرف ما حصل تحديداً ليلة البارحة، تعرفين إنني أحضر مبكراً قبل الجميع ،كنت أُفتِّش في أدراج مدام هناء فوجدت علبة سجائر ...لا تصدقين! أقسم إنها تدخن السجائر من وراء الجميع _ربما هو السبب في طلاقها_يالله من يتحمَّل امرأة نمامة و تدخن السجائر ؟.....استهواني تجربة التدخين لأول مرة)

(كم عمرك ؟)

(أنا في السابعة عشر)

(و لم تجرب التدخين مطلقاً ؟)

(لا أملك المال؛ فالراتب يذهب بأكمله لوالدي في البلدة ، صعدت إلى السطح ؛لأجرب السيجارة، فوجدت الحاج سلامة بسيارته يراقبكِ عندما كنتِ تتحدثين مع ماهر بشأن الاجازة ،ثم اتجهتِ لشراء الأدوية من الصيدلية، كان الحاج سلامة متأكد من إنكِ لن تحضري لمرضكِ فبنى حكاياته و ذاع ما ذاع من الاختلاقات عن ليالي الألف ليلة و ليلة بينكما)

(هل سمعت ما أذاعه؟) نظر إلى الأرض و قال (قال الكثير و لكن ما تناهى إلى سمعي إنكِ أصررتِ على قضاء الليلة معه و أعجبكِ الأمر فأقسمتي على قبر جدتكِ ألا تغادريه أبداً!

فهجعتي في منزله تقولين أريد الزواج من الصعيدي و هو يقول لست صعيدي أنا فلاح و أتيتِ اليوم؛ لتبحثي عنه لما قالها لكِ صريحة إنه لا يهوى تكرار الفتيات،ياربي،لا أصدق إنه يفتري كذباً على مريضة،سترق الجحيم لشحوب بشرتكِ المظلومة و ترسل يدها الهلباء بأشواك مستعرة لتختطف الذي أرهق عينيكِ المسكينتين ببهتانه!)كان يتحدَّث بوجهٍ يتلوَّن رغم إنه

مُلوَّن أصلاً ؛لنقص الفيتامينات به و قلب خفَّاق بقوةِ الخجل من الحديث الدائر ،فسكت بعد أن سكب الحديث المنقول ثم تابع بلهجة تأنيبٍ و عتابٍ(تعرفين ! انتِ من ساعد الجميع على تصديقه ؛فالجميع يعرف أنكِ تحابينه، يا آنستي انت تحدقين نظركِ بعينيهِ) وضع رأسه بين كفيه و رفع صوته بعدم فهم(لا أعرف لم تفعلين شيئاً كهذا ؟)

(جدتي على قيد الحياة!)قالتها و هي تتابع البقع الفاتحة في وجه مسعود و تفكر في كم الاستنتاجات الخاطئة التي بُنِيَت بغباءٍ على مقابلتها مع ماهر و تقول في بالها أن هؤلاء الأغبياء أصحاب الاستنتاجات المُتَسَرِّعَة يجب ألا يعلموا شيئاً عن الرئة الرائعة التي تعيش معها العشق؛ فقوم كهؤلاء سيلحون بكل فظاظة لرؤيتها و هو مالا تقبله، ثم أكملت باستهزاءٍ(و لم تصر على تصديقي ألست من مصدقي الشائعة التي تقول إن الأجنبيات يعشقن الرجال العرب ؟)

(في الحقيقة أنا لا أصر على تصديقكِ،أنا فقط أصر على تكذيبه ،أنا لست جاسوساً ،و لكنني اسمع بحكم عملي جميع ما يقال هنا، و ما رأيت أكذب من هذا الرجل ،أريد فضح كذبه قدرما أستطعت)تنظر إليه بصمتٍ و حاجبين مرفوعين فيتحدث(أنا لست راهباً و لا صالحاً ، أكذب كثيراً لأنجِ نفسي و احياناً كثيرة أسرق أشياء تبدو تافهة لمعظم المسروقين؛ و مرة سرقت حافظة أقلام باهظة الثمن و لكن أكثر ما رغبت بسرقته هو لقب الحاج من الحاج سلامة و إهدائه لوالدي؛ فهو يناسبه أكثر من سلامة الذي حج أكثر من مرة و لم ينهه لقب الحاج عن الكذب.... تخيلي آنستي سيقولون مسعود منح والده لقب حاج) ضحكت من حماسته و هو يتحدَّث فتابع(اضحكي الأخبار التي تنتشر في الخفاء أكثر الأخبار التصاقاً بأمخاخ الناس؛ لذا لا تقلقي)غمز بعينه و هي لازالت بطنها تؤلمها فتدمع عينيها رغماً عنها، يحاول مسعود الفار تهدئتها بلا فائدة فيعدها بكوبٍ من الليمون تلحّ عليه بالرفض و لكنه قرر و رحل؛ ليُنفِّذ، أما هي فقد قررت أن تزور الصيدلية من أجل حقنة مُسَكِّنَة كما كان ماهر يفعل دائماً، كان يشتري الأدوية بدون وصفات من أطباء ..

كان لسان نينا ينقصه الكثير من المصطلحات العربية فكانت تنطقها بالاسبانية و تحاول وصف ما تريد بالإشارة حتى يفطن السامع إلى ما تريد و لكن الصيدلية(ناهد) المسئولة عن الصيدلية كانت لديها وسواس قوي التأثير ــعلى حد وصف المصريينــ كانت ربما هي الوحيدة التي لا تصرف دواء بدون وصفةٍ طبيةٍ أبداً، صارت(نينا) تصف اسم الحقنة و نوعها بلا فائدة ،و الصيدلية لم تفهم اسم الدواء و لم تقبل أساساً أن تفهم دون أن ترَ الوصفة الطبية ،بقيا على هذا الحال من النقاش ؛الصيدلية مُصِرَّة على أن تحصل على وصفة طبية و نينا لا تقدر على الحراك من الألم الذي يفتك ببطنها و حتى إن تحاملت على نفسها فلن يكن إيجاد طبيب في ذلك البلد الغريب بيسيرٍ عليها و هي فتاة وحيدة ضعيفة فبقيت جالسة تدمع عينيها تندم إنها لم تسأل ماهر عن طبيبه الخاص الذي يصف له تلك الأدوية التي يتعاقرها ،و لكنها تتذكر إن ماهر لم يحمل وصفة طبية أبداً و هو يشتري تلك الأدوية من جميع الصيدليات البعيدة التي لا تسعفها للوصول إليها قدماها، و كتفيها المُتَضْرِرَين من شدِ جسد ماهر الفارغ منذ يومين و آلام دورتها المبرحة التي استمرت للمرة الأولى حتى اليوم الثالث بذاك النزف الهائل، كانت تتذكر مارتن حينما كانت تقول لها (استمتعي بالنزف يافتاة؛الدماء حياة،و الأرحام الجافة كالصحاري المهجورة التي هجرتها حتى الرمال لتتعلق على رموش البدو و خيامهم معاندة الريح؛ لتتشبث بأقسى مظاهر الحياة،خروف مُتَصَلِّب مشوي،رمش رطب لفتاة أُجبرِت على هجران حبها، شفتا عاشقين افترقا بعد قبلة وداع يُسطَّر إحساسها في ملاحم) جلست تتذكر ردها على مارتن على رصيف الصيدلية و الدمع يخرج منصاعاً لآلامها حتى ركع أمامها (خالد الطويل) ...

كان (خالد) أحد مندوبي شركاتِ مُستحضراتِ التجميل الذي مدّ يده؛ عارضاً مساعدته على بريق عينيها الجازعتين، رقَّ لحال نينا و اقترح على الصيدلية أن تكتب تعهداً و توقِّعه نينا؛ لأخذ الحقنة المسكنة، بالنهاية رقت الصيدلية ناهد لأوجاع نينا و منحتها المسكن..

خرجت نينا من الصيدلية متبوعة بنظراتِ الشفقة أو ربما الشفقة و شيء آخر من عين (خالد الطويل) و لدى خروجها من الباب شعرت بالخدر في جسدها الذي أصبح بارداً؛لينبهها بهبوط

يودي بها إلى إغماءة فأسرع خالد الطويل و أمسك بها و كان له الفضل في إفاقتها بمساعدة الصيدلية و بعد إلحاح منه رحلت معه إلى أحد المطاعم؛ لتتناول إفطاراً ،و في الحقيقة كانت نينا في الفترة الأخيرة لا ترفض عروض مطلقاً؛ فأن يتم إخبارك إنك فقدت جزء من ذاكرتك ستنطلق بشكٍّ ينخز فيك كلما رأيت شخصاً؛ لتتساءل إن كنت تعرفه أم لا ،جلست نينا بمحاذاة خالد تتفحَّص النظر به، كان ذو قامة طويلة، يرتدي قميصاً ضيقاً يبرز عظمتي كتفه، وجهه كمثري الشكل و حاجبيه كقوسينِ و أظافره قصيرة متآكلة ،و أكثر ما لفت انتباه(نينا) إليه هو أن له قدمين متخاصمين كل واحدة منهما تنظر في اتجاه، لا ينبسطان إلى الأمام معاً و كان له بشرة كلون مسحوق الخميرة و تملأها شامات دائرية متناهية الصغر كالنقط، تتخيل نينا السبب الذي جعل قدميه متخاصمين، ربما هو أنه يقضي وقتاً طويلاً في القيادة ثانياً ساقيه الطويلين، لاحظ خالد إنها تدقق النظر في أقدامه فابتسم لها فقالت(هل تؤلمك ساقيك من الثني) هز رأسه نافياً ثم قال مبتسماً (هل تقصدين لأن ركبتي تلتصقان بالطاولة من الأسفل؟يعجبني الأمر كثيراً،هل تصدقين إنها كانت حركتي المفضلة في التنمر على زميلي في الطاولة المدرسية ،كنت أرفع الطاولة ما إن يبدأ بالكتابة فأفسد عليه الأمر ياا!)تحدثت و هي تستنشق رائحة الشاي فيترك رذاذاً لامع على شفتيها (الآن فهمت! انت ساعدتني الآن لأنك تشعر بالذنب جراء كونك طفلاً متنمراً،هل تسببت في انتحار أحد الأطفال)ضحك و هو يهز كفه (لالا !لم أكن متنمراً لتلك الدرجة كنت أتنمر بشكل بسيط و يتنمر عليّ آخرون و هكذا..،جميع الأطفال متنمرون ،هل تصدقين إنهم كانوا ينعتونني بأبي القدمين المتعاركتين لأن قدمي كل منهما تنظر في اتجاه،كنت أحاول عدلهما، يوماً ما أخبرني أخي الأكبر أن الطريقة الوحيدة هي أن اضبطهما على الوضع الذي يجب أن يكونا عليه و أنا جالس في حجرة الدراسة ،و ذات مرة و أنا أجرب الأمر كانت قدماي تثبتان لثوانٍ ثم ترتخيان فاضمهما مسرعاً ظللت على تلك الحال حتى أنهكت فصرت أُسرّع الأمر: إلى الأمام، على الجانبين، إلى الأمام، على الجانبين، و كاد صوت اصطاك الرمل في بلاط الحجرة أن يصيب المعلمة بالجنون كانت ترفع

صوتها بغيظٍ متساءلة عن الغبي الذي يحك قدميه و أنا مستمتع بإغاظتها،يالها من طفولة!)
ضحكت (نينا) و فكرت في حفلات التنمر التي كانت تقيمها هي و ليزا و قطع تفكيرها خالد حينما تابع؛ لملء السكون الذي حل بينهما (أدعى خالد الطويل لذا من المرجح أن يكون جدي الأكبر فارع الطول و أمر الأقدام الطويلة المثنية ربما هي انتخاب طبيعي مرت به عائلتي لنعيش طبيعين) فتحت نينا كيس صغير من مسحوق تبييض القهوة ووضعته على لسانها فابتسم خالد فقالت(أحب تناول مسحوق كريمة القهوة)فقبض على مجموعة أكياس من المسحوق و أكياس من مسحوق السكر ووضعهم في حقيبتها و ابتسم و قال(إذاً تناوليهم جميعاً حتى تنضجي) و تعرفت (نينا) إلى خالد و عرض أن يساعدها إذا رغبت في العمل كمترجمة في الشركة التي يعمل لصالحها؛ فالشركة تطلب في كثير من الأحيان مترجمين للأسبانية و الفرنسية ،تناولت منه البطاقة التي تحوي رقمه و عنوان الشركة و استأذنت الرحيل قبل أن تنهي الطعام الذي بالكاد لمس شفتيها بحجةٍ كاذبة و هي أن لديها موعد هام و في الحقيقة لم ترد أن تستهلك وقتاً مع خالد الذي أصبح بلا فائدة لها و لا حاجة لها به منذ فهمت إن تلك أول مقابلة بينهما، و لم تمهل خالد حتى فرصة توصيلها إلى باب المكان ،رحلت مهرولة؛ كأنما تخشى أن يعرف خريطتها، كانت سيارة الأجرة التي تعرفها تزحف على الأرض إلى جوارها ،و على بُعْدِ خطىً ليست ببعيدة وقفت السيارة أمامها و ناداها السائق المترف(ممدوح) فدلفت إلى داخل السيارة ،مشيا فترة طويلة بلا كلام كأنما يدرسها و تدرسه، و بعد أن زارا ميادين و شوارع و أزقة بلا كلام قرر قطع الصمت الذي يخفي تفكيرات و تصورات بشأنها تجعله يمقتها بقدر ما تُحيِّرَه أوقف سيارته أمام سوق شعبي للأسماك ،كانت النساء يفترشن الأرض و يفصل بين أقدامهن قصعات تلهو بهن أسماك متنوعة و لكن أكثر الأسماك التي كانت تجتذب نظر ممدوح هي أسماك القرموط قال و حدقتيه تتلوى مع الأسماك (أُراقبكِ منذ خرجتِ من الصيدلية مع هذا الشاب) لم تجيبه فأكمل بعصبية(رأيتكِ البارحة في صحبة رجل بشعر أشيب كالعجائز) لم ترد ،فرفع صوته بغضبٍ(ألا تمتلكين ذوقاً مُحدَّداً،على كلٍ تدينين لي بواحدة ،كان

بإمكاني أن أخبر الرجل في المطعم و الرجل في الأمس إنني قمت باغتصابكِ قبلهم جميعاً)
التزمت الصمت فخفض صوته و قرر أن يزداد فظاظة معها فسألها (متى ستلمسيني ؟) نظرت إليه كأنما لفت انتباهها لشيء ما، فوضع يده على ركبتها يشلح فستانها و يذهب بأصابعه الباردة للأعلى رمت يده بعيداً فصاح بها(إن لم تكوني عاهرة أو معجبة بي فماذا انت ؟لم أبحث عنكِ و تبحثين عني؟ لم تقبلي أن تركبي سيارتي و قد أهنتكِ بها، حتى إنك لم توبخيني،لم تتجاهلين لومي،هل انتِ شيطانة!)

(لدي فكرة و لا تمهلني لأكملها)

(حسناً و أنا لدي أفكار عدة ما رأيكِ بتنفيذها)تحرك بالسيارة فجأة فكاد يدهس طفلاً فنظر الطفل نظرة صامتة إليه فرجع ممدوح بالسيارة و صرخ بالطفل قائلاً(ليتني سحقتك تحت عجلات السيارة) و انطلق ثانية
قطعت ساعات الصمت و قالت(توقَّف و دعني أنزل هنا!)و رغم إن الوقت صار متأخراً بشدة إلى أن ممدوح أنزلها بدون نقاش ؛ليؤكِّد لنفسه إن أمرها لا يشغله و رحل مُسرِعَاً قبل أن تمارس دماغه عملها، جلست على أحد الأرصفة تفكِّر لم طلبت النزول رغم إنها كانت تريد البقاء مدة أطول؟ شيء ما تبحث عنه فيه و لم تهتدي إليه بعد..
تتساءل هل يمكن أن تعجب فتاة بشخصٍ اغتصبها و جرع براءتها الإهانات؟ فتنفي عن بالها السؤال بالتأكيد؛ هي تعرف إنها لم تحبه؛ إذ كانت تشعر أيضاً ذات الشعور مع الحاج سلامة و هو ما يبرر عدم غضبها و صبرها على اختلاقاته المنحرفة بشأنها حتى إنها لم تجرؤ على فضحه أمام (مسعود الفار) بل و حتى إنها قررت أنها لن تتوقف عن التحديق في عينه التي لا تقبل أن تسمع حكايات مسعود الفار عن أنها حدقت في أجساد عارية ، و على نفس المنوال في قبول ماهر و سلامة قررت إنها لن تتوقف عن قبول عروض ممدوح بتوصيلها تعرف إنها ستقبل مُكرَهَة مُرافقة هذا الداعر الذي يفكر دوماً بها كعاهرة ،تستمر في التساؤل هل من

المعقول أن تعجب بكل رجل يقابلها فتتذكر إنها شعرت من قبل ذات الشعور مع ماهر و تم حسم الأمر؛ بالتفكير في ماهر هي لم تحبه و لذا لا تشتاق إليه فقط شوقها للرئة التي استخرجتها من صدره التعب، تلك التي كانت تدفع صدره؛ ليعلو و يهبط بحنانٍ، تشتاق إليها الآن و هي تتخيلها ، تتخيل خالتها و هي تنظر إليها بشماتة و تقول(هه! حتى ماهر خدعكِ أيتها الغبية،ظل يجرجرك خلفه و هو يعرف أنك تحتاجين إلي رئته فقط،ألم يهرب يوم لمستيها في الحفل الراقص،ألم يقلها صريحة(فارغ الصدر))و تتخيل نفسها و هي تمسك بالرئة و تقف على جسد ماهر الفارغ و تقول(لم أتعرض للخداع تلك المرة،لقد فزت،و هي جالسة في خيالاتها تحاول أن تؤجِّل بكائها ؛فهي تعرف أن أي دمعة تنحدر على خدها ستجف باردة على الرئة الخارجة من ماهر رغم إن الرئة أصلاً دافئة و لكنها تتذكر أن الدفء الذي تشعر به لا يتعلق بدرجة الحرارة،و بلهجة ريفية تعرفها نينا جيداً سمعت صوت أجش يسألها قاطِعاً دوامة تفكيرها (إلى أين؟)

و بإجابة حاسمة (إلى المكان حيث تقبع الذبابة الفاتنة)

(عيناي متضررتان!.. جربت علاجهما بأكثر الطرق أنانية و رغم إن الأمر نجح طبياً إلى إنني لا أشعر إنه ينجح معي ،أتعاقر الأدوية ؛لأبقيهما على حالهما هل تقبل تلك الذبابة أن ترها عيناي؟)قالها الحاج سلامة و هو ينظر إلى عينين نينا اللتان تلمعا و تتحركا حركة أفقية يميناً و يساراً ثم قالت(إلا العينين الكحيلتين التي تحاول أن تظن الرموش التي تكحِّلها أنها مكمن فتنتها ،تلك العينين لا تتفاوض معهما الذبابة الفاتنة مطلقاً ؛فهم خلاقي فتنتها!)يغلق جفنيه بقوة؛ ليدفع عينيه إلى داخل المحجرين ،يحمر وجهها و تتوقَّف عن الكلام ؛يهددها خاطر ماذا إن أغلق جفنيه عن العيون التي تريدها للأبد؟ تطلب منه بحزمٍ أن يفتح عينيه ،يفتحهما بقوة كأنما تنفتح رغم عنه و عن جفنيه ،كأنه كان يحاول أن يغطي العيون فتأبى و تبتسم (نينا) ابتسامة المُنتَصِرَة و لكنها ما تلبث أن تنهار باكية في عينيه اللتان تدمعا كأن سيلاً يخرج منهما ، لا يدري هو لم تسأله بين نوبات بكائها(هل تحب رؤية زوجتكِ عارية؟)أجابها بشفقةٍ و هو يربت على ؟

أسفل عنقها من الخلف و سيل عينيه يستمر بالتدفق (لا أحب رؤية زوجتي أصلاً ،تزوجتها منذ زمن عندما كنت شاباً،كنت طويل القامة عريض الكتفين و لكني دائماً كنت محسود)يغير من صوته بارتباكٍ؛ ليُدرِكَ السامع حتماً إن حديثه مخلوط بالكذب(كانت عيناي أجمل ما فيني ،و نتيجة للحسد أصبتُ بمرضٍ شديد فيهما جعلني أرى بتشوُّش، فتم نعتي بالأعمش، أصبحت أخجل من التحاور مع الناس، لم أكن أعمى؛ كنت أرى الناس من حولي يتحدَّثون بالإشارات عني و يستهزأون بي و يقومون بخداعي؛ ظناً منهم إنني أعمى لا أراهم،و في الحقيقة أعجبني الأمر و كنت أستمتع بظن الناس أنني أعمى بل و تماديت في الأمر و منحتهم تصديقاً على أنني لست أعمش بل أعمى ،كنت أستمتع برؤية الحقيقة و هي تتلاعب و تتلوَّن على أعين الحمقى العمياء، و كان قمة الغش الذي تعرَّضت له إنهم قاموا بتزويجي بابنة عمي التي زهدت الشباب من كثرة التجوال معهم في الأنحاء التي زارها كل من في البلدة عداي ــعلى حسب ظن بلدتي الجاهلةــ ،بعد أن تزوجت أُغرِمَت بي زوجتي و منحتها طفلين و ازدادت تجارتي اتساعاً حتى أصبح سلامة الأعمش أغنى من في البلدة،و عندها أُغرمت زوجتي أكثر بزيارة الدجالين تعقد الأسحار و تطبق الأحجبة و تملأ بها أركان المنزل،هل تصدقين إنني يوماً ما رأيتها تستمني بعضو قردٍ محنط و لم استطع تمالك نفسي و إنكار رؤيتها بل أعترفتُ إنني أرى جيداً يومها)يضحك و يكمل(يومها اعترفت لي إنها زارت أحد الدجالين و أخبرها أن ما يمنعني منها هو جني عاشق يحول بيننا و السبيل الوحيد لطرده هو إثارة قرفه بفعل ما فعلت، و في الحقيقة إن فِعلَتها طردتني قبل أن تطرد الجني) توقفت نينا عن النحيب الذي كانت تنتحبه خلال كلام الرجل و صارت عيناها تدمعا؛ تتخيل الوضع الذي سمح هذا الغبي للعينين أن ترى زوجته فيه فيطمئِنُها بقوله(بعد تلك الحادثة اشمأزت نفسي منها تماماً و بعد أن كشفت سري فلم يعد هناك مبرر لرفض العلاج،عالجت نظري و منذ عالجته أصبحت أرى الحياة بشكلٍ مختلف، فأرسلت طفلي ؛لاكمال تعليمهم بالولايات المتحدة و ركضت وراء دنيا أخرى تناديني و تبحث عني خارج البلدة الريفية و ما إن خرجت من البلدة حتى عرفت شعور التعرّي أمام

الشمس و أدمنته،استأجرت شقة في العاصمة في الطابق تحت السطح مباشرة لأقوم يومياً بخلع ملابسي بأكملها أمام الشمس مباشرة)

(تعتدي على حياء الشمس)

(أفهم ما عنيتي ، إن الشمس لا تعرف الحياء، لا تستأذن بالدخول من أضيق الشقوق.....في الغالب لا يراني أحد إلى جوار الشمس و في بعض الأحيان يراني و في كلتا الحالتين لا أهتم أنا أقضي وقتي بعيداً عن بلدتي، أمارس عدم الاهتمام ،لا يقِضني عرف و لا يسلسِني الخجل و لا تحبسني الأصول و تجبرني الرجولة ،فقط أفعل ما يحلو لي) و كان ما فهمته (نينا) من حديث الرجل إنه يعيش في بلدته من الصامتين ؛ هؤلاء الصامتون تعرفهم (نينا) جيداً، الآن فقط صَدَقَ شعورها عن الصامتين، كانت لها زميلة صامتة تُدْعَى (دانييلا) كانت ذات جبهة بارزة و عينين ككرتين من الكُجَّة، كانت صامتة في حجرة الدراسة و في صالة الألعاب و في حجرة الموسيقى، لم يرَ أحد رأسها عاري مطلقاً كانت دائماً تغطيه بقبعة أو قبعة ثلجية تبرز منها بعض الخصلات الكستنائية، وكانت نينا تعرف لدرجة التأكد أن هؤلاء الصامتون ينفجرون في أماكن مُخصصة لهم تختارها عقولهم بعشوائية؛ لتتحرر فيه الأفكار التي من المستحيل أن تظل أسيرة و تفسح مكاناً لغيرها، قاطع الحاج سلامة تحليلاتها(بعد أن عالجت عيني رأيت أشياء غريبة و الأغرب إنها صارت تعجبني و أركز نظري بها.....رأيت الذبابة الفاتنة ذات مرة)

قاطعت بصوتٍ مرتفع كأنها تنهره على سرد حقيقة تحفظها(بالتأكيد رأيتها ، تطير بين الجدران اللماعة في كهوف الكريستال ،يركض الباحث عنها ورائها فاقِداً رشده و منطقه بأن كهف كهذا سيودي بجسده إلى الهلاك مُتَخْبِّطاً،يراها قريبة فيدنو منها فتصدم جمجمته بكامل قوته بالحائط الشفَّاف فيستاقط الكريستال الحاد ناخزاً جسده الذي يستدير؛ ليتتبعها على حائط وهمي آخر فتزهق روحه بالنهاية لتنظر الذبابة إلى جسده المتكور نظرة اشمئزاز ؛فالأجساد الفارغة قنابل من الجيف) بدأت أناملها في الخدر و عينيه ساهمتين كأنه تحت تأثير تعويذة ساحرة

مُتَمَرِّسَة فذهب و لم يعد أبداً....
وصلا بسيارته إلى أعلى نقطة في الجبل توقَّف و سهم ينظر إليها فأمسكت بملعقة البوظا التي وجدتها أسفل المقعد و أدخلتها في محجر عينه اليسرى كانت العين لامعة بلمعة قطعة من الكريستال تفرز سائلاً شفافاً يضلل ملعقة نينا عن بدايتها تضع الملعقة و ترتكز فتضل البداية و النهاية فتزفر مللاً حتى بالنهاية وضعتها فجأة و بقوة و انتزعت العين الأولى و هو ساهماً بوجهه، فسألته إن كان يتألم أومأ برأسه نافياً بحزم ليقطع شعورها بالذنب الذي يؤلمه هو رؤيته بادٍ على صوتها ، و فعلت المثل بعينه اليمنى ووضعت العينين في حافظة بلاستيكية و احتفظت بهما في حقيبة الظهر الخاصة بها ،بها نظرت إليه بمحجريه الفارغتين و هما ينزفان كأنما يغتسلان من العيون الغريبة التي زارتهما ــكما قالت له نينا ــ التي شعرت بعدما قالت ما قالته بعدم الارتياح الذي يرافق الوحدة مع الغرباء، فاحتنضت العينين في حقيبتها و فتحت باب السيارة و نزلت مسرعة، أما هو فاستمر بالحديث مع نفسه(لم يكن أبداً هذا الطريق طريقي ،لم أعرف أبداً الاتجاهات) و دعس بقوة على مزود الوقود فطارت سيارته بين أحجار الجبل؛ ؛لتصنع انفجاراً يؤذي أذن نينا الرقيقة التي تشبه قطعة البسكويت..
أما هي فقد بلغت في مشيها أحد المقاهي الشعبية على الجبل فانتبه الجالسون كالضباع تمر بينهم غزالة، الجميع يجلسون يزمون شفاههم و يفتحون أعينهم بأقصى اتساعها ينظرون إلى الأجنبية و يلقون عليها أقذر التحرشات اللفظية التي استحضرتها عقولهم سريعاً و كادت تنفجر بها؛ خصوصاً بسبب عدم قدرتهم على فعل أكثر منها؛ بسبب تحذير(البغل) خريج الدبلوم الصناعي الذي يعتبره رواد المقهى وزير الثقافة بالمقهى؛ حذَّرَهم البغل من الاقتراب من تلك الأجنبية ؛حتى لا تسحلهم الشرطة بأمرٍ من سفارتها و امتنع الجميع و لكنهم لم يستطيعوا منع ألسنتهم ،وقفت(نينا) تلتقط أنفاسها بمحاذاةِ المقهى فلمحت شاباً يجر فتاة مُنهَكَة القوى رُغْماً عنها، يظهر على زيها المدرسي الهلاك، و لازالت أصابعها مُتَشَبِّثة بحقيبةِ كتبٍ مدرسية مُهْتَرِأة يلتف حول رقبتها غطاء رأسها كأنه حبل المشنقة و تجر قدماً حافية و تستند على أخرى و الشاب

يسحبها فتنكشط التي فقدت حذائها، تدير نينا وجهها عنهم و تهم بإكمال الرحلة فتتذكر وجه(ألفارو) و هو مُمْسِك بكتفيها يهزها بقوة(أفيقي يا نينا !نحن في واقع لسنا في محاكاة لا تنتهي، أفيقي انت فرد مُؤثِّر،! تفاعلي)تتحدث في رأسها (ألفارو مسكين ؛مخدوع بالكامل و مُضَلَّل و الأدهى إنه يريد توريطي معه في الضلال!) تسمع صرخات الفتاة و ضربات المُغتَصِب لها و تهديداته كانت تلك الأصوات تثير شبق الجالسين و غرائزهم الجنسية بدلاً من أن تثير شفقتهم؛ فهم يكرهون الشعور بالشفقة ؛إذ يعتبرونه لا يفيد أو يزيد بالنسبة لهم ... انتهت حفلة اغتصاب الطالبة المخطوفة من ذويها الصارخين بالتأكيد الآن على غيابها أو ربما لا يصرخون و يستمتعون بتدخين الشيشة على أحد المقاهي المشابهة ،رفع المغتصب بنطاله و رحل تاركاً الفتاة ملقية على الأرض فنهضت تنظر إليهم بخزيٍ كأنما هي المُذنِبة و هم الضحايا ،هب من الجالسين مغتصب آخر طرحها أرضاً ثانية و هي تصرخ فصرخ معها الطفل ماسح الأحذية يؤنِّبهم و يتوسَّل إليهم بإيقاف عذابها بتلك الجريمة الغير أخلاقية ،فيصيح به البغل(لاتقلق !سنمنحك دوراً يا مناهج الابتدائية)يصمت الطفل لا حزناً و لا خوفاً و لا رضا، أما نينا فكانت تحدِّق في هؤلاء القوم الذين يتجنَّبون النظر إليها و يغتصبون طفلة إعدادية، أرجعت شجاعتها بينهم أنها تملك ما لا يملكه أحد سواها التعويذة السحرية (الذبابة الفاتنة) فكرت نينا بأمر تلك التعويذة السحرية التي تذهب بعقول الرجال فهداها التفكير أن تجربها حالاً لترى وقعها على آذانهم، فصرخت بهم بالاسبانية قائلة(الذبابة الفاتنة!)؛ بعد أن كانت على وشك أن تصدق إنها شبح شفاف ؛يتراجع البغل و يصيح(اخفوا وجوهكم إنها صحفية أجنبية، ستفضحنا في بلادها و من ثم يتم سحلنا في ظلمات زنازن أمن الدولة، ألا ترون كيف لشابة فاتنة ضعيفة أستطيع حملها بين أصبعين أن تقف غير خائفة بيننا و تصرخ موبخة) رفعت الفتاة وجهها و نظرت إلى نينا بعينيها الزرقاوتين و هما تلمعا بتحدٍ و تمسكت الفتاة بتلابيب نينا ؛و لم تفهم تماماً مالذي حدث و لكن لابد أن السماء قد رقَّت لحالها فبعثت لها أجمل ملاك فيها و هو نينا في نظرها، و لما نجت الفتاة بإشفاق السماء عليها، تذكَّرت أن تجهش البكاء و هي تُلَمْلِم

ثيابها و حقيبتها المدرسية أما (نينا) فاستمرت في مشيها غير عابئة بتلك الفتاة التي تهرول في حمايتها رغم الألم الذي يفتك بكل خلية في جسدها، تزيد نينا من سرعة أقدامها؛ خوفاً على العين في الحقيبة أن تفسد و رغبة في الانفراد معها قبل أن يرحل لونها سدى دون أن تتبادل معه النظرات، سقطت مغشياً عليها فسقطت معها الفتاة تحاول إفاقة منقذها الوحيد في هذه الغابة ،حاولت فتح الحقيبة المسجي جسد(نينا) عليها ففشلت، ففتشت جيوبها ووجدت بطاقة بها اسم شخص يدعى خالد الطويل فتشت الفتاة في حقيبتها فوجدت شطيرة جبن أعدتها لها والدتها المكلومة مُستقبلاً ،قبل أن يتم خطفها في طريقها للمدرسة و كانت الشطيرة نتنة الرائحة متعفنة فمررتها أمام أنف نينا فأفاقت على الرائحة ،و دست الفتاة بطاقة خالد الطويل في جيبها دون أن تنتبه، أفاقت نينا و أخرجت كيس من مسحوق مبيض القهوة من حقيبتها و نثرته في فمها و استعادت قواها ،سارت الفتاة خلف نينا و الليل في منتصف ظلماته سمعت سيارة أجرة بمذياعٍ قوي يرج الأنحاء بأغنية(محدش شاف حبيبي)شعرت نينا ببرودة تسري إلى جسدها و أصيبت رقبتها بالخدر و فقدت السيطرة على جسدها لدرجة إنها كانت على وشك التبول رغم إنها لم تحبس بولاً، توقفت السيارة فجأة بعرض طريقهما، و نزل منها السائق المترف بعينينِ غاضبتينِ و أمسك(نينا) و طرحها أرضاً بقوةٍ فكشط جلد خدها الرقيق و شق فستانها ،فبدت بسروالٍ داخلي تبدو منه بقع الدماء المتسربة و أمسك بفستانها و قطعه قطعاً صغيرة ،و صاح في نينا بغضبٍ لم تعرف سببه ربما هي نزعة سادية أو ميل للعنف كان(ممدوح) يخفيه و صاح بها (يا عاهرة! يا ساقطة!)كانت نينا تحاول النهوض ألقاها ثانية و جثم بجسده فوقها فحركت يديها تدفعه فلمست فيه موضع أصابها الاثنين بكهرباء مُحبَّبة فقام منتفضاً من فوقها،و نظر إليها بشفقة محاولاً اخفائها بمسح دموعها ،ماسحاً دموع نينا و نافضاً التراب المختلط بالدم الذي يلطخ فخذها، و ترجَّل من السيارة رجلاً آخر أربعيني أسمر البشرة أصلع الرأس يرتدي قميص برابطة عنق أشار إليه (ممدوح) ليعود للسيارة على نظرات نينا المُتَفَحِّصَة و نهضت تنظر إلى ممدوح بصمتٍ، دخل ممدوح السيارة و تبعته نينا و الفتاة تتبع نينا؛ فهي

تؤمن الآن إنها منقذها مهما أحدقت بها الأخطار،هز ممدوح رأسه كأنما يحاول أن يسترجع فظاظته فصرخ (ياويلي!ستكون حفلتنا الليلة لا مثيل لها ،مارأيك يا نينا ستكون أول حفلة نظامية لنا ،تخيلي نحن الأربعة في فراش تغطينا المتعة)لازالت نينا العارية الصامتة تنظر بتركيز إلى الرجل و ممدوح،و يقطع هذا التركيز قول ممدوح نحن الأربعة الذي ضايق نينا بشدة فهو يعني أن تشاركها الفتاة غنيمتها فنظرت إلى الفتاة التي ترتجف كالمحمومة و يتشنَّج جسدها ثم تبولت في جونلتها قال ممدوح و حاجبيه الأسودين يتحركا رغما عنه متأثرين بذنب يعاند للاعتراف به(لا لا !أهذا شكركِ ؟الصمت ؟هل تعلمين كم تكبَّدت لأجد (محمود شكري،كم تكبدت لإقناعه إنه مني و أنا منه رغم إنه كان مقتنع و يتظاهر فقط بالعكس! نحن مكملان نحن رقم عشرة)تنظر نينا إلى ممدوح بعينيه العسليتين ووجهه الأبيض الناصع و حاجبيه الأسودين و شفته العليا المقلوبة و قامته الطويلة هو فعلاً الضد تماماً لقسمات محمود شكري هما فعلاً يبنيان الكمال بتناقضهما الشكلي و السلوكي، ضحك ممدوح ضحكة ماكرة و قال (لا لا أعرف تلك النظرة جيداً،أنا لست شاذاً و لكنني عرفت إن هو من أبحث عنه؛ لسبب ما قد يكون نفسه الذي يجعلني أبحث عنكِ و جعل (محمود شكري) يبحث عنا، ألا تشعرين بالراحة الآن كما نشعر بها سنستمتع صدقيني!)لازالت الفتاة مُتَشنِّجة تنظر برعبٍ و دموعٍ عالقة، تخاف أن تتحرَّك من الرعب الذي يحيط بها و هي لم تقترف خطأ سوى إنها خرجت؛لطلب العلم، تفكِّر في والدتها التي ضاع أملها فيها كما ضاع أملها هي التي كانت تُحضِّر طيلة البارحة ؛لحضور اختبار الشهر الأول من الدراسة،اكتملت فكرةَ(نينا) بم تحتاجه و نظرت إلى الفتاة على إنها دخيلة خطرة على أشيائها ،أزاحتها و مدت رأسها بين المقعدين و سألتها بصوتٍ منخفضٍ(ما رأيكما أن تأتيا معي لمشاهدة الذبابة الفاتنة؟) تاهت أعين الرجلين و أمسكا بنينا من ذراعيها الضعيفين و شداها بقوة؛ لتجلس بينهما فاتبعتهما دون مقاومة؛ فالشعور بالجلوس بينهما لا يُقَاوَم بالنسبة لها و حتى إن قاومت لن تظفر؛ فهي صغيرة كالعصفورة الواقعة بين بغلين ،أما الفتاة في الخلف فكانت ساهمة تذرف دموعاً رغم عنها على نينا التي تُعذَّب؛ جراء

فتنتها الطاغية، و في الوقت ذاته تشكر الله أن نينا أجمل منها و ربما يزهدها الرجلين من فرط ما سيفعلانه بنينا المسكينة التى رفعت الفرملة اليدوية للسيارة فتوقَّفت فجاءة وتمدَّدت نينا على ظهرها و فتحت الباب للفتاة و دفعتها بعيداً خارج السيارة ،فأفاقت الفتاة و ركضت كالحصان نحو السوق الذي يُنصَب الآن مع نسمات الصباح الندية و استمرت السيارة في طريقها نحو منزل نينا ..

في منزل(نينا) جلس الرجلين على الأريكة الجلدية تتوسطهما نينا و لكن على عكس اتجاه جلوسهما ،بقيا صامتين على هذا الوضع قرابة الساعة ،تتحدث نينا بصوتها الرقيق(أشعر إنه قد تم التلاعب بي و خداعي؛ لا لشيء سوى لخداعي، أتساءل لم يصر الجميع على أخذ ما تصل إليه أيديهم..... آه تلك العينين فقدتا لونهما قبل أن أضعهما بالمبرد، و لكن لونهما لا يعنيني بقدر ما تعنيني لمعتها التي لا تنتمي إليها، و تلك الرئة كانت تصرخ أكياس الهواء فيها ؛مُشمَئِزَّة من هواء دخلها عبر أنف لاينتمي إليها)قاطع حديثها ممدوح الصامت على غير عادته بعطسة ذكرتها إن سبب الأمان الذي تشعر به الآن يرجع إلى شيء يحمله الرجلين و ينتمي إليها، نبهتها تلك العطسة إلى أن ممدوح إلى جانب كونه متحرش و مغتصب و بذيء اللسان فهو لص كبير؛ سرق ما أضناها البحث عنه؛ و (محمود شكري) صامت لم تسمع نينا صوته و لم يفعل ممدوح ؛فمنذ ركب إلى جواره و هو يحاول اقتناص أي حكاية منه بلا فائدة و كان الصوت الوحيد الذي نطق به هو اسمه، لازال ممدوح يحاول أن يخرج بأية حكاية لمحمود شكري ربما تُبرِّر تلك الحكاية تلك المشاعر الغريبة التي يشعر بها ممدوح منذ عاد من باريس؛ مشاعر الاحتياج التي سدها مقابلته لنينا و محمود شكري، و لكن نينا لم تأبه لسماع الحكايات و لم تهتم في الأساس أن تسمع حكايات مُلَفْقَة و كاذبة؛ فأي حقيقة ستخرج من فم سارق محتال يأوي شيئاً غير آبه بتوسلاته للتحرير بين يدي معشوقه ،و لتحريره قامت مسرعة و قالت(انتظراني قليلاً)صاح الاثنين صيحة غضب من استعجالها في أخذ القرار و النهوض بتلك القوة ؛لتقطع عنهما احساساً لايستطيعا وصفه ،صرخ بها ممدوح(لاتكوني أنانية بهذا الشكل،لا تغلقي دماغكِ عن

الجميع،ألم أخبركِ أني مريض؟ ألا تشفقين لحالتي؟)

(هه! جميعكم مرضى؟ رباه! لم يجذبني المرضى فقط،و حتى! هل يبرر المرض أن تكون أنانياً؟ تطلبون جميعكم الشفقة و تحبسونها إن سُئِلْتُم عنها،لا فائدة من طلب الشفقة أبداً كما لافائدة من هذا النوع من الحديث) زفرت باستهزاء،فهي وصلت لما بحثا عنه حتى تورمت حدقاتهم من التدقيق ، و ممدوح لازال يتعجب فكيف تنهض و تقطع ثمالة تلامُس أجسادهم الساحرة؟ كيف تختار أن تُنقِص متعتهم و لو ثوانٍ؟ تعالت صيحات غضب منهم غير مرتبة في كلمات فقط أصوات و إيماءات كأن شدة الغضب قد أفقدتهم التميز بالسلوك الانساني فرجعوا إلى العجينة الأولى لخلقهم، فتحدثت لتهدئتهم بصوتٍ مُفرِط في الرقة(هناك أمور يجب عليّ معالجتها حتى ننعم للأبد بم اشتقنا إليه و رقصت له الذبابة الفاتنة)انقبضت أعضائهم بهذا الشعور الحماسي الذي لا يُوصَف بدمج الخيال بلمسها للأبد على رقصة الذبابة الفاتنة ..

شرعت تبحث عن شيء تحتاجه؛ لاستخراج الأعضاء، تتذكر الشخص الذي ظنت أنه وعدها يوماً بتقديم المساعدة الغير مشروطة بشروط؛ ماهر الذي يرقد تحت المفرش في غرفة الطابق السفلي، تتذكر كيف منحها العضو الذي ينتمي إليها دون أنَّة واحدة تُزعج أذنها الصغيرة، لو كان موجوداً الآن لكان ساعدها في جرهما،تتذكر حتى بعد موته عينيه المفتوحتين تنظران إليها بشفقة كأنما يقول لو أستطيع جر نفسي للأسفل لفعلت رفقاً بأصابعكِ المقوسة الأظافر، تفكِّر إنها تمنت أن تعرف عن ماهر أكثر، كانت تريد أن تكتب عنه و لو سطراً تنعي روحه التي لا ذنب لها إنها أُودِعَت جسد ناقص يقطع من أجساد الآخرين؛ ليكتمل و لكنه يحمل الذنب كلياً على تستُّره و إخفائه لعضوها كل تلك الفترة؛كان عقلها يحدثها قائلاً(لا لا لا تفكري إنه لم يكن يعرف إن العضو لا ينتمي إليه؛ فالأعمى يعرف إنه هذا العضو لا ينتمي إليه ،حتى و لو كان يعيش في جسده طيلة حياته ؛فلا يعني إنه ملكه ؛فالأعضاء هي من تقرِّر إلى من تحن و إلى أي جسد تشتاق،هل تتذكرين حينما كان ينبض قلبك بمرور (ألفارو)،و لكن لم لم يعد ينبض بعد بمروره هل فقد احتياجه إليه؟)،تبحث في الحديقة فلا شيء ،خرجت للشارع لعلها

تحظى بمساعدة جارها الذي لاحظت تهرُّبه منها في الآونة الأخيرة بتعمُّدٍ كان يتعمَّد تجاهُل إشارته له و تجاهُل ابتسامتها و حتى تجاهُل رؤيتها في الشرفة ،و يوماً كان يقف أمام بوابة منزله كان يقوم بشراء الدجاج من عربة نقله و من إن رآها تقترب حتى أسرع المعاملة بينه و بين البائع و حتى إنه لم يجب إشارتها بشكلٍ ملحوظٍ، و لم تكن نينا تريد كسب صداقته في الأساس ؛فقط كانت تريد معرفة ما يخفي و يجعله يتهرَّب منها ..

لمحت نينا سيخ حديدي في صندوق سيارة الدجاج فطلبت أن تشتريه فرفض البائع ؛مُعلِّلاً إنه لصاحب السيارة و هو سائق أجير فقط فزادت السعر قليلاً مما جعله يتفاوض معها فرفع السعر فسألته(و ما حال صاحب السيارة؟)

(سأخبره إنه لم يكن بالسيارة أصلاً عندما بدأت اليوم)

(حسناً سأدفع لكَ و لكنني لا امتلك المبلغ الذي قلت،أنا لا أملك من المال سوى ما عرضت عليك، مارأيك أن أقدم لك بالبقيةِ خدمة)غمزت بعينها من إن نطقت كلمة خدمة و ابتسمت ابتسامة غريبة على وجهها البريء فلمعت عيناه بخبثٍ و خطى خلفها يدقق النظر في ساقيها المشلوح عنهما الفستان ،يلمعان كالشمس و هي سارحة في مشيها تفكر في باقي خطتها فتصطدم بدلو مياه على السلم و تكاد تسقط فيلتقطها الشاب بائع الدجاج و يدقق النظر في عينيها الزرقاوتين السارحتين بعيداً ؛تحاولا استحضار ذكرى يصعب عليها استحضارها بل يستحيل و هي مُغطَّاة برائحة الشاب التي عرفت منها(نينا) كيف تكون رائحة حظيرة الدجاج و هي لم تدخلها مطلقاً، يتحدَّث الشاب بأسنان بنية فتخرج منه رائحة نفس أبشع من رائحة جسده(انتِ فاتنة جداً!)

(سمعتُ صوتاً ابقَ خلف الباب؛لأتبيَّن) ردت بخدين يتجلي فيهما بفتنة خطوط الدم التى تمنحهما لون وردي بريء كلون خدود أطفال الروضة الأبرياء في لسعة البرد ،أخفته خلف الباب و خرجت بخفةٍ كخفة فراشات الربيع الحالمة و انتزعت السيخ من السيارة و رجعت إليه بنفس الخفة(آسفة ظننت أنهما قد جاءا و سيلتقطانا) سألها(و من هم؟)

(لاعليك!) ردت و ابتسم الشاب ؛فهو لا يصدق ما يحدث هل سيكون بعد ثوانٍ في أحضان تلك الفاتنة ربما هي أجمل فتاة وقعت عليها عينيه البائستين، اصطحبته حتى الغرفة التي يقبع فيها ممدوح و محمود شكري و اصطنعت الصدمة ثم استدارت تصرخ بالشاب الأحمق(اركض سيقتلونك !لا تريهم وجهك أبداً) نزل الشاب ركضاً و استقل سيارته بعيداً و ليس أبعد من قدرته على نسيان الملاك الذي كان بحضرته اليوم ،لن ينسى أبداً تلك المسكينة التي ستتحمل عذاب الشخصين بمفردها، تلك التي ضحت بنفسها من أجل أن ينجو هو ،أما هي فسألها ممدوح عن هذا الشاب بإسلوبٍ لا يخلو من الوقاحة التي اعتاد لسان ممدوح عليها ،فردت (واحد من المستغلِّين و انت لا شأن لك، انت هنا ؛لترى الذبابة الفاتنة)كررت جملتها ثلاث مرات ،و بعدها قالت (سترقص رقصة كغانية بدوية شلحت خمارها لمرتها الأولى و رمته على وحوش الصحراء فتتنازعوا حد انتزاع أعضاء بعضهم ما بين تنفس براءة خمارها و احتواء رقصتها في عينيها ،و على رقصتها أصدرت أزيزاً ناعماً محى من آذانهم أطهر الترانيم التي سمعتها) وصفقت بيديها برقةٍ و قالت(و على صفق جناحيها تمتم ترنيمة تسقى العاشقين دماء كانت عالقة بأسهم كيوبيد)

(هل تزيد دماء أسهم كيوبيد العاشقين شبق وغلة أم ارتواء؟)سأل ممدوح

(لن يعرف من لم يتذوقها!)

(و هل تسمح لي بتذوقها؟ هل أنا من العاشقين؟) غمزت له (حاول تخيُّل اللحن) غابت أعين ممدوح إلى ما وراء أعين محمود شكري الذي كان لقاء نينا للمرة الأولى صادماً بالنسبة له، كان احساساً لا يريد أن يعرف بعده أية أحاسيس أخرى، و بينما كانت أعينهم تغيب في عالم الذبابة الفاتنة نزلت هي لإحضار السيخ الحديدي و غلَّفته بفستانٍ موَّرَد، أحضرت السيخ و اخترقت به بطن ممدوح تحاول ادخاله و تعاندها قوتها فتتعثر و يصاب ذراعيها بالألم و تُثَابِر و تستمر في محاولاتها رغم قطرات الدماء التي كانت تطير لتستقر على وجهها الأبيض و تُشعِرها بالقرف، يتقطع جلده ببطء و هي تئن ،تزيد من قوتها ؛لتخترق لحمه ببطءٍ ينظر محمود شكري

إليها بشفقة تكاد تجعله ينطق و يهب لمساعدتها و لكنه كان من الولاء لفطرته ما كان يجعله عبداً لقوانينها فاكتفَ بالمشاهدة و ما إن خرج السيخ من الجانب الآخر لهثت ساحبة أنفاسها و طلبت من ممدوح ألا يغشى عليه الآن و هو يومأ برأسه باستسلام و عينيه تتحدث (لو كان في طاقة لكنت ساعدتك في غرز السيخ في أحشائي المتألمة،و تعذيبي،أعرف إنكِ وضعتِ السيخ بعيداً عن الكلية لتعذيبي) يتألَّم بشدة و هو يسمع أناتها الضعيفة فيعتذر بأصابعه و يزداد ألمه لدى رؤية عينيها و هما تدمعا ألماً و لا تريا اعتذاره الذي ربما كان ليخفف ألمها، ربطت طرف السيخ الآخر في سكين حاد و اخترقت به جسد شكري من ناحية الكلية مباشرة التى تحتاج فسلم شكري الروح بإبتسامة شكرٍ لها على تحريره ونظر إليها برضا يغيظها، راحلاً في هدوء على أنَّات ممدوح التي كانت تزعجها ،فكيف لتلك الأنات و حتى رغم إنها صادرة من حلق رجولي أن تكون أضعف من الأنات التي أصدرتها ؛عذاباً بسببه صعوبة تحريك السيخ البارد فيه بيديها الضعيفتين؟ لم هي أضعف من الأنات التي أصدرتها حينما كُشِطَت ركبتها و هي تُلقَى من خارج سيارته؟ لم كانت تلك الأنات أضعف من كل تلك الأنات التي أصدرتها و هي تلتحف ليلاً بلحافٍ من الفقدان و الحيرة و هو و جماعته يلهون بفرك مياسم أزهار الخريف..

استغرقت وقتاً طويلاً ؛لتصل إلى الكلية، انتزعت من محمود شكري كلية و ممدوح كلية أخرى كانت الكلى تتهدل في يديها كأنها هلام خرج من صحنه كان لونها أشبه بقتامة الفاصوليا الحمراء و مائلة للأرجواني و لامعة كالمرايا حتى إنها رأت وجهها فيهما معكوساً و تتحرَّك بنبضٍ و تتلوَّى مُحْدِثَة صوتاً كصوت نقيق الضفادع و لكنه خافت بحيث لا يسمعه سوى من وضعها على أذنه ،كانت الكليتان متشابهتين إلى حدٍ كبير عدا إن كلية محمود شكري كانت أكثر استطالة من كلية ممدوح و غشائها الأبيض كان أكثر سمكاً من كلية ممدوح عدا ذلك كانت الكليتان متطابقتين و بنفس الخطوط الدقيقة الداكنة التي تتوزع فيهما بانتظام ؛لتشبه شخبطات فنان عميق ***لا يقرأ فنه سواه...***

بعد أن استخرجت الكلي نظرت إلى الجسدين المفتوحين و يديها الملطختين بالدماء و الأرضية التي أصبحت بركة من الدماء و القرف و نظرت في المرآة إلى شعرها المفكوك من مشبكه من جهة و متناثر عليه قطرات من الدماء و لوهلة شعرت بالندم و الغباء لما للتو فعلت ،فكيف تكون غبية للحد الذي يجعلها تستخرج الأعضاء من رجلين في الطابق العلوي كيف ستستطيع سحب جسدين بمفردها، لم لم تستخرج تلك الأعضاء إلى جوار جسد ماهر الفارغ الذي سيكون جاراً للجسدين الجديدين، و على كلٍ أخذت تسحب الرجلين ببطءٍ يناسب حجمها الصغير ؛ لتضعها إلى جوار جثة ماهر النتنة التي أوصلت نينا إلى الاستفراغ الذي استمر دقائق و عندما هدأت معدتها عن الهروب للخارج تذكَّرت إنها في يوم ما لا تتذكره كانت تستفرغ بلا مرضٍ و لا علة و لا سبب تتذكَّره الآن، كانت تفكِّر و تفكِّر في السبب لكن رائحة الغرباء الثلاثة في منزلها كان يعقد دماغها عن التفكير فتطارحها فكرة بأن تترك المنزل لفترة ؛لتفكَّر بعيداً عن رائحة الغرباء و لكن أسيجعلها الظل خارج المنزل تهنأ بالتفكير ؟

في الطابق العلوي رصَّت على مفرش نظيف الكليتين بعد غسلهما من الدماء الغريبة التي تضايق الجميع و العينين و الرئة و جلست تتنعَّم بحضرةِ تلك التي تبحث عنها منذ وقت طويل، تنفي عن رأسها الرغبة في السؤال لم تشعر هذا الشعور تجاه الأعضاء و لم بالتحديد تستخرجها من الأجسام الغريبة عليها؟ مالذي يجعلها تأخذ من هؤلاء الغرباء أعضائهم؟ لا تريد سؤالاً كهذا؛ فالأسئلة تعصِّبها خصوصاً عند ثقتها إن أجابتها بعيدة بل أبعد من أن تكون مصبوغة بحياة هذا العالم، و لكنها كانت تفكر أياً كانت الأسئلة و أياً كانت اجابتها فلا يهم حتماً ستتكشف جميعها لأنها تخطو الخطى الصحيحة و هو ما تأكدت منه فور وضعها للكلى بجوار الرئة و تنفس الجميع بارتياح و عندما نفضت نينا عن رأسها تلك الخواطر نامت بأمنٍ و رضا يزيده هذا الخيال الذي كانت ترى فيه إن ممدوح لم يغب كلياً عند ذكر الذبابة الفاتنة فتقول في بالها من المستحيل ألا يحدث هذا و كيف لا يحدث و الكلية التي في أحشائه هي من همزت فيها بأن تغريه برؤية الذبابة الفاتنة، استغرقت يوم و نصف في إعادة النظام إلى المنزل و

تهذيبه ومرت بعدها ليلتان و ازدادت فيها رائحة العفونة و كلما سيطرت تلك الرائحة على أنفها كانت تركض نحو أعضائها المُستَرجعة _كما نعتتها_ تشم رائحتها تشبه بشكل كبير رائحة المنزل التى تُخفي الأطياف كما تُخفي العفونة الآن بالكاد من حولها، خطر لها خاطر ماذا إن التصقت تلك العفونة بالأعضاء ؛طمعاً في رائحتها التي تُخفي الأطياف عندها ستمتص العفونة كل الرائحة السحرية و تُحِيلَها إلى رائحة عفونة ؛فالعفونة ليست فقط أنانية إنما أيضاً هي غبية لم تفكر لوهلة على أي شيء ستتغذى لو أصبحت الأشياء كلها عفنة ،نظرت نينا إلى الأعضاء و هي تتلوَّى هائجة ،فتذكرت أسماك القراميط التي كان يتوقَّف ممدوح إلى جوار بياعيها في سوق الأسماك ؛ليشاهد حركتها كان شيئاً في حركتها جذاباً للعين بمظهرها اللامع الزلق و عصبيتها المفرطة التي لم تفهم نينا ما بها و هي تشاهدها إلى جوار ممدوح في أحواض البائعات الجالسات بوضع الولادة على الأرضيات الزلقة ربما كانت تتحرك تلك الأسماك بهذا العنفوان لدرايتها أن نهايتها قريبة و محسومة ،و تلك الأعضاء ربما تقلدها لنفس السبب و لذا تتخيل نينا إنها ستكون السبب في تلف الأعضاء؛ فتلك الأعضاء تكره إلا أن تكون برائحتها، ألم تضجر بأجساد الغرباء التي احتوتها و نبضت دافعة تلك الأجساد؛ لتخرج و تقابل(نينا) فمبال إن غلفتها رائحة غرباء عفنة حتماً ستفنى، فأسرعت تطرق أقرب بابٍ لها، باب جارها سائق الشاحنات حتى و إن كان يتهرَّب منها في الفترة الأخيرة و آخرهم منذ دقائق حينما رآها تخرج من منزلها قاصدة منزله، ظلت تطرق و تطرق و لا يجيب،و الظل يتراقص إلى جوار الباب على هيئة عفريتٍ بلا أرجل و لكن بفمٍ فاغر ضحكاً باستهزاء،تتجاهل الظل و تتساءل بتعجُّبٍ لم جارها مستمر في تجاهلها،تعبر من خلف السور لتشاهده جالساً يصيد الأسماك من النهر، بهت لما رآها، ففكرت أيما كان الشيء الذي جعله يتهرب منها لا يهم، هي ستطلب ما تريد فقط (أحتاج إلى معطر جو فوري هل بإمكانك إعارتي واحداً)لملم صنارته و حرَّك رأسه نافياً بتهرُّبٍ واضح ،دفعها لتصرخ بصوتها الرقيق الذي يثير الشفقة لدى سماعه(هيه!لماذا تتهرب مني،على الأقل ساعدني لأستطع النوم،رائحة العفونة تُبقي جفوني مُنتَبِهة)فكَّر في تلك المسكينة التي يصعب

على أنفها الصغير المسكين هضم رائحة الهواء المُختَلِط بعفونة مخلفات مصانع الألبان التي تُصرَف في النهر رغم إنه لم يشمها في الفترة الأخيرة إلا إنه رجح أن أنفه اعتاد عليها و رقَّ لحال تلك الآنسة البريئة الوحيدة و شعر بالمسئولية تجاهها ؛خصوصاً لصوتها المُختَنِق الذي خيَّلَ له إنها ستنفجر بالبكاء كالطفلة و عندها ستتورَّم عيناها الزرقاوتين بسببه، فُجِعَ عند تلك الناحية من التفكير فاستدار لمساعدتها،و أمرها أن تنتظره خارجاً .

و بينما هي في انتظاره توقَّفت إلى جوارها سيارة أجرة نزل منها (ألفارو) ،ما إن رأته حتى ابتسمت ابتسامة المُنتَصِرَة؛ فهي كانت طيلة الفترة الفائتة مُحِقَّة بشأن أن ألفارو كاذب مُتَسَتِّر، هتفت(ألفارو ،ألم خبرك ألا تأتِ ؟)

(متى ستنتهين ؟)

(لاأعرف،و لكني سألتك لأحصل على إجابة ليس على سؤال آخر، ألا تعرف إنني صرت أكره الأسئلة ؛منذ شهدتها و هي تستمر بالنيل مني عمداً و الهروب من إجاباتها)

(عزيزتي هل بإمكاني ضمكِ ؟)

(أخشى إنه ليس بإمكانك)انخفض صوت ألفارو و رجع للخلف و هي مستمرة في النظر بعينين غاضبتين جذابتين إلى عينين ألفارو العاجزتين(قبلت أن تذهبي قبل عرسنا، و قبلت أن تراسيلني بأوراقٍ فارغة لمدة طويلة ،و لكني لم أستطع الاحتمال أكثر حينما انقطعت تلك الأوراق الفارغة عن طمأنتي عليكِ)

تذكرت نينا إن الرسائل قد انقطعت بسبب غياب ماهر الذي كان يستقبل رسائلها على عنوانه و يبعثا الردود سويا، لم تحسب حساب الأمر بعد رحيله و لكنها اكتشفت إن معنى إنها لم تفكر بالأمر هو أن الأمر أصلاً لا يشغل بالها و هو شيء مُحدَّد و مُطمئِن فهتفت(و برأيك أي أذىً سيحل عليّ أكثر قسوة من تضليلك عن حقيقة مت يومياً لمعرفتها ؟) صمت ألفارو كأنما أُصيب برصاصة في الحلق فتابعت(كيف جئت إلى هنا يا ألفارو ؟هه !أجبني كيف عرفت

المكان ؟) تلعثم ألفارو الطبيب النفسي الذي حتى لم يستخدم طبه في الحوار القائم (كان لعائلتكِ منزل هنا و هاهو)

ضحكت(حقاً! أدفع فاتورة لاستهلاك المياه و الكهرباء باسمي!انت مازلت تصر على الكذب،ارتح قليلاً ياألفارو لقد عرفت الحقيقة كاملة،كيف تجرؤ على خذلاني بعد أن وثقت بكَ) لم تكن (نينا) تعرف من الحقيقة سوى ما تنفِّذ في وقتها الحالي و لكن كلامها بثقةٍ قد ارعب ألفارو الذي لم يستطع قراءة حقيقتها و حتى لو استطع هي فعلاً كانت تتكلم كلام الواثق من الحقيقة ،كان جارها واقف على بعدٍ يراقب ما يحدث بنظارة شمسية رغم إنهما في عتمة الليل (ألا تعرفين ما تكبدَّته من أجلكِ في السنوات الأخيرة) تقاطعه بنفاذ صبر(هذا ما أتحدَّث عنه؛ لم أطلب منك أن تتكبد عناء إخفاء الحقيقة و لا معاملتي كمختلةٍ انت لم تصدقني أبداً)فتحت أزرار قميصها السفلية مشيرة إلى ندبة عرضية في أسفل بطنها ثم صاحت(هل تذكر تلك (ألفارو)؟ هل تذكرها هل تتذكر حينما اختطفني المختل الذي كان يدعو نفسه (ماركوس) و صنعها لي بموس الحلاقة؟مالذي حدث بعدها ألم أخبرك إنني رأيته يرتدي زي طبيب و يعمل في مشفى و انت لم تصدقني أو حتى تكلِّف نفسك عناء تقصَّي الأمر، انت تتصرف كأنك أعلمَهُم يا ألفارو) كان ألفارو ساهماً يمنع عن لسانه النطق؛قد اكتشف إنه لا يدري لأي حد تعرف؟،و هي تحدَّثت بهدوءٍ(على كلٍّ يا ألفارو يمكنك التوقُّف الآن عن تكبد الأشياء من أجلي أنا لا أعرف إلى متى سأبقى هنا ،اليوم بعت هذا المنزل لهذا الرجل(أشارت إلى جارها الواقف بنظارة الشمس)و انتقلت إلى منزل آخر في المدينة، صمتت قليلاً ثم تابعت(ألفارو كنت نجم مدرستنا و إلى الآن مازلت تزداد جاذبية،أرجوك لا توقف حياتك من أجلي،عد إلى بلدك من أجلي و ابنِ حياة رائعة)

(أتنفصلين عني الآن؟)ضحك باستهزاء

(نعم !) اجابت ببرود فنظر إليها بعينينِ منخفضتينِ(ليس خطؤكِ! سأعود من أجلكِ و سترسلين إليّ الرسائل الفارغة مرة أخرى و سأنتظركِ) نظر ألفارو بغضبٍ إلى سائق الشاحنة الواقف متأملاً لما يحدث دون أن يفهم مالذي يجري بتلك اللغة الغريبة التي يتحدَّثون بها و لكنه فهم إن الشخص الهاربة منه إلى هذا البلد هو ذاته ألفارو الذي تصنع نينا من رسائله مراكب ورقية تعرقل صيد الجار فيفتحها و لا يفهم منها شيئاً سوى الاسم الذي كان يسمعه الآن ...

كان(ألفارو) مُتَعَمِّقاً في فهم تفاصيل نينا و عرف إن أي ضغط أو محاولة؛ لتصحيح الأمور التي لا يعرف السبب الحقيقي في افسادها من الأساس ستجري ضده ،فرحل؛ راكضاً وراء الأمل الذي يلفظه، خصوصاً إن الدكتور ألفارو قد ازدادت طباعه غرابة و تعقيد، سيعود الآن إلى اسبانيا ،سيمتلك صديقة أو يسترجع واحدة من تلك الفتيات التي يمارس معهن طبيعته الهوائية حتى يحط __في ظنه__على نينا بالنهاية و يتشبَّث بها فلا تُبعثِرَه نفخات الريح بين تلك الفتيات المُنتَشِرات في شتى الأماكن التى لاتزينها الملكة نينا...

كان الجار يقاوم رغبة مُلحَّة في الدفاع عن تلك البريئة الرقيقة التي تخوض مشاداة كلامية رغم إنه لم يفهم إنها كانت من تطرده و ليس هو من يؤنبها ،و من إن رحل ألفارو حتى اتجه الجار ناحية الشاحنة و فتح الباب و حمل نينا ؛لتصعد الشاحنة رغم إنها لم تكن مرتها الأولى التي تركب فيها شاحنته و لكن تلك المرة كان شعوره ناحيتها بالشفقة قد بلغ أقصاه ،كانت أصابعه طويلة و يابسة كقطع من الخشب قبضت على جانبيها فأنت أنة خفيفة من فرط ضغط أصابعه و بداخل الشاحنة شلحت فستانها لترى ما فعلته تلك الأصابع بأسفل جانبيها فتحت زرارين و خذت تنظر وهو يتطلع إلى المقود ثم اطمأن لما قفلت أزرارها برضا و صار يقود و هو مخفي العينين بنظارةٍ سوداء فسألته(لم ترتدِ تلك النظارات الآن ؟سنبلغ منتصف الليل بعد ساعتين)رفع كتفيه و هز رأسه بلا إجابة فأكملت(لم تتخفَّى هل تعرف شيء ما ؟)

(لا أريد أن أعرف أي شيء)

(و أنا لا أعرض عليك المعرفة!،فقط أشعر بعدم الراحة عند رؤيتك تتخفَّى مني دون أن أعرف السبب)

(أخبريني!لم لا تجيبي رسائل ألفارو؟)احمر وجهها و أجابت(هل تعرفه؟هل تفهم الاسبانية؟)

(أعرف إنك تتهربين منه و حتى من رسائله التي شكَّلتيها في قوارب؛ لتعرقل صيدي و تضلل أسماكي)

(أنا لا أتهرَّب)

(أخبريني! هل لسيارة الأجرة التي تقبع أمام منزلك علاقة بالأمر؟)كان يتحدث مشيراً إلى سيارة الأجرة الخاصة بممدوح فردت (أستطيع الشرح)

قاطعها(كفى! لا أريد سماع الاجابات؛ أنا فقط أردت أن أُثبِت لكِ إن الجميع لديهم مبررات لأفعالهم)

(إن ألفارو مخادع)

ابتسم ابتسامة ساخرة بدت على فمه لتهربها من الحديث عن سيارة الأجرة أمام منزلها و قال (الجميع لديه أسبابه!)

(و كذلك لدي أسبابي لأسألكِ الآن، ماهي أسبابك للهروب مني؟)

(أخبرتكِ إنني هارب إلى هنا مع طفلي من الجميع لا أسعى لتكوين صداقات، لذا ستنزلين لشراء المُعطِّر و أُعِيدك إلى منزلك،لن تحاولي حتى التحدُّث معي ثانية)

كان يتحدَّث و يغالب دموع شفقة غريبة في عينيه يشعر بها للمرة الأولى في حياته و هو يقسو على تلك المسكينة التي يعنِّفها بالحديث(و لم تتصرف بغلاظةٍ الآن؟ انت أخبرتني من قبل أنك تريد صداقتي) تحدَّث بصوت مُتهدِّج فيجيبها(غيَّرت رأيي)كانت تلك المرة الأولى لنينا التي تُرفض فيها صداقتها أو التملُّق لها حتى، تزداد دقات قلبها سرعة تود لو تسحب سم الفئران من رف المتجر و تبتلعه ؛لتنهي خذلانها من كلام الجار، فكرت لم يعاملها بلؤمٍ في الفترة الأخيرة ،هي متأكدة من كذبه بشأن موضوع رفض الصداقات، شيء ما جعله يفرّ منها ربما هو

متواطيء مع هؤلاء اللصوص الذين سرقوا أعضاء تنتمي إليها ،ربما رآها تسترجع أعضائها فأشفق عليهم خسارتهم، و لكنها واثقة بنسبة كبيرة إنه لم يرها و كيف و نوافذ بيته بأكملها مُغطَّاة بالستائر ؟و حتى لو رآها لكان أدعى لشفقته عليها، اشترى لها المُعَطِّر، و كانت تخطو خلفه كطفلته المدللة التي اقترفت ذنباً تُعَاقب عليه عقاباً و لكنه ليس أشدّ على النفس من عقابها للمُعَاقِب بنظرتها و هي مُعَاقَبَة بتلك العينين الدامعتين ببراءة فتفتك بأقسى القلوب ..

ركبت معه الشاحنة و خيم الصمت عليهما بإتقانٍ و قبل أن يصلا بدقائق تحدثت معه برأسٍ منخفض (شكراً!على كل شيء ،تأكَّد إنني لن أحاول الحديث معك مرة أخرى و لكن أرجوك لا تغضب مني إن كنت قد تجاوزت الحد)كان يود لو يسكتها رغماً عن رغبته بألا تتوقف عن الكلام أمامه حتى قيام الساعة ..

وصلا إلى منزلها ففتحت الباب و نزلت و هو مُستَسلِم لمراقبتها من تحت النظارة التي تخفي عينين متسعتي البؤبؤ؛ لتقصَّي هفواتها ركلت سيارة الأجرة التي تركها ممدوح بالقرب من منزلها و دخلت.

أصبح المنزل غريباً عم عرفته و احتمت برائحته من الأطياف و الظل الذي يتبعها من قبل؛ بسبب تلك الرائحة التي اختفت و رحلت و حلَّ محلها عفونة الغرباء المختلطة بالمعطر مبتذل الرائحة، قضت وقتاً طويلاً تحاول تجاهُل رائحة الغرباء النَتِنَة ؛كانت رائحة قوية تنكز جوانب الأنف كأن لها أصابع بأظافرٍ قوية طويلة لم يتم تهذيبها أو قصها مطلقاً و يُخيَّل إلى مستنشقها إنها صادرة من شيء هلامي معتم بلونٍ أبيض مُلَوَّث ،وبينما كانت الرائحة تحاول أن تسطو عليها كانت هي تتبع الرائحة التي كانت تحت حمايتها؛ لعلها تعرف مصدرها ؛لتوقظه فيطرد عفونة الغرباء التي لم تكن تشبه رائحة تعفُّن أجساد أو تحلُّل خلايا، إنما تشبه رائحة غرباء طردتهم أوطاناً لم تحفل حتى بالسؤال إلى أين رسوا و هي لم تكن تنوي أن تكن أكثر تسامحاً و تستقبلهم في وطنها، أولم يكتفوا بتضليلها و الأعضاء التى تألفها و تبحث عنها أسيرة في أجسادهم النتنة ذوات الدماء الغريبة، ياللقسوة! استغلوا إن تلك الأعضاء بكماء لا تستطيع

الصراخ و لكن جهلهم قد منعهم من إدراك إنها سيكون لها ألف طريقة للتواصل و ستكون تلك الطرق فعالة أكثر من الصراخ و حتى بعد أن اكتشفت جريمتهم و عالجتها لم يتوقفوا عن الشر ،الآن هم يضللون الرائحة التي تؤنّسها، يخفونها بلؤمٍ كما أخفوا الأعضاء من قبل،قررت الذهاب و طلب المساعدة من (مسعود الفار) المُتجسِّس الذي لديه خبرة تفوق خبرة الحكيم إيسوب حكَّاء المواعظ و الحكم و تلك الخبرة قد اكتسبها مسعود من كثرة تجسسه على أحاديث المتحدثين، ربما يفيدها الآن في طرد الغرباء من منزلها، نامت ليلتها بجوار المبرد المُحتَوي على الأعضاء تسأل نفسها رغماً عنها ماذا إن تمكَّنت العفونة من الأعضاء كما تمكنت من الرائحة فتشهق خائفة و تفكر بأنه تود أن تموت و تفنى بين الأكوان قبل أن تخسر ضمة تلك الأعضاء إليها كيف ستعيش و لمعة الكليتين مفقودة ،كيف تستطيع التنفس في كون خال من الرئة الوحيدة التي تحمل أكسجين العالم ،كيف يمكنها مشاهدة الطبيعة و قد تعفَّنَت العين الوحيدة التي جمَّلَت الكون منذ رأته و هي إلى جوارها للمرة الأولى، كان شكل لون العين المُختَفي و أوردتها المُلَوَّنَة يثير قشعريرة نينا فتنطلق في سباب الحاج سلامة الذي لم يرعاها حتى أُجهِدَت كل هذا الإجهاد ،و لم تُقصِّر في سباب ماهر الذي أخرج الرئة من داخله مُلوَّنَة منكمشة مُجهدة ؛لذا فالبند الثاني من الخطة هو طلب العون في انعاش تلك الأعضاء التي يخفت بريقها و تهدأ حركتها يوماً تلو الآخر-من خالد الطويل مندوب شركة الأدوية بحثت مُطوَّلاً عن البطاقة التي أعطاها خالد لها و مدوَّن بها رقمه بلا فائدة ،قررت أن تعتمد على البند الأول ريثما تتمكن من تنفيذ الثاني ..

رحلت مع أولى حافلات الصباح إلى المدينة بعد أن ودعت الأعضاء التي كانت تنبض نبضات قوية و متقطعة كأنها تجاري شهقات الانتحاب الصادرة من نينا ، وصلت إلى الحي الذي تقبع فيه صالة الألعاب الرياضية، دلفت إلى الصيدلية فاستقبلتها الصيدلية بترحابٍ غريب و سألت عنها و عن أخبارها استغربت نينا ذلك الترحاب من الصيدلية التى كان لقاؤها الأخير معها في موقف غير ودي، ففسرت الصيدلية لنينا تلك المعاملة الغريبة(خالد الطويل مندوب

شركة الأدوية اسبوعيا يقوم بزيارتي للسؤال عنكِ... انت هدية لي من السماء؛ فقد كنت أتملَّق تلك الشركة؛ لتبعث لي بمندوبها فأبدِّل المنتجات و احصل على الجديدة)

ابتسمت نينا ؛لتُجَامِل الصيدلية(من المؤكد إنني سأقابله هذا الأسبوع) وودعت المرأة قاصدة صالة الألعاب..

في صالة الألعاب استقبلها جميع المدربين و موظفة الاستقبال بحفاوةٍ بالغة على غرار(مسعود الفار) الذي كان قائد المُحتَفِلين بنينا قال(آنستي الرائعة،اين كنتِ اشتقنا إليكِ كثيراً أجزعنا غيابكِ)

(اسمع يا مسعود،احتاج مساعدتك)

(أكيد أكيد يا آنستي،لكن ماجد بك الجوهري يسأل عنكِ كثيراً) خفض مسعود صوته (آنستي أخبرته أن يرصد لي حلاوة مقابل أن أبحث عنكِ، بالله لا تكذِّبيني عنده إن قلت أنا الذي وجدتك و أتيت بكِ) ابتسمت نينا و أومأت بالموافقة ثم اكملت ما كانت تحاول قوله(اسمع يا مسعود)

(يا آنستي! الصبر!لنقابله أولاً)دخل مسعود المكتب دون أن يطرق بابه مزهواً بنفسه(ماجد بيه!ألم أقل لك إنني سأجدها،كانت تعمل مدربة في أحد مراكز الشباب في منطقة ريفية،حاسبه الله الحاج سلامة أينما كان روج عنها إشاعات سيئة رحلت؛ بسبب بذاءة خياله الكاذب)

(يبدو إنه الآخر رحل بلا رجعة) قالها الرجل و أكمل (ترك غطاء أسنان ذهبي في الأمانات و اشتراك شهرين مقدم،على الأقل إن كان ميتاً فاليأتِ الورثة للبحث عنهم)،

ضحك مسعود (أية ورثة يبحثون عن ماذا إن كان الورثة هم من يقومون بإرسال تلك الأشياء من أمريكا ،يا جماعة إنهم يشترون أغراض العصابات و يبعثون بها لوالدهم و أمهم لا يهمها سوى البطاقة التي تسرف منها ،تسرف حقاً،على العموم أفضل ما قام به ،هو العودة إلى ذويه ،ارتاح الجميع من كذبه و اسلوبه الريفي الفظ سمعته يوم يقول طالما القناة مفتوحة و الأرض

تروى...) فقاطعه ماجد(مسعود! كفاك ثرثرة ،كفانا حكايا أذنك الممتازة ،أحتاج للتعرف أكثر على الآنسة نينا)

(الحلاوة؟)

(لاتقلق حلاوتك محفوظة)نظر إلى (نينا) كان رجل خمسيني يشبه ماهر إلى حد كبير بشعره الرمادي و عينيه السوداوتين و شاربه المحلوق و تلك الخطوط على جانبي عينيه التي تمنحها ابتسامة حتى في أشد الظروف قتامة قال(أخيراً رأيت نينا،تعرفين يا نينا إنكِ الملاك الذي أنقذ صالتي من الضياع على يد ماهر ؛فترة تولي ماهر إدارة المكان كانت أسوأ الفترات حتى جئتِ و عدلتِ الأرباح ثم بعد رحيلكِ كاد المكان يفلس و أصبحت أسوأ فترة حتى ماهر لم يحتمل رحيلك كان يعرف إنه حتماً سينكشف فشله أمامي ثانية ،استبدلت ماهر بمدير آخر و لكن لم تكن لتجري الأمور دون نينا على حسب قول الجميع)

ردت نينا(رحلت مع ماهر! ماهر هو من وظفني و كان يدير عملي هنا ،ربما غياب ماهر السبب في سوء أحوال الصالة)

(أوه عزيزتي! بالطبع لا ؛ماهر انسان فاشل و هوائي أعرف إنك كنتِ على صداقة معه و لكن هذا لن يمنعني من قول الحقيقة،كنت أوظّفه هنا؛ مجاملةً له فقط و ليس أكثر حتى لطف الله بي و رحل ،كان سكير العقاقير التي يسرف في تناولها و نعرف إن رئته تالفة تعسة و يصر في الانكار)قاطعته نينا بلهجة حادة(لا) فهي لا تقبل أن يصف الرئة التي تحب أن تضمها بأنها تالفة تعسة(على مهلك! أتنكرين مثله؟....لم يكن ماهر يهتم لشيء أبداً و لا عجب أن زوجته قد هجرته) شعرت نينا بالضيق لدى سماعها ماهر يُظلَم الآن و لكن حتى إن كان ماهر صديقاً جيداً و مفيداً فهو لا ينفي إنه كان ظالماً بالأصل ؛كان يتنفس هواء عبر رئة تنتمي إليها و ينكر رغم رؤيتها في ضلال، و الهدى ينتفخ و يتراجع في صدره و هو في طغيانه مُنكِراً و لكن بالنهاية ألم يشعر بالذنب بدليل انتشاؤه و هي تشق صدره ؛لتُخرِج الرئة كأنما أعلن أن الحق قد حصحص و يجب أن تؤتَ كل نفس مالها، صاح بها الرجل حينما كانت ساهمة يطلب منها أن

تعود إلى العمل و براتب مُضَاعَف، قبلت نينا بالعرض رغم إنها كانت ستقبل حتى لو لم يُضَاعِف لها الأجر؛ فقد كانت في حاجة لأن تنخرط في عمل بشكلٍ طبيعي تنكر فيه انجذابها لأشياء لا تعرف سبب الانجذاب لها، قبلت بالعرض و استرجعت غرفتها و مكانتها ،مرّ الاسبوع الأول لها، يحضنها الظل في نومتها من الخلف فتطفيء الأنوار حتى يذوب في الظلام و يختفي كما هي مُتَخَفِّيَة من الأسئلة التي تنكزها ؛لتسألها لمسعود الفار، و متخفية من نكز وسواس نفسها لأن تقابل خالد الطويل و تعرف ما يخبّئه لها و لكن الشيء الذي لم تستطع طرده من بالها هو اشتياقها الشديد للأعضاء التي بمنزلها و ما بال الشوق إن كان مخلوطاً بالقلق على أعضائها المسكينة الُمعَذَّبَة بالوحدة التي لابد أن رائحة الغرباء التي تغطي المنزل تعذِّبها الآن، تُشْعِرها بالتقزَّز و الوحشة، فكرت أن تُحضِر الأعضاء معها إلى حيث تجلس الآن و لكن مجرد هذا التفكير جعلها تشعر بمدى أنانيتها و لكم هي ظالمة تعسة ؛فكيف تقبل أن تكن السبب في حرمان الأعضاء من منزلهم الذى ولدوا فيه بين أحضانها و هي تستخرجهم كيف تقبل أن تخرج بهم و تعرضهم إلى تجوُّل الغرباء نحوها؛ طمعاً فيها ،و بالنهاية سيكون الاستسلام بترك المنزل للغرباء حلّ مرفوض ،فرجعت للحل الأول و هو طلب المساعدة من مسعود الفار المتجسس الصغير بحثت عنه في الأركان حيث يقبع دائماً يكنس ما تخفيه تلك الأركان كنساً، فوجدته يجر كيس كبير يعبيء بداخله زجاجات المياه الفارغة؛ ليبيعها لصالحه مقابل القليل من الجنيهات قالت(مسعود أريد سؤالك عن أمر ما)

خفض صوته و تحدَّث و هو يخفي فمه بيده(الكابتن ماهر؟ لم يحضر منذ زمن ،آه أرجح يا آنستي إن ماجد بيه ربما قتله)

(و لم ؟)خفض صوته أكثر وقال(عندما أخبركِ ماجد بيه إنه وظف الكابتن ماهر؛ مجاملة له كان يكذب؛الكابتن ماهر يعرف سر خطيراً يخفيه ماجد بيه و لذا يوظفه الأخير؛ ثمناً لسكوته، سمعتهما يتعاركان أكثر من مرة... رغماً عني آنستي رغماً عني ،و لكن الشيء الذي يخفيانه له لفظ أجنبي لا أفهمه،آنستي بالله ليفتك بجثتي شبح ماهر إن علم إني تحدثت إليكِ عن أمور

كهذه)

(شبح ماهر!لا أفهم؟)هزت رأسها بعينين ذابلتين من أثر الأرق

فرد مسعود شارحاً (تتحول الأرواح إلى أشباح جحيمية إن بقيت أسيرة حكايات و حوادث لم تروى للجميع بواسطة شهودها و عندها سأكون أول أهداف شبح ماهر سيعرف إنني أعرف قصة قتله و أخفيها!)

(و كيف أصبحت أكيد بأن ماهر قد قتل؟)

(بالتأكيد قُتِلَ؛ السيد ماهر كان غبياً بعض الشيء،هل تصدقين إنه يوم احتفال الألفية الجديدة اشترى لجميع من في الصالة وجبات مجانية،كنت أنظر له و هو يتناول غذائه أو عشائه فيمنحنِ ربما نصف دجاجة أو ما يزيد عن ربع الكيلو من اللحم ، من تنطلي عليه خدعتي في كل مرة؟ كان غبياً لابد إن الإيقاع به لم يكلّف ماجد بيه عناء كثيراً.....و لعلمك آنستي أنا الذي في صفك ليس ماجد بيه ،هل تعرفين هو يظنكِ غبية لأنك قبلتِ براتب أي مدرب عادي و انتِ أجنبية و لذا استمات في استرجاعكِ، أنتِ تدرين إليه مكاسب ضخمة سمعته يتحدث مع أحد في الهاتف عن الأمر و هل تعرفين لمن كان يتحدث كانت امرأة لا أعتقد...)كان مسعود يبدو عليه إنه لم يتحدث منذ دهراً طويلاً و كان قد بدأ نميمة جديدة و ثرثرة طويلة، و لما تذكرت نينا إن وقتها ينفذ والأعضاء تستغيث رفعت صوتها تقاطعه(كفى يا مسعود! كفاك ثرثرة ليس هذا ما جئت للحديث فيه)ثم خفضت صوتها و ألآنته(أحتاج لأستشارتك في أمر ما)

رفع مسعود كتفيه و عدَّل نظرته الذليلة إلى نظرة واثقة(آنستي... أكيد تفضلي)

(كيف أستطيع طرد الغرباء من منزلي؟) فكَّر مسعود مُطوَّلاً و نظر إليها بشفقةٍ حقيقية(آنستي! ياله من سؤال صعب،في الغالب لا يخرج الغرباء من مكان ليس لهم بسهولةِ لفظِ طردهم؛فهم في وقت لفظ العبارة يحيكون الحيل للبقاء، بل و طردكِ من منزلكِ؛ ظنَّاً منهم إنه صار منزلهم و أن لا حق لكِ بمجرد التفكير في الأمر و إن حتى فكرتِ فمن سيتحتم عليه التنفيذ هو انتِ،و لكن لتفكري جيداً يجب عليكِ أولاً قراءة أعينهم لمعرفة ما يخفى بها)

(أنا لا أستطيع رؤية أعينهم كل ما أستطيع الشعور به هو رائحتهم النتنة التي تسطع أنفي بوقاحة)احمرَّ وجه مسعود و حكَّ أنفه(أي نوع من الغرباء تقصدين آنستي ؟)

(قوم سرقوا ماليس لهم فدعوتهم لمنزلي؛لاستعادته ،استعدت ما لي، و لكنهم لم يرحلوا أبداً يقولون ضلوا الطريق،لما استغنت عنهم أوطانهم ،ظنوا أن منزلي نهاية رحلتهم التي عاشوها بنقصٍ،بربك يا مسعود! أخبرني ماذنبي في خلافهم مع أوطانهم الناقصة التي صبغتهم بالنقص أن يلوثوا وطني و يغيروا رائحته)

(تقولين إنك استعدتِ ما لكِ و تركتيهم ناقصين بدونه، بل و ينغِّصُكِ وجودهم ،هاهو ذنبك !انتِ من الأوطان التي حلوا بها ظنا منهم إنهم كاملين فلفظتهم و حولتهم كالأوطان السارقة الغير عادلة تحط على المكان و لا تتحرك ،أو..... ربما ليس خطئِك بالكامل كما إنه ليس خطأهم أن يُظلَموا، و لذا فقط قرروا تلك المرة أن ينتصروا ؛عرفوا أن الانتصار لا يحدث إلا بالوقوف على الجثث المهترأة للخاسرين)

(لا أعرف يؤرِّجُني شعوراً خفيّاً أودُّ لو أميته للأبد بالشفقة نحوهم من هجرانهم لعقول ذويهم ،كيف لم يأتِ أحد للبحث عنهم و اصطحابهم ،هل كانوا يعيشون بلا وطن لتلك الدرجة ؟و لكني أُميت شفقتي لدى تذكُّري إنهم لصوصاً؛ سرقواً أشياء تخصني و الآن يسرقون راحتي و يعاقبوني بعد أن استرجعت ما يخصني منهم بالملازمة و تدنيس منزلي)

(آنستي! على ما يبدو أن هؤلاء قوم لم يعرفوا للمنازل من قبل رائحة؛ صُبِغوا بأدران الغربة إثر الطرد من المنازل ؛و لذا لرائحتهم عفونة لا يتحمَّلها أنف من اعتاد على المنازل،اشعلي البخور و أقرأي القرآن)

(منازل!لا أعرف!)

(حسناً فلتذهبي لجلسات التحفيظ،سأختار لكِ مركز للتحفيظ و لكن أمهليني الوقت)

شكرته نينا و عادت إلى غرفتها تحاول النوم فتتذكر الوحشة و هي تضايق الأعضاء فاتخذت قراراً بأن تقابل(خالد الطويل)و تطلب مساعدته...

استمرت نينا في زيارة الصيدلية للسؤال عن خالد لمدة يومين حتى ظهر في اليوم الثالث و رحب بها ترحيب حفّي كأنهما كانا صديقين مقربين و استجابت لدعوته لتناول الغذاء في مطعم قريب ،و في الحقيقة كانت نينا مشغولة بالكامل عن فهم محاولات خالد؛ لتكوين الصداقات معها و كان لديها سببين لقبول الدعوة، أولهما و ليس مهم بهذا القدربالنسبة لها و هو معرفة السبب الذي جعله يبحث عنها ،و الآخر و هو إنها كانت تحتاج مساعدته؛ لحفظ الأعضاء التي تمتلك، و في أثناء حديثه معها عن الأجواء و لطافتها و تذمُّره من العمل الذي تشققت قدماه في البحث عنه والحصول عليه بين وسط قوم يفتقرون إليه ،و بين محاولات الاستظراف و الإثناء على الطعام قاطعته(لم كنت تسأل عني؟) شعر خالد بالإحراج فأجابها(هناك فتاة تستمر في الاتصال و السؤال عنكِ)

(و من هي؟)

(قالت إن اسمها ليس مهم بهذا القدر؛لأنها لم تخبركِ به من قبل و لكن في أحد المرات طلبت منها أن تملي عليّ رقم هاتفها و هاهو) اخرج من حافظة نقوده ورقة مطوية مدوَّن عليها رقم هاتف و تناولتها نينا، لم يكن أمر الفتاة يشغل بالها بقدر ما كان يشغل بالها كيف تطلب الطلب الآخر من خالد دون أن يظن بها الظنون التي قد تودي به إلى التجسس و استراق النظر إلى أعضائها و ربما يقع في عشق تلك الأعضاء و يسرقها لنفسه، كانت تمهِّد للأمر بتحقيق رغبات خالد بمرافقتها؛ فهي تعلم إنه أكثر ما يسعى إليه خالد هو مرافقتها ،خرجا من المطعم و عادت مع خالد إلى صالة الألعاب و طلبت الرقم ردت عليها امرأة بصوت عالٍ (من تكونين؟)

(نينا)

(هه! هل تسخرين منا ؟ما هو النينا؟)ظهر صوت مشاداة و خطفت سماعة الهاتف فتاة تحدَّثت بصوت متهدِّج(نينا! انتِ بخير حمداً لله) و أملت على نينا عنواناً دقيقاً وسط دهشة نينا التي انقطعت بتلك المشاداة التي حدثت مباشرة على سماعة الهاتف بين المرأة التي تتحدث

بصوتٍ عالٍ(رائعة محاولاتكِ الحمقاء،ألم يخبركِ أبي إن لا هاتف لكِ،غير مسموح لكِ بالحديث في الهاتف) انتهت المكالمة بعد شد و جذب و عراك بين أطراف ثلاثة ، أما نينا ظلت تفكر ببناء الصيغة التي ستطلب بها ما تريد من(خالد) الذي لابد إنه سيرحل الآن و يعلم الله متى ستقابله؟ و كيف ثانية؟ و في الواقع كان خالد أصلاً يتحجَّج بالمكوث معها أطول وقت و هو ما جعلها توافق على عرضه بإيصالها لعنوان الفتاة و الذهاب معها لحمايتها و هنا أيقنت نينا أن تلك التوصيلة رغم إنها خدمة لها فستكون ثمن ما ستطلبه من خالد بكل ما تحويه تلك الصحبة بدايةً من سماع نصيحة خالد بتغيير الفستان الذي ترتدي و لن يليق بالعنوان الذي ستذهب إليه ،و نفذَّت نينا رغم إن أكثر ما كانت تكرهه نينا في تلك البلاد إجبار الفتيات على ارتداء ما يحلو للمارة.

بدأت رحلتهما بسيارة شركة المستحضرات، كانت نينا قد فهمت خلال مدة بقائها في مصر أن الرجال في تلك البلاد يعشقون التملُّق لهم و يدينون بدين السيطرة و من فروضه هو ترديد ما رددته لخالد(لكم أنا قليلة الخبرة؛ لم أكن أستطيع الوصول بدون مساعدتك) و ظلت نينا تكرِّره؛ زاعمة أن الفضول كان سيحرقها إن لم تذهب؛ فلولاه ما كانت لتذهب أبداً وحيدة خائفة و ابتلع خالد الطعم مزهواً بنفسه أكيداً من أنه يؤدي واجباً قومياً و يشعر بالنشوة لذلك قالت نينا(انتم أشخاص رائعون يا أهل تلك البلاد! ما كنت لأحصل أبداً على صديق مثلك في اسبانيا) ضحك خالد و قال(لا أنكر إن العرب أهل كرم لكني لم أفعل شيئاً،.....لن تعودي إلى اسبانيا؟)

(لا أعتقد أنا عشقت بلادي الأم تلك، استعدت صحتي بها)

(هل كنتِ مريضة ؟)

(في الفترة الأخيرة باسبانيا نعم كنت مريضة... أو لا!، في الواقع لا أعرف و لكن الجميع أخبروني إنني مريضة،جميع من أعرفه كان يتصرَّف معي كأني مجنونة حتى إن أهلي أودعوني مصحة نفسية) شعر خالد بالشفقة الشديدة حيالها ،تساءل كيف خطر ببالهم إزعاج تلك

المسكينة ،لابد إن هذا السبب في حزنها و كآبتها التي تجعلها ساهمة طيلة الوقت ،يفكر لكم احمرت هاتان الوجنتان الملائكيتان من الحزن،ابتسمت نينا و قالت(لا تخف أنا لست مجنونة، حتى إنني قررت أن أعود إلى بلادي كل ستة أشهر؛ لزيارة أهلي ،والآن اكتب لهم الخطابات، هم مقتنعون تماماً إنني شُفِيت؛ بفضل هذا البلد و لذا هم يدعمون قراري بالبقاء هنا طالما أحببت)

(أنا لا أظن لوهلة إن بكِ عيب وحيد حتى و لو رغماً عنكِ)

(تبدو شديد الإيمان بي) نطقت نينا تلك الجملة و خفق قلبها بشدة بعدها ،لم تدر السبب و لم تستطع أن تفكر؛ بسبب حديث خالد عن مواقف طريفة و عن حياته و أيامه الذي استمر حتى وصلا إلى منزل الفتاة ،و كان مظهر(نينا) كأجنبية مُدْعَّماً بلهجتها الغريبة يفتح جميع الأبواب المغلقة؛ ليتقرَّب الناس أكثر من نينا الأجنبية، و بعد عدة استفسارات وصلت نينا إلى منزل الفتاة ، على أسفل درجة في سلم المنزل المنشود كانت تجلس امرأة سمينة تتوسَّط عجوزين احدهما امرأة و الآخر رجل ،ما إن رآها الجميع حتى تهلَّلَت أساريرهم و صاروا ينطقون حروفاً انجليزية لا معنى لها ،فاجأتهم نينا و تحدَّثت بالعامية الخاصة بها (أنا نينا) ضحك الجميع بصوتٍ مرتفع لدى رؤيتها تتحدَّث و احمر وجه المرأة في المنتصف و قالت بصوت عالٍ(ألم أنهي الأمر معكِ بمكالمة البارحة)هبت الفتاة من الداخل و هي نفس الفتاة التي أنقذتها نينا من حفل الاغتصاب بالجبل ،عندما كانت نينا تقرأ قصيدة محمود درويش لم تكن تفهم مقصده حينما قال ما أنا بعد عينين لوزتين و عندما رأت سلوى فهمت كيف تكون العينان لوزتين و حاجبين يمنحاها مظهر المهتمة دائماً على بشرة شاحبة و قامة قصيرة تناسب جسدها الصغير الذي تضاءل أضعاف بعد حادثة الجبل ،و احتضنت الفتاة نينا و صاحت(ها هي ! ها هي) نظرت المرأة بحيرةٍ و رفعت صوتها(خدعة جديدة يا أبي ،حيلة جديدة يا أمي!)

(اهتمي بشئونك يا منال)تحدثت الفتاة بصوت منخفض ،فرفعت المرأة صوتها رداً عليها كأن غرضها كان اسماع الجيران و المارة(و هل هذا ليس شئوني؟) فرفع الأب صوته موبخاً الجميع،

فانهت العجوز الأم الموقف و دعت الجميع للدخول و أسرعت المرأة تسبقهم إلى الداخل...
كان المنزل مكوَّن من طابقين و الجميع يقبع بالطابق الأرضي الخالي من الأثاث فقط بلاط بني و حائط أخضر مُشقق، دخل الجميع إلى الغرفة الوحيدة التي احتوت على أثاث مُكسَّر و تربَّعَت المرأة على المقعد و الفتاة ترتجف دامعة العينين فأشارت لها المرأة(قدِّمي العصير لضيفتنا يا سلوى)أشارت(نينا) بالرفض القاطع و أشارت للفتاة لتجلس و ينتهي الأمر؛ فهم على سفر، جلست الفتاة و شرعت تحكي بعينين ساهمتين في أرضية المكان بدموعٍ عالقة تأبى النزول أو البقاء (كنت ذاهبة إلى المدرسة باكراً ؛لأداء الاختبار ،حضَّرت له جيداً و لذا كنت مُتحَمِّسة لأكن أول المُخْتَبَرِين، عادة ما آخذ طريق بين الزراعات و لكن في ذلك اليوم خرجت باكراً جداً ،لم تكن كلاب الليل قد نامت بعد ،كان الطريق بين الزراعات مُمْتَلِيء بكلابِ الشوارع و أنا أخشاهم فاتخذت الطريق الرئيسي، سمعت صوت سيارة نقل من خلفي و لم أفق بعدها إلا أمام المقهى حينما رأيتيني بعد أن تمَّ هتك عرضي) قاطعت المرأة(لا أفهم لم لم تصرخين أو حتى تستنجدي لم يحدث لأحد في المنطقة أبداً من قبل كما تقولين) شعر خالد بالحرج لخصوصية الموضوع و استأذن نينا لانتظارها خارجاً فوافقت ونظرت نينا إلى المرأة نظرة حادة(لا أفهم كيف تخذلين أختكِ بتلك الطريقة ؟انتِ تتعمدين تكذيبها)
(أنا لست أختها أنا زوجة أخيها)
(ياللوقاحة! انت تتصرفين كأنكِ واصية على الجميع هنا لا أستطيع التصديق،الموضوع شخصي جداً هل بإمكانكِ الانتظار في الخارج) رفعت المرأة صوتها (تريدون خداع أبي و أمي بتلك الترهات) رفع الأب صوته صائحاً بالمرأة(منال!هل أبد لكِ طفل يبل سرواله،اخرجي الآن!)
كانت الفتاة تنظر بعيداً سارحة بعينين تتلألأ فيهما نجمة الأمنيات التي أهدتها نينا المُنقِذَة من كل الصعاب ، نينا التي تريح قلبها كأنما تُخرِجَه و تغسله بأطهر المحاليل ،كانت الفتاة تنظر إلى نينا نظرة العبد الخاطيء إلى ربه لحظة قبول الرب توبته، فأشارت نينا للفتاة لتكمل(بعدها كان باقي المخمورين على المقهي يريدون إكمال الحفلة حتى جاءت نينا و خلَّصَتْنِي منهم ...

خافوا منها ؛لأنها أجنبية، مشينا قليلاً حتى نزل الرجل من سيارة الأجرة و عذَّب نينا أشد التعذيب و سحبنا إلى سيارته و هددنا بحفلة أخرى و لكن نينا ضحت بنفسها و فتحت الباب و ألقتني من سيارتهم رجعت إليكم و ثيابي مُقطَّعة ،أنكرت في البادييء إنه تم اغتصابي) لوت الأم شفتها و قالت (و مالفارق؟ فقدتِ عذريتكِ؟) نظرت الفتاة إلى نينا متجاهلة لوم الأم كأنها تفتح قلبها لمرتها الأولى الوحيدة و تخشى أن يخرج منه الكلام دون رقيب لو غفلت ثوانٍ(فلم أعرف ردة فعل أبي و أمي و لا أخي على الأمر،قلت إنه تم خطفي بدافع سرقة قرطي الذهبي و خبَّأت القرط في المنزل هنا حينما عدت ،و لكنه اختفى بعدها،أحلف للجميع بأغلظ الإيمان إنني كنت أرتديه حتى عدت للمنزل فخلعته و خبأته ،ألا تصدقين يا نينا على كلامي؟)

(نعم أذكر القرط كان عبارة عن قرط على شكل زهر المستنقعات)رفعت الأم صوتها(هل تفهمين ما تحاول قوله يا أجنبية! إنها تتهم زوجة أخيها بسرقة القرط ،ابنتي التعسة الظالمة! ابنتي تكذب، قالت إنها خُطِفَتْ بدافع سرقة القرط و بعد أن اكتشفنا إنها ممتوكة العرض قالت إن منال سرقت القرط إنها فقط تحاول الانتقام من منال لأنها نوَّرت عقولنا الضالة) نظرت الفتاة للأم نظرة بلا معنى و أكملت تنظر إلى نينا(أريد مكاييل من العقاب تحط على رأسي التعس المذنب، فررت بجسدي و تركتُكِ تُعذِّبِي في سيارة الأجرة لذا قررت أن أقبل بكل التعاسة التي حلَّت عليّ بعدها؛ تكفيراً) تنتحب الفتاة و تكمل و الظل يتراقص جوارها متخذاً هيئة زوجة الأخ أمام عين نينا(و لكن!يجب أن تعرفي كم تم تعذيبي؛لأني لا أقدر على احتمال البقية ،بعد أن زعمت سرقة القرط ، تلك المرأة منال ظلت تنخر ببال أسرتي أن يجروا لي كشف عذرية و كان ما كان ، حلفت بالأيمانات و ذاب لساني من إعادة رواية الأمر بصدقٍ إنني قد تم اغتصابي رغماً عني و لكن بلا فائدة الجميع لم يصدقني لازلت إلى اليوم أُعَامَل مُعَامَلة الخاطئة التائبة و حتى إنني حُرِمت من تعليمي)أكدت نينا رواية الفتاة و قالت(اطمأني لا تشعري بالذنب أبداً،انتصرت عليهم) فتحدث الأب إلى نينا متجاهلاً حكايتها عن نفسها؛فحتى إن تم هتك عرض نينا فهي أجنبية لا ضرر عليها على حسب رأي الأب و قال (ياابنتي! انها

ابنتنا لن نقتلها ،و لكن سواء أمارست الأمر برضاها أم رغماً عنها لم تعد بكراً بعد، لن أستطع تزويجها و جلب العار إلى نفسي)

(ياللهول،أي عار أيها العم، العار يلازم الخاطئين و ليس الضحايا،اسمع أيها العم،اضعت حق ابنتك مرة، لن تضع مستقبلها أيضاً ستدعها تكمل تعليمها و أنا سأتكفل بتوظيفها فيم بعد أنا لدي علاقات أجنبية سأساعدها و حتى يمكنني مساعدتها ؛لتتزوج) تخيَّل الرجل ابنته كجارهم وائل المسيري الذي بنى منزلاً من راتب سنة في تلك البلاد و فكر إن كانت ابنته لن تتزوج في الحالتين.. فمالمانع من أن تُدخل دخلاً خارجي ، زرغدت المرأة العجوز فور سماعها وعد نينا لابنتها التي كان قد خاب أملها فيها ،واستأذنت نينا بالرحيل بعد أن أكَّدت على الفتاة أن تكن قوية و أكَّدت إنها ستزورهم كل فترة؛ لضمان تنفيذ الاتفاق....

خرجت نينا تشعر بالسعادة لما فعلت و إن كانت خائبة الأمل قليلاً؛ إذ كانت تظن أن لتلك الرحلة علاقة بالأشياء التي تنقصها و تبحث عنها و لكن ألم ينقصها شعوراً كالنيل من الغرباء الذين يحتلَّون البيوت، قابلت خالد و دلفا السيارة في رحلة العودة، كانت نينا مُجهَدَة إلى حد كبير فغفت،و في غفوتها سمعت الصوت الذي تعشقه بجهلٍ عن صاحبه و كان حزيناً بل مكتئباً، يقول(شلحت فستانك !يصعب عليّ الإيمان بأنك تلجأين إلى التملُّق و تستخدمين جسدكِ لنيل أغراضكِ يا ويح قلبي الحزين!) تحاول نينا الإمساك به (أخبرني عن مدى الألم الذي يفطر قلبك المسكين، أود السماع منك أرجوك!اسمح لي رؤية عينيك و هي تنظرا إليّ بحدةٍ)يدفعها مصدر الصوت الذي لا تراه بعيداً عنه بقوة فتستيقظ من غفوتها فجأة بفزعٍ، يتمتم خالد بآياتٍ قرآنية لا تحفظها نينا بل و لا تعرفها و لكنها تعرف إن خالد يحاول بها طرد الحلم فتصرخ به(لا لا! أرجوك، أقبل بسماعِ هذا الصوت و لو كان من فعل الشيطان)ينظر إليها خالد بذهول(استغفر الله!أي صوت؟)

(الصوت الذي أبحث عنه؛ هو نفسه الذي سيغنّي لي ترنيمة؛ لتُخفي الظل الذي يراقبني بلا كلل!)ثم صمتت فجأة حينما تذكرت نصيحة مارتن (تذكري يا نينا ألا تفرطي في الحديث خصوصاً

عن الأشياء التي ينكرها الجميع؛إذا كنت لا تريدين العودة إلى هنا مجدداً)كانت تردد النصيحة بصوتٍ عالٍ فأوقف خالد السيارة فجأة و قال(هل تعنين أن هناك شبح يترصَّدك؟) و على ما يبد أن اللعبة قد أعجبت نينا فتمادت بها و قالت(و هل تؤمن بتلك الأشياء؟)

(لا أعرف! عندما كنت طفلاً و كانت والدتي في غرفة الولادة تضع أختي كانت جدتي تدعو بكل إخلاصٍ أن تكن الفتاة التي ستلدها أمي متوسطة الجمال و أقرب للقبح من الجمال) أتذكر يومها صحت بها (ياجدتي حرام عليكِ ما تتمنين)أجابت بكل ثقة(اصمت!انت لا تفهم شيئاً ؛هل تريد أن تترصدها الأشباح و يتزوجها جني عاشق إنهم يخطفون فائقات الجمال ، و مصمصت شفتيها و قالت كأنها تحدث نفسها (ألسن هن أتعسهن حظاً؟ كان لي أخت تدعى مرزوقة و كانت فاتنة يهيم في عينيها أوسم الوسماء ألقاها الجن ليلة عرسها من فوق سطح المنزل على كومة من الحطب ياللهول!) يومها تجاهلتُ ما قالتْ و لكنني آمنت به فقط اليوم!) تنظر إليه نينا ببلاهةٍ و رأسها يعْتَرِك من الداخل خصوصاً بعد سماعه يقول(آمنت به اليوم)و ضمَّته مع الصوت داخل الحلم، تحاول تذكُّر مالذي يربطها بلفظة(الإيمان) فيقطع التفكيرات إبهام خالد على خدها يجفِّف الدمع، فتنفض نينا يده عن دمع يخصها و يهم شخصاً آخر و هذا الشخص بالتأكيد ليس خالد الذي لم يحاول حتى أن يتغلب عن إحراجه فيقول(ربما يترصدك جني عاشق؛فأنتِ فائقة الجمال ،آه آسف لا أقصد مغازلتكِ و لا أعرف ما أقول؛ أنا أهذي بالهراءات لكن صدقيني لو أنا جني لما تركتكِ،فرصة ذهبية؛ كيان مختفي لن تري وجهي و مدى العشق المنبثق منه)كانت نينا تنظر إليه بإستياءٍ شديد لا يقل استياء عن هذا الذي نظرت به إلى منال في منزل سلوى حينما دعت رجل و امرأة ليسا والديها بأبويها ،كانت ترى أن من الأنانية المفرطة اغتصاب الأمور باللفظ؛ فهو أشد أنواع الاغتصاب دناءة وقذارة ؛فأن ينسب شخصاً أي أمراً ليس له إليه سيوقع الجميع في المتاعب التي تذهب بعقولهم إلى الجحيم و ممتلكاتهم إلى الضياع، سيتخطَّى الجميع دون أن يشعروا مرحلة استرجاع لفظة التملك لما يخصهم ؛إذ أن غبائهم يصوِّر إليهم إن الأمر ليس بتلك الأهمية ،سيقبلوا بشركاءٍ باللفظ في باديء

الأمر و بعدها ستُسحب من تحت أيديهم الأشياء التي لم يدافعوا على لفظة تملُّكها ،و من ثم سيتشتتون بين الجميع ؛مُحَاوِلين اثبات إن الأشياء كانت لهم في الأساس في الوقت الذي سيحاول المغتصبين التمادي و الركض على أوجاع قوم لم تبرأ بعد للوصول إلى نقاط أبعد في اغتصاب ممتلكات جديدة لهم و ستزداد أوجاعهم و أوجاع قوم آخرين لا ذنب لهم أن يتم جرهم إلى أمر كهذا، سيتغطَّي الواقع بالكامل بالضلال و يصبح كمستنقع للقرف و الجيف، و من يحاول الخروج منه سيكون كفقاعة من غاز المستنقعات تتصاعد تتصاعد ثم تنفجر و بعدها تدرك إنها مقرفة مقززة كباقي عناصر المستنقع، يجب أن يدركوا أن السبب الأول هو عدم دفاعهم عن لفظة تملُّكَهم للأشياء ،و ها هو خالد الطويل بصدد فعل الأمر نفسه معها، نفضت يده من على خدها ولم يشعر حتى بعدم الارتياح و إنما أكمل مغازلته و مضايقتها ؛فقط لأنها مرَّرَت له أن يدعوها بعزيزتهُ،ففكرت نينا بمكرٍ و قالت(نعم أعرف إن جني عاشق يتربصني ،أنا أبأسهن!) سكتت ثم خفضت وجهها و تحدَّثت بصوتٍ منخفض و حزين(زرت شيخاً من المعالجين، دلتني عليه صديقة ما، تقسم يا خالد إنه عالجها من الصرع و عالج صديقتها من الوسواس القهري) كانت نينا تعصر عقلها؛ لتخرج منه بتلك الأمراض التي يعتقد معظم الناس إنها أسحار؛ لتحيك حكاية لخالد الذي كان يتظاهر إنه لايؤمن بتلك الأشياء ؛ ليغنم من حكايات نينا بالتفاصيل المملة و يحشر نفسه بينها ،ينصت إليها بتمعنٍ فتكمل(ربما لا تصدقني يا خالد و لكني أصدق هذا الشيخ، زرته مرة و تحدَّث مع هذا الجني حديثاً لم أفهم منه سوى إنه هدد بحبسه فانصاغ له العفريت و أصبح رهن إشارته ،يومها قال لي هذا الشيخ اسمعي يا بنيتي! سأحبس عفريتكِ يومين بلياليها؛ لتعرفي إنني لا أكذب و في الليلة الثالثة سأُحرِّره ثانية إلى أن تدفعي لي أجرتي؛ فقط لتتأكدي إن الأمر يستحق، و بالفعل اختفى الظل يومين و عاد في الثالث و كان في أشد حالاته نشاطاً و فتكاً بأمني) كانت عينا نينا تحبس الناظر فيهما بينهما ،تجعله يقسم إنه لا يريد الرؤية من العالم سوى ما تعكسهما تلك العينين فيقسم على تصديق كل ما هو محبوس معه بهما،صار خالد يلوم الشيخ في نفسه ؛خوفاً من أن يتسرب

كلامه للعفاريت الحامية للشيخ و تنال منه، يلوم دنائته التي جعلته يصبر على عذاب شابة جميلة بيده خلاصها و طمعه في نقودها يمنعه، فتكلم خالد بحماسٍ(لم تدفعي أجرته !أتريدين النقود أملك ما يكفيكِ)أشارت نينا بكفها الصغير المُحنَّى بأكثر أنواع الحناء إثارة مع خطوط مكتوب عليها لا تلتفت عنى و لو ثانية فتندم بقية عمرك(لا يا خالد! لا أحتاج نقود،لدي الكثير منها؛ أبي يرسل لي النقود شهرياً و هو ما يُبقِيه مُطمَئِن عليّ ؛فكلما طلبت النقود كلما كنت في أزهى عصوري ،ما يحتاجه الرجل يا خالد محاليل حفظ ،الرجل يحبس العفاريت في أعضاء كائنات حية و يحتاج إلى مادة حفظ وأنا لا أعرف أني لي بالحصول على شيء كهذا)

ضحك خالد(عزيزتي حُلَّت مشكلتكِ ،انتهى زمن الخوف و الوجوم، امهليني يومين و سأمنحكِ ما أردتِ، ضمته نينا بقوة ناعتة أياه بالمنقذ و لكن تلك المرة النعت و الضمة كانوا حقيقين و ليس تملُّق ؛فالصوت قد نهاها عن التملُّق نهائياً ،مرت العشرة أيام على خالد و قد نالت منه العدوى أقصى ما تستطيع و صار يشعر بالظل يتتبَّعه و يوهمه إنه سينال منه ؛عقاباً على معرفة حبيبته ،فالتقى خالد بنينا و منحها المادة الحافظة بثمنٍ مُضَاعَف و كان خالد طيلة اللقاء خائفاً من عقاب الظل الذي يتربَّص له ،مُرتَعِباً من بطشه ؛فلم يكن ليضيف عفريتاً آخر إلى قائمة العفاريت التي تترصده في الطرقات الخالية ليلاً، انتهى اللقاء سريعاً رغماً عن خالد الذي عذَّبه عقله، لكبح لسانه ..

و أسرعت هي إلى غرفة المبيت الخاصة بها في صالة الألعاب و لملمت حاجاتها بمساعدة مسعود الفار الذي كان قد منحها عنوان مركز التحفيظ و دسته في جيبها .....

وصلت إلى منزلها ،هالها منظر الأعضاء و هي تتنفس ببطء كأنها في نهاية عمرها مُنكمشة و باهتة كأنها جزعت من عودة منقذتها نينا التي ستحررها من رائحة الغرباء و تعيد لها الحياة ضمتها ،فاحتضنت نينا الأعضاء و هدهدتها و استجدت نبضها أن يزداد حرارة، صفعت الكليتين الباردتين؛ ليدفئا ثانية ،كانت أجزاء من الرئة قد تلوَّنَت بلونٍ قاتم، كانت نينا تعرف تلك الأجزاء جيداً من البداية ،كانت تعرف إن تلك الأجزاء لم تنتمي لها أبداً و ندمت لأنها لم

تنتزع أجزائها من البداية من بينها، فتوسلت إليها حينها ألا تدمي الباقي ؛فلا بد إن دم الغرباء سيثير اشمئزاز بقة الرئة و ربما تزداد انكماشاً و لابد إن الجزء الغريب قد سمع لتوسلاتها و لم ينثر دمائه على الجزء الخاص بها حينما انتزعته بالسكين، أما العينين فبقيتا لماعتين رغم ذهاب لونهما أمسكت بكل عضو و أغدقت عليه بالمحلول بداخل وعاء خاص و جمعت الجميع في وعاء جماعي كبير و ضبطت المبرد على نصيحة خالد المجانية التي منحها أياها في صورة إجابة على سؤالها حينما سألته كيف يمكن لمحلول أن يحفظ أعضاء الشيخ فأجابها(عزيزتي يمكن للأعضاء أن تبقى محفوظة لمدة تزيد عن العشر سنوات في درجة تبريد و المحلول)

عادت للأعضاء حياتها و صارت تنبض و تتحرك كالأسماك المطمئنة في بركة المياه رغم إن رائحة الغرباء قد باتت أوضح و أكثر قرفاً ...

عاشت نينا أياماً لم تذق فيها طعماً للراحة ،تتردد كل ثانية على مُبَرِّد الأعضاء و تدعو بجميعِ الفروضِ الدينية قبل فتح المبرد بألا ترَ الأعضاء تتلوَّى بعنف كأسماك القراميط أو تنبض ببطءٍ شديد كآخر نبضات جسد الدجاجة المذبوحة ، تصلي لأن تجد الأعضاء تتنفس بهدوء و بانتظام كرضيع مستقر في نومته، و رغم إن رائحة الغرباء تراها على هذا الوضع من القلق إلا إنها لم تشفق عليها و لو بتأخير هبَّة من تلك الهبَّات التي تزداد تركيزاً ثانية تلو الأخرى و هو ما دعى نينا لأن تقرِّر إنه لا حل أمامها سوى الذهاب إلى مركز التحفيظ ...

كان مركز التحفيظ في محافظة أخرى تبعد أكثر من أربع ساعات عن شمساية السعادنة، و كان المركز يقع في حي كالجنة ،جميع مبانيه مُصَمَّمة لتُشبِه القصور بأحجارها و أشكالها، حتى الشقق في العمائر على طراز القصور، و يترأَّس تلك القصور قصر ضخم بسورٍ مرتفع ،شعرت نينا حالما رأته بألفةٍ غريبة فتذكَّرت ألفارو حينما كان يشبهها بدونا إينيس ، كان يقسم إن هناك دماء مشتركة بينها و بين (إينيس دي كاسترو) تتذكر إنه أهداها يوماً لوحة مُقلَّدَة للوحة(يوجيني سيرفيير)لإينيس دي كاسترو بأطفالها و هي تتوسَّل من الملك ألفونسو الرابع ،يومها وضع ألفارو اللوحة الي جوار وجهها ليقارن بينهما فضحكت نينا و قالت(ليست إينيس الحقيقية إنها مجرد

رسمة) تتذكر كيف ضحك ألفارو بغيظٍ و رد(هل تعتقدي أن الفنان يصور الناس وِفقاً لم يراه الجميع؟إن فعل فمالذي يميز ما يفعل؟)

كانت النوافذ في اللوحة تشبه إلى حد كبير تلك النوافذ في القصر؛ ربما ألفارو محق و هي عاشت كدونا إينيس، ربما المؤرخون جميعاً مخطئون و هي بالصورة فقط كانت تتوسل الملك إبقائها في هذا القصر ؛فلا أجمل و لا أهدأ من قصر كهذا يعيش به المرء آمناً على ممتلكاته مطمئناً قريراً ،تتذكر برودة الجدران بجوار النوافذ كما تخيلتها،تتذكر الرائحة التي كانت تشمها بين الأروقة كانت تتخيل شكل تلك الرائحة و هي قادمة مباشرة من السائل الأبيض بين أوراق الأشجار و فروعها ،و بين خيالات نينا عن القصر كانت قد وصلت المركز ...

و كان المركز في مبنى ضخم على شكل حرف (ل) بالانجليزية و مُكوَّن من عدة طوابق و بوابته مكونة من ثلاثة مداخل؛ مدخل للذكور و مدخل للأناث و مدخل للأطفال، لم تفهم نينا الحكمة من الأمر ،و له حديقة تعجُّ بالأشجار المُثمِرَة و النخيل و منتشر بها مجموعات في أماكن مختلفة من الدارسين يفترشون العشب و أطفال تلهو بالأراجيح و ألحاب تزحلق ، أما المبنى من الداخل فكان مُقَسَّم إلى عدة حجرات،و كل حجرة مُختَصَّة بنشاطٍ كتحفيظ القرآن و التفسير و الحديث و حجراتٍ للرقية الشرعية التي لم تعرف معناها حينما استقبلها موظف الاستقبال الشيخ محمود و سألته(ماذا احتاج لطرد الغرباء من المنزل) نظر إليها و لازال صامتاً فأكملت تزيد في وصفهم(هؤلاء الغرباء الأنانيو الأخلاق،تعرف إني أخشى على لحمي منهم؛ فلو طالوه ما تأخروا عن نهشه) لازال ينظر إليها صامتاً يحرِّك مسواكٍ بين ثنيات أسنانه و هي تنظر بتمعنٍ ،لا تفهم كيف يعبث بعودٍ خشبي بين أسنانه، و هو ينظر إليها لا يفهم كيف تحضر إلي مركز تحفيظ و هي ترتدي فستاناً عاري الكتفين لا يصل لأقدامها ،ظلا يحدقا ببعضهما لفترة حتى ظهرت بينهما سيدة مُسِنَّة و نصحت نينا أولاً بارتداء اسدال من تلك الاسدالات المجانية في المركز وشرحت لها معنى الاسدال ،و بعد الحديث عن الغرباء في حضور ابتسامة المرأة التي لا تقل غموضاً عن ابتسامة العم رامون و لا تقل غرابة عن سلوك الغرباء في منزلها

، استمعت نينا لنصيحة المرأة بالرقية الشرعية بعد أن شرحت لها معناها و طريقتها و نصحتها بالالتزام بارتداء إسدال ؛لتغطي شعرها و ذراعيها طول بقائها في المركز ...

دخلت نينا حجرة الرقية الشرعية، كان بالداخل شيخ ثلاثيني أكحل العينين مُتَعمِّداً وكان ضاحك الثغر بنفس الابتسامة التي تبدو على ثغر المرأة و موظف الاستقبال، كأنهم يتدربون عليها كشرط للعمل في تلك المؤسسة ...

كانت نينا عندما تشاهد الأفلام التي عُقدَتُها الحرب بين الخير و الشر للسيطرة على العالم وعقول الجميع ،كانت تتساءل مالضرر إن سيطر أي طرف منهما على العالم ؛فلكل وجهة نظره ؛فأن يسيطر ما يدعيه الآخرين بالشر لن يقتل العالم بأكمله بالتأكيد سيُبقي الجميع للتعمير على طريقته، و على نفس المنوال فكرت لم هي تَعِبَة و بائِسة الآن ؟ربما لأنها تخالف جميع الاتجاهات ربما هؤلاء المنظمة يمتلكون طريقة يمصون أدمغة الناس يعيدون برمجتهم ؛ليكونوا جميعاً نسخاً متطابقة تخدم هدفاً تجهله و لا يهمها ،ما يهمها إن الجميع بعد أن تم مص دماغه و السيطرة عليه توقَّف عن الشكوى،توقَّف عن الألم ،و ربما توقَّف عن التفكير في الأمر من الأساس، و لذا تركت نفسها لهؤلاء القوم ربما يمنحون وجهها ابتسامة صناعية خالية من المعاناة ،تنظر إلي الشيخ يرتدي وِشَاحَاً حملها على الظن إنه خليجي قبل أن يتحدَّث،و يطلب منها أن تتوضأ مُوَضِّحَاً طريقة الوضوء ،و بعدها أجلسها في مقعد يحاذي مقعده تماماً سألها عن بعض الأمور كقوة الصداع الذي ينتابها و تساقُط شعرها و التنميل الذي تشعر به في نومها و طلب منها أن تغمض عينيها ثم تخفض رأسها و تريح كفيها على وركيها و لا تعتدل أبداً إلا حينما يأمرها ،وضع كفه على أعلى رأسها و شرع يقرأ القرآن ،و كانت تلك المرة الأولى التي يُقْرَأْ فيها القرآن بهذا القرب على مسامع نينا التي راحت عينيها تدمعا من فرط الراحة التي شعرت بها، يكرِّر و يعيد آيات من القرآن،لم تفهمها نينا و لم تفهم معناها و لكنها كانت تبعث شعوراً بالأمن لم تشعر نينا بمثله من قبل، شعرت بهدوءٍ يحتضن قلبها و بكفِّهِ يهدهده ...

كانت الجلسة كأقوى من أقوى يوجا يمكن أن تمارسها نينا و تنَاست لساعتها خوفها من رصد

الظل لها و حرصها على الهروب منه و اتباعه الذي يحيرها و يظهر جلياً على رقبتها التى لا تتوقف عن الحركة كان ساعتها الظل يجلس على حافة النافذة على هيئة فتاة تعقص شعرها و تلبس فستاناً مفتوح إلى جناحين تبقي واحداً بداخل الغرفة و الآخر يطير مع أقدامها الممتدة خارج النافذة ...

انتهت الجلسة و أوصاها الشيخ بقراءةِ الأذكار و المداومة على قراءة سورة البقرة أخبرته نينا إنها على جهل تام بالأمر فنصحها أن تحضر دورة للحفظ و التفسير للمبتدئين ،كانت تتحدَّث مع الشيخ و عيناها مُعلَقَتان بالقصر الواضح من النافذة خلف الظل كأنه لوحة رُسِمَت بأيدي أكثر الفنانين هدوء و راحة، مظهره كان كأكثر الأعمال الفنية التي تحرَّكت بها الأصابع عبر الأزمنة جمالاً و روعة ،سألت نينا الشيخ محمود موظف الاستقبال عن المكان فأخبرها إنه مدرسة أطفال..

عرفت نينا حينما خرجت من المركز أن لا مكان أجمل من هذا للتخفّى فيه هي و أعضائها حتى يملُّ الغرباء احتلال منزلها و يرحلون ،خرجت من المركز مُتَّجِهَة ناحية القصر و قرأت على بوابة المدرسة(مدرسة نرجس الشماطلي)سألت حارس العقار عن المدرسة و لابد أن السؤال عن المدرسة و قصتها التي يتبرَّع الحارس لحكايتها بالتفصيل كانت السلوى الوحيدة للحارس الصامت معظم النهار فشرع يحكي بإسهابٍ(كان هذا المبنى بحدائقه قصر لنرجس هانم الشماطلي و كانت زوجة أحد شهداء الحرب و لا أستطيع الجزم بأي حرب استُشهِد؛ فهناك روايات تقول إن زوجها كان فرنسياً و توفَّى في الحرب العالمية و أخرى تقول إنه توفَّى في حرب اكتوبر رغم إن المسافة الزمنية بين الحربين طويلة إلا أن أحد لا يستطيع الجزم ،وعلى أية حال كان لديها ابن وحيد من زوجها الشهيد، أسرفت في حبه إللا إنه حينما بلغ العشرين تزوج و رحل عنها حتى إنه لم يجب خطاباتها و هي في النزع الأخير، فكانت تعزي هجرانه إلى هجران طفولته له ،و كانت دائماً تغني(ليتك طفلي، لا تمشي إلا في أيدي) و أوصت إلى محاميها بأن تمنح هذا القصر؛ ليصبح مدرسة للأطفال في أعمارهم الصغيرة؛ لتبقى دائماً أرواح الطفولة

تؤنِس روحها المُشتاقة، و أوصت بأن تكون للمدرسة تكاليف و ليست مجانية؛فالسيدة نرجس كانت تعرف أن البشر لا يعملون بجدٍ إلا حينما يكونون مرتاحين قريري العين ،و المفاجأة يا أختي أن ابنها هو نفسه المستثمر الذي أنشأ تلك المدرسة و عاد ليبني قصراً في مواجهتها) و أشار الحارس الي قصر رائع يقع على مقربة من المدرسة ،فهمت نينا أن دخولها إلى المدرسة و سماعها تلك الحكاية كان لابد من دفع ثمنه للحارس فدفعت و دخلت و تقدَّمت للعمل في المدرسة كمدربة للياقة البدنية و بالفعل تم قبولها دون أدنى تردد؛ فهي أجنبية وواجهة رائعة للمدرسة بل و لديها خبرة، و استأجرت لها المدرسة شقة تبعد دقائق عن المدرسة في نفس الحي الهادىء الفاره...

و كانت أول خطوة تفعلها نينا في شقتها الجديدة هي إرسال خطاب إلى أسرتها في إسبانيا؛ طلبت فيه بعض النقود من والدها؛ لتشتري سيارة و كانت مسألة طلب النقود هي ما تبقي أسرة نينا مُطمَئِنَة بشأن ما تفعله نينا خصوصاً لأنها لم تفِ بوعدها بأن ترجع إلى اسبانيا كل ستة أشهر ؛ و لكن طالما هي تطلب نقود فهذا يعني إنها في أزهى حالاتها أي تشبه نينا القديمة، وصلت حوالة النقود من والد نينا و اشترت السيارة و حملت فيها صندوق التبريد و الأعضاء بداخلها و رحلت بالجميع نحو شقتها الجديدة ...

بدأت نينا في عملها كمدربة لياقة بدنية للأطفال، كانت أرواح الأطفال قوية و ملائكية تخفي ورائها الظل الذي يتتبع نينا، كانت ضحكاتهم و صرخاتهم أعلى من صوت الفحيح و الخربشة التي يُحدِثُها الظل حولها، و كانت أرجلهم الصغيرة التي تحيط بنينا تسد كل فتحة من الممكن أن ينفذ منها الظل نحو نينا و كان إصرار الأطفال و تصميمهم على فعل أمور مستحيلة يصرع خيبتها و يأسها، كان عنفوان الخير فيهم يشغل أي حاجة في نفس المرء، فعاشت نينا بين الأطفال خمسِ سنوات تلعب و تلهو وتفوز البطولات و تخسر القليل منها؛ لتكسب رؤية المثابرة على أعين الأطفال السعيدة حتى يوم الزيارة التبادلية ..

كان يوماً شتوياً مُتَقَلِّب الأجواء و كانت مدرسة (نرجس الشماطلي) في زيارة خاصة باللياقة البدنية إلى مدرسة أخرى تُدعَى ب(السنابل)يومها قابلت نينا(إيهاب شغيدل) مدرب اللياقة البدنية الخاص بالمدرسة الأخرى، كان متوسط الطول عريض الجبهة ضيق العينين له شعر ناعم يمشطه على جانب رأسه ذات البشرة الخمرية اللون، يومها كان ينظر بلا مبالاة إلى فريق نينا يؤدي عرضه الذي انتهى و تبعه عرض فريقه الذي لم يتعد دقيقة و حتى خلالها كان المدرب مشغول بحرق النيكوتين فشعرت نينا بالشفقة لدى رؤية حقد الفريق الآخر على فريقها السعيد، فنظرت إلى المدرب مُعَاتِبَةً (لا يمكنك أن تستمر بنفث الدخان أمام التلاميذ)

(كنت تلميذ في يوم ما و الآن أدخن النيكوتين و لم أمت)

(لا يمكن أن تكون رياضي مدخن)

(و من قال إنني رياضي أصلاً؟)

(بعيداً عن عمقك الذي ستغرقني به ،أي كان مبرراتك فأنت الآن فاسد،أنت لاتؤدي دورك كما يجب،نحن هنا للتحدي و ليس للفوز السهل!) ضحك بصوتٍ مرتفع و صفق بيديه(لا بأس لا بأس!) أدارت نينا وجهها و أنهت تلك المحاولة التي كانت تقرّبهما؛ ليكونا صديقين ...

بعد تلك الزيارة قضت نينا أياماً عادية كتلك الأيام التي أصبحت فيها شخصاً مختلفاً منذ سكنت هذا الحي الهاديء ،تقضي يوماً حافل في المدرسة مع الأطفال ثم تتناول عشائها و تعود لمنزلها، تراسل أسرتها عبر البريد الالكتروني الذي حلَّ محل الطرود و المراسلات و في أحد المراسلات عرفت إن انغريد قد تعرضت منذ فترة طويلة لإجهاض طفلتها التي نست نينا أن تستفسر عن ولادتها ،و بعثت لها خالتها بصور زواج ألفارو من زميلتها القديمة (باولا) التي أصبحت عازفة تشيللو ، لم يصدم نينا في الخبر سوى تفصيلة وحيدة و هي أن (باولا) أصبحت عازفة تشيللو ؛كانت(باولا) زعيمة جماعة المتنمرين، كانت سمراء البشرة و كانت تسخر من الأنشطة كلها و من ممارسيها، تتذكر نينا يوم تبولت باولا في حوض السباحة أثناء التمرين و تم حبسها لمدة اسبوع في المدرسة و مع كل تنمرات(باولا) كانت نينا زعيمة جماعة أخرى و

لذا كانت على علاقة جيدة بباولا ،زفرت نينا ببطء عندما شاهدت الصور(حقاً الناس يتغيرون!) تفكر نينا إنها لم تتخذ صديقاً منذ تركت الثانوية و عندما تفكر بالأمر تصل إلى أن زملاء الثانوية لا يجب أن تصنفهم كأصدقاء ؛فأكثرهم قرباً كانت ليزا التي لا تتذكر نينا سوى عينيها المُتَعَلِّقَتين بلمعةٍ بألفارو، رغم إنها كانت تعرف إن نينا هي التي حجزته لنفسها و حتى إن كان العشق غلبها فمالذي يمنعها من السؤال على نينا الآن أو التواصل معها؟...

تتذكر ماهر قضت معه أياماً جيدة و لكن ماهر كان يحتاجها كما كانت تحتاجه ؛كانت الرئة بداخله تحتاج إلي يدي نينا ؛لتُخرِجها ،و حتى خالد الطويل سيطر خوفه على مشاعر الصداقة لديه، حسمت نينا الأمر إن الجميع مستغلين و فكرت إنها لن تستطيع التراجع أبداً عن تلك الحقيقة؛ فهي لديها دليل قوي و هو إن هي نفسها مُستَغِلّة؛ ألم تستغل غباء مسعود الفار و خالد الطويل و غيرهم ،و قرَّرت أيضاً إنها لا يجب أن يتم استغلالها كما الجميع لسبب وحيد و هي أن الأذكياء مثلها الذين وصلوا للحقائق لا يجب أن تنقلب تلك الحقائق على رؤوسهم؛ و لذا لن تسمح بأن يكن لها صديقاً أبداً ..

نام القرار معها ليلتها و استيقظت و معها القرار ذهبت إلى المدرسة و أنهت دوامها و أثناء خروجها كان (إيهاب شغيدل) بانتظارها ساهماً ينظر في الأرض و يقول بلهجةٍ اندفاعية واضعاً يديه في جبيبه(أريد التحدُّث مع أحدهم) طمأنت نينا القرار و طلبت منه الانتظار ووعدته بأن تعود لأخذه ،تابع إيهاب مُغيِّراً لهجته من الالتماس إلى اليقين من أن الإجابة التي سيتلقَّاها على عرضه ستكون في صالحه(هل يمكننا تناول الغذاء معاً) وافقت نينا؛ لأنها كانت بالأصل في طريقها لتناول الغذاء ،كان إيهاب شخصاً يحاول بكل ما أُوتِيَ من جهد أن يبدو غريب الأطوار،غامض المزاج، و في الحقيقة كانت محاولاته في حد ذاتها تجعله غريب الأطوار(ثلاثة أشهر يا نينا،ثلاثة و بالنهاية مرفوض؟) تنظر نينا إليه بعدم فهمٍ فيتابع(لدي ديوان شعري لففت به على دور النشر، يتم حجزه و منعي من التعامل مع دور النشر الأخرى و بالنهاية يُرفَض لأسباب تمتَنِع دار النشر الحقيرة عن الإبداء بها ،بالله أنا أعرفها تلك الأسباب اللعينة و

هي إن اسمي كمُبتَدِيء يمنعهم من المغامرة) تستمر نينا في الأكل و هو في الكلام (لا تفكري! أياكِ أن تفكِّري إن نظمي في الشعر سخيف أو مبتدييء كإسمي،لدي منتدى على الانترنت و الناس يعجبهم ما أقول، أستطيع صرع أقوى الشعراء بأسلوب حرِ) تقاطِع نينا(هل تكتب الشعر حقاً؟) يشعل سيجارة و ينظر إليها بتفحُّص ثم يرفع صوته(لا تكوني سخيفة الآن و تطلبين مني أن نظم الشعر؛فمزاجي لايسمح)

(و إن كان مزاجك لايسمح،لم مررت لأخذي؟)

(أحتاج لأن أتحدث مع شخص لا أعرفه،بخارج الشرنقة التي تغلق عليّ بإحكام فتمنعنِ من الطير كفراشة)

(كيف تريد أن تكن فراشة و انت رجل؟ هل توجد فراشات رجال؟)

ضحك و قال(أتعرفين لم يرعبني أمر أن شعري قد تم رفضه من دار النشر تلك ؛فهي تتحمل طباعة عمل واحد فقط سنوياً ،هناك العديد من دور النشر التي تتحملين فيها تكلفة عملك و تطبعينها أي كان فحواها من الهراء)

(لا عجب أن تجد أعمالاً في الأسواق مضحكة)

(مضحكة! رائع! لفظ سليم،أتعرفين مالذي أزعجني أكثر من رفض عملي،أطلقت مدونة على الانترنت و نشرت فيها أشعاري ،الجميع يعجبهم الشعر و يتذوقونه و يرحلون تاركين تعليقات رائعة)

(و مالمشكلة؟)

(خطر لي ذات يوم أن أكتب كلام بلا معنى، هذي ،انهالت نفس التعليقات بنفس القوة، فإما هم لا يفهمون و إما يجاملونني و في الحالتين تم إيذائي و الإيقاع بي)كان القرار الذي اتخذته نينا ينكزها ؛فلم يقبل بالانتظار أمام المدرسة حتى تنساه فأمسك بيد الظل و تبعاها حيث تجلس ؛كأن الاثنين يُذكِّراناها بألا يجب أن تتخذ صديق عدا هما ،فتساءلت نينا لم

فكرت أو حتى خطر ببالها خاطر أن يكن لها صديق الآن بالذات؟ ربما لأنها حصلت على كثير من الأحداث في الفترة الأخيرة و لكن من هذا الذي ستثق به حتى تحكي له عن الأعضاء و قصتها التي تجهلها نينا شخصياً كما تجهل نية المحكي له عن الأعضاء و لا تضمن أن يسرقها؛ لإمتاع نفسه و حرمان نينا منها، قررت الآن نينا أن تمنح الجميع حل وسطي ستحكي لهذا الرجل عن ماحدث لها ستخبره عن تجربتها مع الجنون ستخبره عن مقتها لألفارو لخيانته لها بعد أن عشقته ،ستخبره عن مدى الألم الذي شعرت به لما ما وجدت من تحكي له عن اللذة التي شعرت بها في صدر ماهر و عن الأمن بين كليتي محمود شكري و ممدوح، ستخبره عن اغتصابها و عن إهانتها و ضربها، ستخبره عن سرقتها ،ستخبره عن أيام عانت فيها وحيدة تفكِّر في احتياجها إلى قطعة من كل رجل ،و يوم حكت له عن احساسها الضال بأنها تعشق ماهر و ذات الاحساس مع سلامة و شكري و ممدوح و كيف وجدت الحل المثالي و التبرير الأنسب بأنها لا يمكن أن تكتفِ بواحد منهم فقط و لا يمكن أن تقبل بتسعٍ و تسعين شيء خاطيء على حساب النيل بالواحد، فرد عليها و هو يضحك(و ماذا تريدين مني قطعة؛ لتصلي إلى رجلكِ المثالي)

(الرجل المثالي لا تُستَبدَل منه القطع،و لا تبقى منتشرة في الأرجاء لحد المصادفات التي لا تنتهي!)

(و لكن هل خططتِ للقاء الجميع؟ألم يكن الأمر مصادفة؟)

(يكن ما يكن ،على العموم أنا برأت الآن من الأحزان،روحي سعيدة بين الأطفال)

كان إيهاب يعرف أن نينا ليست سعيدة و إلا لما حكت عن تلك الأمور القاسية التي عانتها و كانت حكايتها الإلهام الجديد لإيهاب الذي جعلها سلسلة حكايات شعرية تحت عنوان(فراشة وردات الشتاء

) كان يرتشف

الحكايا و يحوّلها لأشعار و يسرف في حقده على الظالمين الذين جعلوا حياة تلك المسكينة بائسة تعسة ،و لاقت أشعاره رواجاً عظيماً، و اشترتها منه أحد دور النشر و تحقّقت أحلامه و تعددت اللقاءات بين نينا و الشاعر المُثقَّف، و كانت فحوى تلك اللقاءات رمي حمولات الكلام من على ظهورهم و التطهُّر من أدران تملأ قلوبهم الجوفاء ،حتى يوم ثلاثاء ثاني أيام الصيف أرسل إليها إيهاب بريداً الكترونيا يطلب منها مقابلة و كانت الشمس للتو قد ظهرت ،فكَّرت نينا من إنه لا ضير بالتبكير ساعة قبل أن تذهب إلى العمل و بالفعل خرجت؛ لتقابل إيهاب غريب المزاج الناقم على الخائنين و المُبَشِّر بغدِ المدينةِ الفاضلةِ، كانت المقابلة في متجر الأدوات المدرسية الذي يمتلكه والد إيهاب، كان الجو حاراً رغم نسمات الصباح الندية، دخلت نينا و جلست على كرتونة مغلقة تحوي دفاتر لم تُرَص بعد ووقف إيهاب بمحاذاة نينا يتفحص عينيها شعرت نينا بالخجل و ضحكت بصوت عالٍ(مابك أيها الغريب)

(أحب أن أكن غريباً،أحب أن

تشاهديني ،خطرت لي فكرة و هي إنني أريدك أن تشاهديني، اطلبي مني أن أفعل أي شيء الآن ،أن أقرأ،أغني،أكتب،أنظم الشعر،أضحك)سكتت نينا تفكر في العرض الغريب، تفكر إنها لم تحرص يوماً على أن تشاهد إيهاب بأي شكل ؛كأنه لم يكن سوى أذن و فم حتى إنه لما طلب منها أن تتفحَّصه عرفت إنه ليس من نوعها المفضل للحد الذي تتفحَّصَه حتى لو طلب ،و لم يهمها الأمر؛ فلم يكن هدف نينا أن تحيل الجميع إلى نوعها المفضل؛ فنوعها المفضل مخلوق على كونه نوعها المفضل ،ربما ضجر إيهاب من كونها لم تره ،لم تمشي بعينيها على جسده ،فطلب منها المجيء هذا اليوم و بعد ثوانٍ الصمت قال لها(إذاً أنا أحب أن تشاهديني و أنا أدخن النيكوتين، أشعل سيجارة في المكان المغلق و صارت نينا تسعل و تفكر في الرئة التي تحتفظ بها في المنزل ماذا إن اشمئزت من رائحة الدخان في رئة نينا ،فاختطفت السيجارة منه و دهستها بقدمها ،فجلس على كرسي سحبه و أمسك بعلبة تحتوي على طين صلصال و قوالب

تشكيل أمسك بقالب دائري صغير و اخذ يدير اصبعه مخترقاً له ،اشعل سيجارتين و نينا تستمر بالسعال ،و لا تفهم مالذي يحدث كانت تظن إنه يمر بضائقة ما و من واجبها أن تستمع له و لو خمس دقائق ،ابتسم ابتسامة خبيثة و أمسك بالحلقة و قال (أريدك أن تشاهديني و أنا أفعلها!) كان يتحدَّث و هو يفك

أزرار قميصه و بينما كانت نينا تفهم مقصده خلع بنطاله و أصبح عاري فركلت نينا الصندوق الذي تجلس عليه و قالت أيها المتحرش الغبي،أمسك بها بعنف قائلاً(مالمشكلة أن نفعلها سوياً،هل ستسمحين للجميع بإغتصابك و تمنعيني ،لم هل أنا ضعيف؟) أمسكت نينا بمحبرة و ألقتها على رأسه فأمسكها متأوهاً و الحبر ينهال على وجهه و يصبغه بالأسود ،و الظل ينكزه بأصبعٍ وحيدٍ، ،و نينا فرت تجري إلى شقتها ترتعش أطرافها و تنتحب بخوفٍ شديد لم تشعر به منذ فترة تتجاوز سنوات حتى لم ينتابها هذا الشعور عندما اختطفها الغريب و شق بطنها و هي بالمصحة النفسية... لم تستطع الذهاب إلى المدرسة و

حتى لو استطاعت فقد اتخذت قرارها بأنها لن تقبل أن يُعَاد خداعها تحت براءة روح الأطفال التي خدعتها و جعلتها تظن و لو لثانية إن حدقات الغرباء التي تتعقَّبها و رائحتهم التي تحيطها قد رحلت ،بل إنها حقدت على أرواح الأطفال التي أغرتها كذباً أن تترك منزلها و منزل أعضائها للغرباء بدلاً من أن تخرجهم منها متقهقرين، من المؤكد أن تلك الأرواح الطفولية الخبيثة فعلت هذا الأمر عن عمدٍ؛ لتأتِ بنينا و أعضائها إلى أرض جديدة مُمتَلِئَة بغرباءٍ جدد ،أغرب من السابقين، غرباء حتى لم تزر أجسادهم أعضاء نينا فيلونوها و أي أرضٍ تحط عليها بلونِ الغربة... ***قضت نينا*** أياماً تنتحب قراراتها الخاطئة، يجلدها الندم بسوطٍ من التأنيب على شيء لا تعرفه و لا تعرف كيف تصلحه ،و الظل لا يقدِّر مشاعرها ؛فهو يتحرك بكامل قوته، يخطو خلفها ، تضع الأعضاء على أماكنهم في جسدها و تحكي لهم عن مدى غبائها بمسايرة الغبي إيهاب الذي كانت تعرف إنه يستغلها ليروي أشعاره الغبية حتى موقف متجر الكتب قد قرأته كشعر كتبه، تسأل الزمن أن يعود فلا تملأ رأس

إيهاب الفارغ بالإلهام و تسأل الزمن أن يعود أكثر حتى تصلح الخطأ الذي أوصلها إلى كل ما هي فيه أساساً و لكنها تسأل إلى أي مدى تريد للزمان أن يعود إلى ما قبل الظل أم إلى بعده أم إنها تريده أن يقفز في الأساس و لا يعود، فتتذكر حكاية جدتها هيام عن أختها (سعاد) كان لجدة نينا أخت كبيرة و كانت طموحة بعض الشيء؛ تعلَّمت في زمن كان يصعب على الفتيات التعلُّم فيه و كان تعليمها غير نظامي ؛تعلمت القراءة و الكتابة من شيخ التحفيظ مقابل أن تقرأ أمامه الورد، كانت صفقة سرية هو كان يحب صوتها و هي كانت طموحة؛ كانت تسرق الجرائد و المجلات و تقرأها ،استمرت على حالها في التزوُّد بالعلم ،كانت تتمنى أن تغوص تحت المحيط الذي وصفه لها الظابط الانجليزي و لكنها لم تكن تعرف السباحة أصلاً...

كبرت سعاد و مازال الطموح يهمز فيها بأن تكن امرأة مُتَعَلَّمة و عاملة ،بلغت سن الزواج رفضت أن ترمي الثقافات التي جمعتها في حاوية القمامة مع بقايا التنظيف و الطعام فرفضت الزواج في نفس القرية، يأس أهل سعاد من قضية زواجها من فلاح بنفس القرية، فاقترحت أن تذهب إلى المدينة حيث تعمل بم تعلَّمَته، ذهبت إلى المدينة فوجدت أن الفتيات متعلمات تعليم يفوق ما جمعته هي طيلة عمرها الطويل بالمقارنة بهن، بحثت عن عمل فلم تجد لعدم حملها شهادة تثبت إنها متعلمة، رجعت إلى بلدتها تسب عمرها الذي جرى ؛ليحيلها إلى بائسة تعسة كانت دوماً تقول(أحلم أن أرجع بالزمان إلى يوم العصفور الأزرق و أبقى محبوسة في هذا اليوم إلى الأبد،كان يوماً عادياً جداً لا يميزه شيء و هو ما أحلم بالرجوع فيه، يومها استيقظت مبكراً كالعادة ،أطعمت الدجاجات،ذهبت إلى الشيخ (صديق) قرأت له سورة الفتح رجعت إلى المنزل، تناولت الغذاء و بعد تناول الغذاء وجدت أخي يصرخ فرحاً فقد وجد طائر أزرق مكسور جناحه و يزحف على الأرض، حمله و دققنا النظر في ريشه الذي تمنينا أن يثبت مرة لنشاهد حقيقة لونه، يومها لم يكن مطلوب مني أن اثبت أي شيء لأية مخلوق!) كانت تستمر بترديد الحكاية حتى فُنِيَ عمرها و هي تحلم برجوع الزمان القاسي الذي كان حتى لا يلتفت ليسمع ما

قالت،تنهي الجدة دوماً الحكاية بقولها(إن سعاد كانت السبب في أن أتزوج من أجنبي و أُكمل حياتي هنا) لم يعرف أحد بالتحديد كيف كانت سعاد السبب في زواج الجدة من الأجنبي؛ فكل سائل له إجابة مختلفة؛ يرجِّح الجميع إن حكاية سعاد ماهي إلا حكاية عِبرة معينة و يرجِّح البعض إن سعاد هي ذاتها الجدة هيام و يرجِّح البعض إنها حكاية من خيال الجدة و فقط؛ فالبعض يحب الاختلاق بغرض الاختلاق فقط ،و لكن الأكيد بالنسبة للجميع هو أن الماضي لايعود أبداً و لا يكرر نفسه حتى إن أخلصنا في التمني ،و لدى إدراك نينا تلك الحقيقة و إيمانها بها كانت تزيد في النحيب الذي يعوَّل إلى رعبها من أعين الغرباء التي لم تستطع الخلاص منها، و لكنها تتذكر إن الجلسة القرآنية كانت السبب في تسكين روحها من قبل و الآن باتت قدميها تتجه دون أن تحرِّكها نحو المركز و منذ دخلت المركز و هي تتأكد أن قدميها فعلاً تجرانها إلى هناك ،شيء قوي يجعل قلبها يخفق بعنفوانٍ لا يضاهيه شيء ،رجحت إن قلبها مُعَلَّق بهذا المكان بشكلٍ ما ،و أثناء حديثها مع شيخ الاستقبال خرج شيخ من غرفته يهرع نحوها حتى وقف يحدِّق فيها ،نظرت إليه فالتصقت عينيها به ،تشعر بحرارةٍ تخرج منه، تصل بقوةٍ غير مُفَسَّرةٍ بين بطنها وبطنه، دمعت عينيها وودت لو تصفع وجهها بصفعاتٍ بعدد ذرات الكون ؛تأنيباً على تركها لهذا الشيء في جسد غريب لا و لن يألفه، نظر الشيخ إلى محمود موظف الاستقبال و أغمض عينيه بثقةٍ مُعلِناً إنه من سيتولى الحالة ،مشت نينا مع الشيخ ممرٍ طويل تخطَّى بها الغرفة التي خرج منها ثم التف في نهاية الممر و رجع إلى الغرفة مرة ثانية ،مستمرين في الصمت الغريب حتى دخلا صالته و أغلق بابها وسط نظرات الجميع لتلك التي تتجول بفستانٍ ذو أكمام قصيرة و شعر ذهبي بلا غطاء ،جلست بوضع القرفصاء في كرسي بمحاذاة الشيخ، كان متوسط الطول بعينين ضيقتين و حاجبين قصيرين و فمٍ عريض و أنف مدبب يرتدي جلباباً رمادي اللون و ذاتِ الوشاح الذي عرفت نينا أن اسمه (غترة) بها يغطِّي شعره الطويل المُختَلِط مع ذقنه و تفوح منه رائحة مسكٍ و خلطات نباتات عطرية ،و رغم إن الرائحة كانت رائعة إلا أنها كانت تضايق نينا و تُعَرقِل تفكيرها في الوصول إلى رائحةِ

العضوِ المفقود منها؛هي منذ اختلطت نظراتها مع الشيخ و مشت معه و هي تعرف إنها تحتاج منه قطعة و لكن أية واحدة لم تحدد بعد ...

بقيا صامتين حتى انتبه الشيخ إلى آلة التصوير الموضوعة في الزاوية الخلفية العليا من الغرفة؛ كانت كل غرفة مُزَوَّدة بواحدةٍ مُمَاثِلَة؛ لتقتنص اللحظات الغريبة التي تحدث للمرضى أثناء العلاج ،فلما تذكَّر وجودها نظر إلى نينا بإبتسامة تعرف نينا إنها مُصطَنَعة لتماثل تلك الابتسامة التي رأتها حينما كانت في المكان منذ خمس سنوات، و تأكَّد لها إن تلك الابتسامة شبيهة فقط للابتسامات في هذا المكان و ليست مُطَابِقَة ؛فأصحاب الأعضاء التي تبحث عنها لايمكن أن يتم السيطرة على عقولهم و تأكد لها الظن من الكلام الذي تلاها؛ لم يسألها ما شكواها و إنما بثَّ شكواه هو(أعرف إن الوقت و المكان و الظروف قد يُفَضِّلا قطع لساني عمَّا سأتفوَّه به الآن ،أشعر إنني كنت أحتاج إليكِ ،ليس فقط أحتاج ،بل في أمسِّ الحاجة إليكِ)صمت قليلاً و هو يتعرَّق، ثم أكمل بنفس التظاهُر بالإبتسامة(أُدعى يحيي،كنت أعيش خارج البلاد مع أسرتي و تعرضنا جميعاً لحادث سير،أخذ بالجميع و تركني ،لم يكتفِ هذا الحادث بم حدث لي بل تآمر مع رغبة قوية لا أدري من أين حصلت عليها لشيء أجهله كلياً، بحثت هنا و هناك بلا جدوى،جئت إلى هنا منذ خمس سنوات) يتحدَّث و نينا سارحة تنظر إلى العضو فيه بغيظٍ شديد ،كان يسكن إلى جوارها منذ خمس سنوات و يتهرَّب منها حقاً؟ هل يكرهها العضو الذي تحبه هل كان يتخفَّى منها ،و لكن لم؟ أليست مُخَلِّصَتهُ من أجسادٍ غريبة لا تنتمي إليه، كان هذا الغيظ بادٍ على وجهها للحد الذي جعل الشيخ يظن إنها أساءت فهمه فخرج الأمر عن سيطرته و دمعت عينيه(صدقيني!أنا لا أقصد أن أضايقكِ و لكن هذا ما حدث ،ما كنت أشعر به منذ دقائق قبل وجودكِ لا يمكن وصفه، هل تقدرين على تحمُّل حكة في أعلى أنفكِ مثلاً؟ مابال شعور الحكَّة الشديدة الذي يلازمكِ في قطعة من جسدك تجهلين كلياً أين هي؟ أنا كنت مُعَذِّب بالبحث عن مُهَدِّيء لحكتي و لكن بلا فائدة...حكة روحية!، أنفقت جميع مدخرات أسرتي على المعرفة حتى يأست و جئت لأنعزل هنا ،صوت

القرآن يهديء من روعي و يشغلني عن التفكير في البحث و مطاردة الخيالات، أحب القراءة و سماع التلاوات من الحافظين،صبرت حتى جئت،تحدثي هيا و أخبريني عن المسكن الذي تحملين،أخبريني إنك تحملين الترياق لبحثي!)كان الظل بينهما و يتجسد على شكل رقمي سبعة بالانجليزية و اثنين بالعربية يتجاذبان و يتنافران و مابين حركات الظل التافهة قاطعت نينا يحيى باستهزاء(هل تعرف ممدوح؟ هل اتفقتما على قول نفس الشيء؟حكة!)ثم صرخت بصوتٍ عالٍ(حادثة حادثة حكة مرض،مابالكم! أم أن ألفارو اللعين لازال يتجول مغيراً عالمي ليقنعني إنني مهووسة و هو طبيبي اللعين!) ينظر إليها بعدم فهم و هي صمتت و انتهت من حقدها على العضو و و هي تراه هو قد اعترف بذنبه و يخر الآن مُستجدياً رحمتها فمثَّلَت تجاهله؛ عقاباً له أو تجاهلاً لتجاهله هو و بقية الأعضاء التي تصر على إخفاء السر و عدم البوح عن العلاقة التي تربطها بنينا فتجاهلته تماماً و هي تنوي أن تفضحه أمام الأعضاء الأخرى ،تقسم على قلبها إنها ستروي لهم إنه كان يسكن لجوارهم و يأبَ أن يهديء من بحثهم و يخفف لواعج أشواقهم،و رفعت صوتها تقاطعه هو و الشيخ (أنا هنا لطرد الغرباء من منزلي) ضرب الشيخ بكفه على جبهته العريضة المربعة و قال (يالله!قنا من الفتنة يا قوي يا قوي!) فكر الشيخ يحيي لحظتها إن ظهور نينا و وضوح جاذبيتها لجسده هي إغواء من إغواءات الشيطان و اختبار و ليس أكثر و إن كل ما كان يحكيه ماهو إلا فتنة نائمة و هو الذي أوقظها و أطاعها بقصدهِ فعزم تجَاهُل كل ما قاله و باشر عمله كأنه لم يقل شيء،غيَّر من نبرة صوته و أعاد ذات الابتسامة و قال(هل انتِ وحيدة؟)

(ليس كلياً،لا أعرف!)

(لم لا تتزوجي؟) شعرت نينا ببرودة أطرافها و قالت (لاأعرف،انت لا تفهم.....و من يجب عليّ الزواج منه؟)

(شخصاً تختارينه) تفكّر نينا بهذا العضو الذي يراوغها ،كيف سمح له بأن يخبرها أن تختر شخصاً تتزوج منه؟ ألتلك الدرجة يريد استفزازها؟ أي سوء فهم وقع بين الاثنين، تنظر نينا إلى

الأرض بعينٍ مخذولةٍ فتقول(فعلت أخطاء كثيرة ربما لا تُغتَفَر،لن أتمكن من الزواج طيلة حياتي) (عزيزتي لا يوجد ما يُدعَى بالخطأ الذي لا يُغتَفَر طالما هناك مصطلحات كالندم و التوبة، إن كان الخالق يغفر فما بالك بالمخلوق الخطاء؟)

(هل تغفر لي و للجميع؟)

(أكيد!)

(لدي عروس لك....أفكر إنك لا تفكر في الأساس في الخروج من هنا ..... هناك عروس حل معضلتها الزواج تم اغتصابها و الجميع يحمّلها الذنب،لن يضيرك الزواج منها و لو لليلة واحدة و تعود ثانية لاعتكافك) تهللت أسارير الشيخ لدى عرض نينا متخيلاً إنه هي العروس و تراوغه بغرض الدعابة ،و لكن نينا كانت تحاول فقط أن تغيظ العضو فيه كما أغاظها كانت ترشح له عروساً غيرها؛ لتنل من كبريائه الذي يصوّر لها إنها لن تسمح له بالذهاب لغيرها فقالت(ياه فتاة مسكينة! في بلدة غبية ليس لدي صورتها الآن و لكنها جميلة ،ترتدي خماراً على رأسها مثلك تماماً و أراهن إنها تستطيع تحويل حبة بطاطا إلى أصابع في ثلاث ثوانٍ)

و لا بد أن العضو نكزه بغيظ ليرفع صوته(و لم أتزوجها؟ أنا هل انتظر تلك المدة و في النهاية أتزوج من واحدة مهتوك عرضها من غيري!) ضحكت نينا بصوت عالٍ ثم قالت باستهزاء(جميعكم تغفرون لي فقط! تغفر للخطاء و لا تغفر للمظلوم مالا ذنب له به)

عدل من نبرة صوته و قال(إننا نتحدث بصراحة و للانسان تفضيلاته) و بعد تلك المقابلة

قضت أياماً مع الشيخ (يحيي) يعلّمها القرآن و يحفّظها الآيات و الأذكار بمقابلٍ وحيد لم يطلبه منها حتى تعرضه هي عليه و هو رؤية الذبابة الفاتنة كما فعلت في ذاك اليوم ؛جمعت أعضائها في صندوق المبرد وودَّعت قصر(نرجس الشماطلي) ،و ركب معها الشيخ يحيي سيارتها و وصلا إلى المنزل،و تفاجأت أن سيارة ممدوح التي كانت بجوار منزلها قد اختفت ربما سُرِقَت أو أي شيء آخر حدث لها ،و كما عهدت المنزل كلما غابت عنه و رجعت، كأن التراب

مُحرَّم عليه دخوله، كان نظيفاً كأنه للتو تم تنظيفه و ما إن دخلا غرفة نومها سألها (أين كانت الذبابة الفاتنة؟) فقالت (أرواح لا أعرف عددها تبعتها حيث زراعاتٍ بكرٍ يجري في منتصفها جدول يخبِّيء تحت أحجاره ذهباً خالصاً و الذهب يتمسَّك بالحجر يأبَ الجريان مع مياه الجدول ؛لئلا تصبه في مكان يمنع عنه سماع لحن جريان المياه على الحجر الذي ينظر و بإمعانٍ إلى الأرواح التي تبعت ذبابة تحلق بيدين سابحتين تحتضنان هواء الكون بأكمله و تتخطاه رغم عنه ليصدم وجوه الأرواح الشبقة لمعرفة أي معزوفة عذبة قد كُتِبَت على هذا الهواء؛ ليجعل الوجوه مستمتعة ما إن تمر عبره، فتلمح أعينها كياناً صغيراً لمَّاعاً يفرد ذراعين فتهرع ورائه داهسةً أزهار الربيع و نافثةً طلع البرتقال ؛فقط لتصل إلى صانع الفتنة و بائع المتعة التي لا يضاهيها متعة) كانت تتحدث و الشيخ يخلع جلبابه و يتبعها على السلم نزولاً إلى غرفة الأجساد الفارغة و جلس يبكى مخربشاً بظفره مكاناً في بطنه و صار يزيد الخربشة إدماءٍ ،فكَّرت نينا و رفعت المفرش عن بقايا الغرباء و اختارت أرفع عظمة مُتَبَقِّيَة و كسرتها حتى صارت حادة فاخترقت بها جسد الشيخ شهق بارتياحٍ و نام للأبد ثم أخرجت منه أنبوباً صغيراً ،كان يتحرك كثعبان أهوج فاقد عقله، يضيء كالأنقليس الكهربائي حتى انتابها الشك من إنه الانقليس بذاته و سيصعقها الآن، و به ثقوب صغيرة كالعيون ،حرَّكَت اصبعها عليه و كانت تضحك ؛مستمتعة بمطاردة النقطة التي تسبب حركة الأنبوب بأكمله كانت تتحرك عبره ،و بعد دقائق صار يهديء من حركته و أخذ ينبض بين يديها بقوةِ الاشتياق إليها، يتحرَّك بهدوءٍ و كأنما عادت روحه بعد أن كان يصارع الموت في الجسد الغريب المُقرِف و صار يلمع مُتلألِيء كالعيون المتلاقية بعد الاشتياق ،نست نينا حقدها عليه لما غفر لها تركها له كل تلك المدة ،غسلته من دم الغريب ووضعته على جسدها العاري فنام عليه مُتَنفِّسَاً ببطءٍ ثم وضعته في المحلول ،نامت ليلتها هانئة بمجموعتها التي تتلاقي عند جدران الأواني المغلقة كأنما تحن إلى بعضها البعض و نفضت عنها غيظها بكتمانهم بغيتهم جميعاً بمن فيهم هي ببعضهم البعض..

تمر الأيام عليها متشابهة ؛تضع الأعضاء في الأماكن المشابهة لها في جسدها و تبقى الأماكن

الأخرى باردة فتتحرك الأعضاء نحوها؛ لتدفئها فتبرد أماكنها ،يتسرب إليها الهواء المخلوط برائحةِ الغرباء التي تزداد يوماً تلو الآخر حتى جاء اليوم الذي نفَّذَت نينا تعليمات الشيخ يحيي رغم إنه كان واحداً من هؤلاء الغرباء...

أشعلت البخور و قرأت القرآن فعلى صوت الشيخ يحيي من بين الغرباء ضاحكاً (ياربي! لم أتوقع إنني سأكون من هؤلاء الغرباء الذين جئتِ إليّ للخلاص منهم،... (ضحك باستهزاء) أتطردين غرباء حافظين القرآن بالقرآن،هل نحن كفار؟)

(تعالى أصوات الجميع من الغرباء يرددون آيات مختلفة يحفظونها)فصرخت نينا بجزع(لم تستمرون في تنغيص حياتي،ألم يكفكم سرقة كل تلك اللحظات مني؟ أليس لديكم ضمير أبداً،لم تحاولون سرقة منزلي و راحتي؟ ألم يؤلمكم سرقتي من قبل و ندمتم عليها؟ أعينكم هي من كانت تتكلم بالألم و الغيظ و تبكي ؛مُحَاوِلَةً غسل أجسادكم من أدران سرقتي، آمركم بالخروج من منزلي ،إن بقيتم هنا ستألفون المكان و عندها ستشكوا غربتكم هجرانكم لها، مارسوا غربتكم التي أعتدتم عليها و اعتادت عليكم، لطالما كنتم غرباء أيها الغرباء! يامن لفظتكم أوطاناً لم يُخلَق لديها ذراعين؛ لتحتضن متسوليها أجوفي العينين فلا يجد القمر فيهن المرايا لينعكس، يا من يخشى الغبار أن يلتصق بأقدامكم الزلقة؛ فيفقد وطنه و يتجول معكم في الصحاري بين الأوطان التي لا تعرفون نطق كلمتها فتخرج لفظاً لا معنى ورائه من بين الأسنان التي تُقسِم و الحلق بمرارةِ صبار الصحاري التَعِس، يامن تمرون على السواحل فيتراجع القمر بمياه البحر؛ رُعبَاً من أن تخطف وجوه الغرباء قطراتها ، فتتحرك المياه بعيداً آسنة مُحذِّرَةً الرياح أن تصفعها نحو الغرباء) ما إن سمع الجميع كلمة الرياح حتى قاطعوها جميعاً في نفس الوقت كأنما تدربوا على الإجابة يترأسهم ماهر يقف رافعاً حاجبيه بفخر لا يناسب الجرائم التي تنسب إليه(الرياح! الرياح هي السبب، هي التي تصنع الغربة و تختار الغرباء؛ جربنا يوماً أن نزرع قمحاً ،لدينا بقر و صنعنا الخبز،فذرته الريح بعيد و انتشر بين القوم فانفرج الثغر سعيد؛ الجميع يأكل من قمح زرعناه و بقر رعيناه و خبز صنعناه ،أمعائنا تحدَّثت بصوتها الخاص،طلبت منا أن نلقي لها

ندفة، فمددنا يدنا بين القوم نقطف من خبز صنعناه،فضُرِبنَا على أيدينا بالسوط ،(يا لصوص! يا لصوص!)

رددنا(خبزنا يا سادة!)

قالو(إن القسمة من فوق)

قلنا(حتى لو كان خبزنا يا سادة!)

قالو(لا تتعالوا و يعلوا صوتكم؛ فالوطن هاديء نائم إن أُوقَظَ سيخرب،الصمت،الصمت!)، قلنا بصوتٍ مرتفع و ثغور أجسادنا نافرة(لن نركض وراء اللقيمات القديمة، فقطفنا القمح ،طحنَّاه على صوت حلب البهيمة ،صنعنا خبزاً ،الباب مفتوح ،و الريح هائجة ،فكرنا سنزيد الكمية حتى و إن ذرته الريح سيبقى لنا ما يجعل ليلتنا راضية مرضية، ذرت الريح الخبز، وامتدت يداً للموقد رفعت من لهيب النيران، فاحترق الخبز ،و صاح الصوت ،(أتريد أن تخرب الوطن و تستنفذ ماله؟ كيف تصنعون خبزاً بتلك الكمية؟) صحنا (نريد الأكل! أمعائنا فارغة،وأصواتها تُحدِث صدىَ بين القنوات و الأنابيب المهجورة)

قال الصوت بنفس الحدة(لا أكل اليوم إليكم؛ عقاباً) فخرجنا نشاهد أناساً لم تنهض من فرشتها تلوك خبزنا و خبز بقرتنا ينظرون إلينا باستحقارٍ و يغنون بصوتٍ عالٍ بنغماتٍ تصم القلوب (هؤلاء الدخلاء!،يعبثون بخبز أوطاننا ،يقضُّون راحة وطن نائم فيستيقظ منزعجاً) صرخنا لإيقاف النشيد(الوطن وطننا!) أجاب الجميع بنفس النظرة(نقول لا!) رحلنا و جربنا الأمر مع كل الأوطان فلفظتنا و قالت إن العيب فينا ؛لا تلمع شمس على أجسادنا و لايعبث هواء بين شعرات رؤوسنا، فقط تأخذنا الرياح معها!)

هب ماهر يقترب من نينا(يقولون الناس هي من تصنع الأوطان يا نينا! كعكة الشوكولا لا تُلام يا نينا إما المشاعر و إما لذَّتها!) و ممدوح يقول بلهجتهِ الهادئة الجديدة التي أكتسبها من الموت(هتكت عرضك و نسيتِ و تابعتِ عشتِ سعيدة ، سرقت أبي و زوجته و كسب مالاً جديداً لم أحلِّ حتى و لو ضيفاً في إحدى الذاكرات)

نظر حوله و قال(جميعنا جميعناً!) ينظر محمود شكري بصمتٍ ثم يكسره(لدي حكاية لدي حكاية، و لكن قانون الغرباء سيطردني إن حكيتها، أنا تبرأت من حكايتي) الحاج سلامة تلمع عيناه مع طقم الأسنان الذهبي الذي لازال يرتديه و نينا تنظر إليه بتعجب و بالها يقول(جسدك ليس هنا)و لكنها تحبس جملتها التي يسمعها سلامة بشكلٍ ما فيضحك ضحكته الريفية و يقول(أنا هنا،ليس عدلاً ألا أكن هنا).

على كل حال القبو مظلم،يؤلم عين الحاج سلامة التي يحاول فتحها لأقصى ما تستطيع؛ لاستيعاب أكبر كم من الضوء ،و التراب به مؤذٍ لصدر ماهر التَعِب،محمود شكري و ممدوح عطشانين حد التملُّح ،و الشيخ يحيي خائف؛ القبو مؤلم و أكثر ما يؤلم فيه صوت مياه النهر و هي تقترب من الأحجار و تتركها،و حفيف الأوراق و هي تتصارع قبل أن تقفز على صفحة النهر التي تعكس الشمس التي خاصمتهم منذ مدة ...

كانت تلك الخيالات قاتلة للغرباء،و لكنهم لن يستطيعوا الرحيل دون وطن إلى لا وطن، انتهى الأمر بميثاق مع نينا مفاده أن الغرباء لا يعرفون إن كانوا سيرحلون أم لا ،و الأمر في حد ذاته يعني إنهم غير مُصرّين على البقاء رغماً عن نينا و لكن بقائهم راجع إلى شيء لم يعرفوه يرددون(ساعدينا لننشيء وطناً؛ فلفظ الغرباء مُؤلم بقدر صفته) نينا تتساءل ألم تهددهم للتو برحيل لفظ الغربة عنهم ،أيريدون اللفظ أم لا ؟

خرجت نينا من الباب و صفعته بقوةٍ فكيف لها أن تساعد نفسها؛ لطرد الظل و الغرباء ،و تساعد الغرباء أيضاً!، أليس الأمر عسيراً على شابة مثلها؟ أخذت تنتحب و تصرخ و أحد ما يطرق الباب بكل ما أُوتي من قوة ...

فتحت الباب و صارت في مواجهة(عاصم شكر الله) كان عاصم شاباً طويل القامة قوقازي بغمازةٍ وحيدة و شعر أجعد لامع و عينين واسعتين و داكنتين ،و شفتين مكتنزتين تبدو منهما أسناناً ناصعة البياض و مُرَتَّبَة بمثالية،ما إن رأته نينا حتى جففت دموعها و دعته للدخول فقال(انتِ قاتلة!) ما إن لفظ عاصم لفظ قاتلة حتى عاد إليها الخيال المقرف بأن عاصم مقتول و

الدود يخرج من أنفه و فمه، فنفضت الخاطر بسرعةٍ عن بالها ،فأكمل عاصم وسط نوبة الهلع من كلمة القتل(أعرف إنك تقتلينهم،أنا أراقبكِ منذ نزلتِ من الطائرة برفقة ماهر كنت أعرف نهاية علاقتكِ مع ماهر و الحاج سلامة و محمود شكري)

ضحكت نينا لعدم نطقه لاسم ممدوح، رغم إنها كانت تشعر بالرعب من ألفاظ هذا الزائر ،نظر إلى الأرض حالما شعر بالشفقة من نظرتها المرتعبة و بعدها زالت الابتسامة لدى نطقه لاسم ممدوح (أنا و ماهر و محمود شكري و ممدوح و الشيخ يحيي و الحاج سلامة يربطنا بكِ شيئاً مجهول،يجعلنا فريق مُتَوَحِّد على تتبُّعكِ ؛ربما السبب عينيك التي تطلب منا اللحاق بها ؟ أنا هنا شأني شأن الجميع و لكنني أعرف أن وجودي معكِ يعني أن دوري قد حان ،لطالما تساءلت كيف لشابة رقيقة ضعيفة مثلك بأن تقتل رجالاً كهؤلاء و لم نود أن نُقتل على يديك الصغيرتين ؟)

(لم تصر على نعتي بالقاتلة ؟أنا لا أجرؤ..)

(هاأناذا! لا أريدك أن تقتليني،ليس حباً في الحياة و إنما لا أريد التخلّي عن الشعور الذي أشعر به الآن في أحشائي بقربكِ)

سألته(هيا تحدَّث و أخبرني أنك تعرضت لحادث أو التهمك أسد أو غرقت في المحيط و اشمأزت منك القروش و لفظتك؛ لتحكي لي الحكاية،لم جميعكم مرضى و مقرفون)

نظر إليها رافعاً حاجبيه و خافضاً شفته فأكملت(أيتها الشفقة المقرفة لم تصرين على ربطي بالمرضى و المجذوبين،لم أحتاج قطعاً...) قطع حديثها رنة هاتفه النقال فأغلقه و نظر في عينيها(تابعي! لا تقلقي! إنها شركة الاتصالات ،ليس لدي علاقات،كنت مُتَبَنَّى لأب غني فقط)

ضحك و قال(أنا أعنيها، أبداً لم يكن لي أم، لا أعرف لماذا حتى حينما كنت أسأل أبي لم ليس لي أم كان يجيب بأني نَبت من شجرة سقاها يوماً بدمع الأمنيات) هز رأسه بتأثُّر و أكمل (ترك لي أبي كل ما يملك و عندما توفي قام أحد أقاربه بطعني، رأيت وجهه، أنا رأيته و رحل مسرعاً لكني لم أمت و تم إنقاذي، قام الشخص الذي طعنني بدفع مصاريف علاجي و عقدنا ميثاق

أن يقوم بعلاجي و أنا أتستَّر على فِعلَته و نقسم الميراث نصفين مقابل أن يتركني لأعيش و فعلاً استأجر محامي و حسب علاجي من نصف الميراث و قال لي(هذا مالك و يكفي إننا تكبدنا علاجك و تربيتك) رحلت بلا نزاع ؛فأنا كنت أعرف إنني أبحث عنكِ فليذهب المال للجحيم)و ضحك بصوت عالٍ ثم أكمل(حقاً لا أعرف مالفائدة الآن)

رفعت كفيها للسماء فجأة تبتسم بسخرية ؛لدى قوله ما توقَّعته و قالت(فائدة!)

(مالذي يبقيني مستمتعاً برفقتكِ) قالها بلهجة غير استفاهمية،فكّرت نينا ثم قالت (لاحظت إنني توقعت ما ستقول و لم تندهش ،انت تعرف الكثير!) ابتسم و رفع يده للأعلى يقلدها بحركة غير مفهومة فاكملت نينا(لم جميعكم مضطهدين و معذبين و مرضى ؟ألأنني كما انتم مري...)سكتت فجأة قبل أن تكمل كلمة مريضة فقال عاصم بابتسامة(مريضة! قوليها،أنا أعرف،ألفارو لم يترك شخصاً إلا و أخبره إنكِ مريضة و لديك لا أدري ما اسمها ...ربما ظرف نفسي ؟ انتِ تحاولين صناعة رجل مثالي من أجساد الناقصين ؟)

تنفست بقوة و صاحت(انت تكذب!ربما تعرف الكثير و لكني أشعر أنك تكذب؛ حديثك غير مرتب،انتم جميعاً تعرفونني،يحمل كل فرد فيكم حكاية من حكايتي ،أنا بلا أم مثلك) رفع حاجبيه بلا اجابة ،ثم قالت بصوتٍ هاديء(ربما تعرف الحكاية الحقيقية للذبابة الفاتنة ؟) ابتلع ريقه بقوة و لمعت عيناه و أخذ يتنفَّس بصوتٍ مرتفع...

قالت (أعرف إنها وصلت ذات يوم لأرضِ خربة، طارت فوق أذرع مقطوعة و سيقان بشرية منزوعة، تتوسَّدها آذان صُمَّت من فرط أصوات الخراب ،طارت مُغمضة عينيها؛ لئلا تعكس مراياها الخراب المدمي، أزَّت لتوقظهم من خيالات الخراب فرجع لآذانهم السمع و لكنه كان سمعاً غريباً كسمع حشرة النمل، و تتبَّعوا لون الزئبق الطائر ،وصلت في رحلتها حيث بيانو ضخم بل أضخم ما يكن، أزت أزيزاً خفيفاً و دعست على المفاتيح خطوة! ثانية! ثالثة! فرابعة و خامسة و كان اللحن الذي نفض الغبار عن طبلاتِ الأذن و نفض الطين عن العيون و نفض الوسخ عن الأدمغة ،رحلت و قطعوا أصابعهم في محاولة تكرار لحن الحياة الذي عزفته بلا

فائدة!) وضع كفه على كبده ثم قطع قميصه فأحضرت ذات المشرط الذي استخدمته مع ماهر و انتزعت كبده الملوَّن و هي لازالت تدندن الأغنية التي سمعتها حينما رنَّ هاتفه...

الدماء انفجرت من بطنه المشدودة بقوةٍ، انتشرت على أرضية المكان و تخلَّلت أصابع قدميها و كان من أكثر الأشياء كرهاً إليها أن يُبَل بين أصابع قدميها خصوصاً بمادة لزجة كدماء عاصم فتركت بطن عاصم مفتوح و الكبد بارز منه و ذهبت؛ لتنظِّف بين أصابع قدميها غسلت أصابعها و عادت إلى جسد عاصم الذي ظل يدمي و يلوِّث بين أصابعها كررت غسيل قدميها عدة مرات حتى أصبحت أرضية المكان زلقة من أثر المياه المدماة فسقطت نينا على ظهرها سقطة أفقدتها الوعي لدقائق مرَّت عليها كأنها أعوام راودتها فيها أحلاماً و خيالات هائلة، رأت نفسها لحظة التخرج من الثانوية و كم كانت سعيدة مُقبِلة على الحياة و رأت نفسها في زي (إينيس دي كاسترو) و تُزَف إلى بيدرو من قصر نرجس الشماطلي إلى قصبة قصر الحمراء، رأت رؤى عديدة لم تستطع التفرقة و الحسم أيهم كان حقيقة مُستَحضَرَة و أيهم تأليف من الخيال و لكن بالنهاية أفاقت حينما تسرب الدم البارد إلى فمها برائحتهِ المنفرة،فانتصبت، كان عاصم قد تحول وجهه للونٍ أصفر مُلَطَخ بالأزرق و فمه مفتوح بالكامل و عينيه نائمتين باستقرارٍ، كانت أسنانه ناصعة البياض لا أثر لأي تسوس أو حشو بها فأدركت نينا إنه كان طفلاً مُطِيع، تذكَّرت نفسها حينما كانت طفلة و كسرت سنها الأمامية، يومها تمنَّت لو كان لها أم؛ لتغني معها ترنيمة السن المكسور قبل إلقائه من النافذة ،يومها بكت بهيستريا رغم محاولات جدتها هيام؛ لتغني لها و لكن نينا كانت لديها قناعة إن أغنية الأمهات أقوى في التأثير ،يومها ألحت على والدها أن يحضر لها أم و لم يستجب والدها للألحاح إلا بعد عشر سنوات حينما وجدت نينا الأم ،كانت موظفة بالشركة تدعى (إنغريد) و كانت امرأة بوجنتين بارزتين و عينين خضراوتين مُكحَلَتين ،و بشعرٍ قصير بني كانت تربطه ضفيرتين و تضمهما بربطةِ شعرٍ، كانت تلك الضفائر هي ما جعلت نينا تحسم أمر أن تكون هذه المرأة أمها ،تذكرت كم حاولت خالتها إثنائها عن الأمر و لكن نينا كانت مُصِرَّة رغم الجميع عدا أبيها، تتذكر بوضوح يوم صرخت

في جدتها(لا تكوني أنانية كأمي البيولوجية تلك المرأة التي آثرت إنهاء آلامها على حساب آلامي ،استسلمت للموت من الصفعة الأولى ،لم تتحمل و ترفضه من أجلي كيف تعتقدين أن تولدي بلا أم)

ردت جدتها(لا تكوني كالأطفال الأغبياء،هل الانسان يخير لحظة موته)كانت تتحدث بعصبية شديدة فأجابت نينا بعصبية أشد(لا أعرف! ليتكِ تجربين الموت من قبل لتتحدثي عنه بتلك الثقة) تتذكر كيف حاولت جاهدة أن تنسى هذا الحوار خصوصاً في اللحظات التي كانت ترى (انغريد) مُستَمِيتَة في الحصول على طفل، تذكرت كيف استبدلت هي أمها بانغريد التي كانت تتمنى ليلاً و نهاراً أن تستبدلها بطفل أو طفلة تلدها هي، تتذكر كيف هربت منها جميع الأشياء التي تمنت امتلاكها، فنفضت عن خاطرها تلك الخواطر الغبية التي قاطعت ما تفعل لسبب غبي تجهله و لا تهتم بمعرفته؛ فأي كان هو فقد كان في الماضي حيث كانت غبية لا تستطيع الحصول على الأشياء التي تتمناها ،أما الآن فهي أمام شيء تريده بشدة و هاهي تحصل عليه، تنظر إلى الكبد الملون تحتاج فقط قطعة منه و لكن تلك القطعة مُتَوَغِّلَة في باقي الكبد فلن تغامر بتشويهها و لأنها فضَّلت ألا تراها تدمي أمام عينيها تركتها على حالها...

كان لكبده رائحة غريبة أقرب إلى رائحة دخان الأرجيلة غطَّسته في المحلول ؛لتغسل عنه الدماء ثم شلحت فستانها ووضعت الأعضاء على أعضائها و شعرت بنشوةِ دفء تلك البقعة التي كانت تبحث عنه منذ أكثر من ثمانِ سنوات، جرجرت الجسد الثقيل نحو بقية الأجساد المُتَحَلِّلَة ،كان ثقيلاً بشدة حتى إن ذراعيها كادا ينخلعا من الشد و أصابع قدميها طقطقت و سببت لها ألم شديد، تجرجر عاصم على السلم فتتخبَّط أسنانه ببعضها مُحدِثَة صوت قوي جلست على درجات السلم تنظر إلى جسد عاصم و فمه المفتوح و بطنه النازفة و للحظات شعرت بالندم؛ فلو أنها كانت طفلة تشرب الحليب ربما لكانت قوية الآن ربما بقوة تجعلها تسحب بالغ أعتاد في طفولته على شرب الحليب، بعد أن وضعته إلى جوار البقية نظفت المنزل ،و أزالت الدماء و جلست تبكي بندمٍ تشفق على نفسها من الضعف و الوحدة التي

تجعلها تعاني كل تلك المعاناة في سحب جسد على عشر درجات من السلم...

قضت الليلة بجوار الأعضاء و في الصباح غالبها الفضول؛ لتفحُّص الهاتف النقال الخاص بعاصم ،حاولت تشغيله وتساءلت أين كانت بالتحديد لحظة تصنيع هذا الهاتف بالصوت الواضح الذي يجعله يبث أغنية كاملة ،تذكرت إنها كانت أول المجربين للتكنولوجيا ،اشترت هاتف نقال حينما كانت مراهقة في مطلع الألفية الجديدة لكنها لم تستخدمه للاتصال أبداً ؛فليس الجميع لديهم المال لشراء هذا الهاتف المُبتَكَر فاشترت جهازين(بيجر) للتواصل مع ألفارو، يومياً كانت تتمنى لو يتمكنون من صناعة جهاز يمكنها من الحديث مباشرة مع ألفارو وجهاً لوجه ...

الآن أين هي الآن لم تسمع حتى عن الهواتف ذات الكاميرا و الهواتف المزوَّدة بمُشَغِّل فيديو كهاتف عاصم، رأت بالهاتف مقطع مصور لشارة المقدمة لأحد المسلسلات بأغنية(هذه الروح تشتاق إليك، هذه الروح لك تشتاق و مضيت و كأنما أعجبك الفراق)

صارت نينا تعيد المقطع مراراً و تكراراً و تدمع عينيها ؛عاجزة على معرفة السبب ،انتهى شحن الهاتف و انطفأ ضوءه،و استمرت نينا بالتفكير، ألتلك الدرجة شغلها تجميع الأعضاء المثالية عن رؤية العالم و تحرُّكَهُ من جوارها؟ على كل من المؤكد أن يوماً ما ستكتمل مجموعتها و تحصل على الاكتفاء الذي تبحث عنه و عندها سترى العالم بجوار التجميعة المثالية، قضت نينا عدة أيام تجلس برفقة الأعضاء تنظر إليهم و تحاول تصوُّر أي جسد مثالي يمكن أن يأوي تلك الأعضاء و أي عقل لم يُخلق مثله يمكنه تنظيم حركتهم، يرعبها التفكير في ما سيحدث إن عشق هذا الجسد الذي سيناديها الأعضاء و أغرى العقل بالهروب مع الأعضاء فتنفض عنها الرعب ؛مُبرِّرَة إن الأمر مستحيل الحدوث؛ إذ أن الجسد المثالي سيركض نحوها لا عنها...

و قبل عيد ميلادها بيومين جاءها بريد من أبيها يقول(تلك السنة سنحتفل بمولدكِ سوياً أنا و انت و انغريد ،لدينا مفاجأة عظيمة لكِ بعد يومين سنكون في منزلك)...

جن جنون نينا حينما رأت تلك الرسالة؛ فكيف ستستطيع الاختلاء بأعضائها في وجودهم، و كيف ستفسر رائحة الغرباء حتماً سيقلق والدها إن علم إنه تعيش محاطة بهذا الكم من الغرباء

،لابد أن تتصرف سريعاً و بفكرةٍ أسرع من مرور كلمة سريعاً تذكَّرت نينا ذلك الشاب الذي تراه دائماً في محطة الوقود، لا تعرف صفته و لا اسمه لا تعرف عنه سوى إنه من النذالة ليتتبعها أينما ذهبت كلما رآها ...

كان دائماً يرتكز على دراجة نارية قبل محطة الوقود بخطواتٍ ترجح نينا إنه ليس سوى مروج مُخدِّرات ولم تلتفت إليه مطلقاً، حتى حينما كان يجرى جوارها على دراجته و يرمي إليها قبلات في الهواء... فكرت نينا إنه لا يمكن أن يقوم بم تفكر فيه سوى هذا الشاب فاستأجرته هو و شقته؛ لتستضيف أهلها ،و بالفعل وافق (سعيد)على عرض نينا بترحابٍ شديد و ساندە إنه كان يعيش في شقته وحيداً و لم تتطرق نينا لسؤاله لم؟ خصوصاً إنه كان مُشتَرىً ككعة شوكولا ـــكما وصف ماهرـــو هل تُسأل كعكة الشوكولا ؟

استقبلت نينا والدها و انغريد ،و كانت المقابلة فاترة على عكس توقُّعات الجميع الذين لم يتقابلوا منذ مايزيد عن الخمس سنوات، و قضيا معها عيد ميلادها و كانت المفاجأة هي أختها قد خرجت تتنفس الحياة خارج أحشاء انغريد، ساعتها صفعت نينا جبهتها،فقد نست تماماً أن تتابع الولادة في الرسائل و لكنها تذكرت أن تلك الولادة كانت لتحدث قبل خمس سنوات مما يعني أن حملاً جديداً قد حدث و هي لم تعرف عنه ،و على كل تظاهرت بالفرحة رغم إنها لسبب ما لم تكن سعيدة و لا حزينة أي إنها لم تهتم في الأساس ، بقيا لأيام و استغل(سعيد) الموقف أيما استغلال ؛ليحتضن كتفي نينا و يغدقها بالقبلات أمام أسرتها حتى إن انغريد قالت(لا عجب أن ألفارو كان يحترق غيظاً) فقاطعتها نينا(ألفارو معتوه مدعي) فضحكت انغريد ضحكة غريبة لم تفهم نينا مغزاها كأنما كانت تقول(هل يعقل أن يصف أحد معتوه بأنه معتوه)

انقضى الأسبوع على نينا سخيفاً؛فالجميع يتصرَّف بغباءٍ لا تفسير له؛ انغريد ووالدها كأنهما شخصان غريبان لايتوقفا عن النجوى و الطفلة تنظر إليها ببلاهة و سعيد أحمق متحرش و نينا تشتاق بحرقة إلى أعضائها التي تختطف ساعات من اليوم؛ لتزورها و تطفيء لواعج الاشتياق ،حتى انقضى الأسبوع السخيف و بعدها رجعت إلى أعضائها و لكن سعيد صار يتَتبَّعها و

يقسم لها بأنه عشقها بحق دموع العاشقين التي طهَّرته من الحماقة و من كل ما لا يروقها، أما هي فقد شعرت هي الأخرى بشعور غريب ناحية سعيد لم تستطع تفسيره فوعدته بأن تقابله و تحكي له عن الذبابة الفاتنة و بالفعل قابلته و سألته لم يصر على تتبعها؟ فأعاد غناء ترنيمة العشق، حاولت أن تحكي له حكاية عن الذبابة الفاتنة و الحكايات كانت تهرب منها و كان سعيد كثير الحركة و الظل حوله أكثر حركة منه، يلتفت سعيد مع كل سيارة مارة و يحك بشعره و يصفف ذقنه و يفرد ذراعيه و يضمها و يقترب و يبتعد من نينا التي تحاول تحديد أي عضو تحتاج منه و في النهاية قالت يائسة(يوماً ما كانت تحلق بين السحابات التي تتوسدها الملائكة،ذابت تلك السحابات تحت وطأة الفتنة لتسقط قطرات عظيمة فتصنع القطراتِ وحلاً يُغرِق أقدامَ المتأملين بهيامٍ في كل قطرة و هي تعكس ذاك الفتان الذي يحلق بين السحابات فيذيبهن و يزداد الوحل فيخجل المتأملين من وقوفهم ملوثين بسواد الطين في حضرة الفتان فيشقون أجسادهم و يمنحون العضو المختار الذي لم يطله الدنس لعل المطهر يرق لحالهم و يرسل عرابه ليسمو بهم)قاطعها سعيد و هو يضحك بهيستريا و يقول (لا أصدق! لا أصدق إنكِ بالنهاية تتكلمين عن ذبابة!إنها ذبابة نهايتها صفعة بحذاء نتنٍ) رفعت حاجبيها و قالت(لا ألومك انت محق،إنه العشق من جعلها مميزة،الحب هو من صنع فتنتها(لو كنت أنطق بألسنة الناس و الملائكة ،و لم تكن فيَّ المحبة فإنما أنا نحاس يطن أو صنج يرن،لو كانت لي النبوَّة و كنت أعلم جميع الأسرار و العلم كله حتى أنقل الجبال و لم تكن فيَّ المحبة فلست بشيء،لو بذلت جميع أموالي لإطعام المساكين و أسلمت جسدي لأحرق و لم تكن في المحبة فلا أنتفع عندها غيَّر من ملامح وجهه و فتح قميصه و قال (انتِ محقة،بشأن العشق ،إنه [1]شيئاً) ساحر،لو طلب معشوقي عضواً مني فجسدي بأكمله تحت أقدام وجودنا معاً)فأستخدمت سكين ماهر و شقت بطنه و هو ينظر إليها باستسلام، تدفقت الدماء من بطنه برائحةٍ قوية لشيء حامض كرائحة خل و صار يرتجف كالدجاجة المذبوحة، لمست نينا دمه كان ساخناً و

[1] من رسالة القديس بولس الأولى إلى أهل كورنتس

عيناه متحركتان بقوةٍ و يزمجر و يخُرِج من فمه لعاب بفقاعاتٍ مدماة شعرت نينا بالاشمئزاز الشديد لدى رؤيتها ، شعرت بالاشمئزاز من هذا الجسد الغريب الذي خُيِّلَ لها للحظة إن فيه شيء غريب يجذبها و لكن بعد أن فتحته شعرت بالخيبة ؛حتى أصابعه كانت قصيرة الأظافر مرتفعة الجلد الذي تم قضمه مئات المرات بل و صارت ترتجف من الاشمئزاز و تطمئن نفسها(ربما هم محقون و تنتابني لحظات من الجنون لتجعلني أقوم بفتح جسد لا حاجة لي بداخله،لا بأس هم محقون أنا مجنونة و المجنون لا يُعَاتَب)

و رحلت عنه و رجعت للمنزل بخفي حنين ....

مرّت الليال و كانت تقضي يومها تنظر إلى الأعضاء التي يتغيَّر لونها يومياً فتغني لهم اللحن الذي لا تتذكر أغنيته فينتعشوا و يعود لونهم الأصلي و يغار الغرباء فيزيدون ،من رائحتهم العفنة فتحزن الأعضاء و تنكمش و تزحف لتستقر عند جوانب الأناء طمعاً منها لأن تذيب الزجاج بينها و تنكفيء على بعضها ...

كانت نينا تقضي بالأيام دون أن تجوع أو ترى الشمس، إلا في الفترات الغير منتظمة التي كانت تخرج فيها لشراء احتياجتها ،و كان يرعبها التفكير بمصيرِ الأعضاء وحيدة مع الغرباء مجدداً، و في نفس الوقت تفكِّر إن كانت تلك الأعضاء تشعر بالرعب لغيابها عنها فترة ساعة أو يزيد إذاً ماذا ستفعل تلك الأعضاء في غيابها؛ باحثة عن الشيء الذي ينوح مُستَجْدياً ضمه إلى المجموعة ، ظلت نينا تغالب هذه الفكرة فترة طويلة و لكن بالنهاية وصلت هي و الفكرة إلى حل وسط؛ستؤجل تنفيذ الفكرة حتى تستطيع تأمين الأعضاء، أغلقت باب الحجرة على الأعضاء المُبَرَّدَة و خرجت لشراء الأقفال، سألها العامل إن كانت ترغب في المساعدة فأجابته(أريد قفل قوي لغرفة تحوي أشياء أود ابقائها آمنة) نظر إليها العامل مُتَفَحِّصَاً ثم قال بصوتٍ منخفض(هل تعرفين تركيب الأقفال؟)

(هل الأمر بهذ الصعوبة؟)

(لا أقصد و لكن إن كانت الغرفة تحوي شيئاً بتلك الأهمية بإمكاني أن أدلكِ إلى نجار محترف

يمكنه مساعدتكِ) أعطاها العامل رقم هاتف النجار و أوصاها بأن تذكر اسمه عند النجار، هاتفت النجار و أعطته العنوان فأخبرها إن دراجته البخارية مُعَطَّلَة فلتختر بين الانتظار أو أن تقله بنفسها ،ووصلت ورشته للاتفاق .

كانت ورشة النجار تقع على بعد ساعة و نصف من المتجر ،و كانت عبارة عن ملحق صغير ببيت يقع في بلدة ريفية غير مأهولة، عرفت نينا بعدها أن الأمر لم يحتج في الأساس إلى نجار و إن هذا النجار ليس أمهرهم ، و زيارته له نوع من الوساطة ليس إلا، قابلت نينا النجار كان أشقر الشعر، أخضر العينين، محروق الخدين،و كانت في عجلة شديدة من أمرها حتى إنها ساعدته في البحث عن معداته التي لم تعرف مكانها و هو ينظر إليها بدهشة و فتحت له باب السيارة ودفعته إلى داخلها وسط إلحاحها بأن يسرع ..

وصلا البيت و دلته على غرفة نومها كان بها سرير و خزانة ملابس مُرَتَّبَة بأقصى درجات الترتيب و لكن بابها مخلوع إثر ركلة ركلتها نينا حينما كانت تستحضر زيارة انغريد ووالدها في بالها ،و أريكة بلا ظهر و مبرد عريض يحوي الأعضاء...

كان النجار يتساءل أي شيء غالٍ أو ثمين في غرفة كتلك؟ حتى إنه كان ينتظر منها أن تدله إلى غرفة أخرى و ربما اصطحبته لتلك؛ ليصلح باب الخزانة ليس إلا و لكنها قالت(ها! أريد عمل باب قوي صعب الاختراق لتلك الغرفة) ما إن أنهت الجملة حتى سمعت ضحكة عاصم قادمة من الأسفل (ساذجة!هل تظنين إننا نقاتل لنستعيد أعضائنا!تعرفين إننا...)قاطعه صوت ممدوح الساخر(اصمت أيها الغبي! لنرَ إلى أي مدى سيوصلها مخاصمة السؤال)

و ماهر يسعل كأنما يُعلِن عن وجوده بطريقةٍ غير الكلام ،و كانت نينا قد وصلت إلى باب الغرفة حيث يقبع الغرباء، تنظر إلى عاصم بتفحُّص و هو مُنسَجِم مع القوم الآخرين و يسلك منهجهم ،و ماهر لا زال يتصرَّف كأنه دوق يقول(يا آنسة يؤرقني رؤية عينيكِ الجميلتين حائرتين و لكن انتِ لم تسألي أبداً و لذا لن يتكهن أحد بإجاباتٍ تتحيرين في الوصول إليها) تنظر نينا إلى ممدوح الذي لجم الألسنة بغيظٍ و تقول(أمسكت لساني طويلاً و لكنك انت من

دفعتني إلى تعذيبك،سأكرر على مسامعك الأنانية حكاية جيهان المهدية،على قرع الطبول المرتخية..) و تابعت الحكاية و ممدوح يدمع بيأسٍ و يقول (ليت أسفي بفائدة!) يضحك الحاج سلامة ضحكته العالية و هو ينظر إلى أنف ممدوح و هو يبكي كان ممدوح حينما يبكي يرتفع أنفه ليشبه أنف الخنزير آخذاً معه شفته العليا لتصنع تجعيدتين على جنبي أنفه فكان المنظر العام فتحتي أنف بين قوسين و كان هذا المشهد يثير ضحك الحاج سلامة بهيستريا ، و في الأعلى النجار(هيثم) يحاول اكتشاف الشيء الثمين الذي تحاول تلك الفتاة الضعيفة الوحيدة إخفائه لعل و عسى ؛فهو لا ينوي سرقته الآن أو فيم بعد و لكن ــفي نظره ــأن يعرف بوجوده و مكانه أفضل بألا يعرف ،فتَّش في الخزانة ، في أدراج تحت المرآة المكسورة لا شيء،لم يتبقَ إلا المبرد فضحك في باله ؛فهو ليس بهذا القدر من الجلافة و الفظاظة ؛ليتَطلَّع إلى مبردات الناس المغلقة ،خصوصاً ؛لتخوُّفه من أن يحتوى هذا المبرد على خمور مثلاً و حينها سيرتكب ذنباً بمساعدة سكيرة ...

كان قد انتهى من أخذ المقاسات و نينا غائبة فقرر أن يصلح لها باب الخزانة ريثما تعود فصار يدق دقات قطعت ضحكة الحاج سلامة بالأسفل، فانتبهت نينا و صعدت و اعتذرت للرجل على غيابها ،و اتفقت معه على عمل باب من نوع خاص و سيستخدم فيه الصلب ،كان النجار في أعلى درجات حماسته؛ فسوقه كان نائماً لفترة و نينا أيقظته حتى إنه في طريق عودته إلى المنزل كان يتخيَّل نقود نينا و هي تتحول إلى سعادة في أعين عبده الحداد الذي سيشارك في العمل و تتحوَّل إلى طعام في ثلاجة زوجته الفارغة و دراجة؛ ليسعد بها عمر طفله...

رجعا الورشة مرة ثانية ليكمل النجار(الشغل المستعجل)رغم إنه لم يكن في جدوله الكثير و لكن لفظة المستعجل كانت تمنح الأشياء ثمناً مُختَلِفَاً ...

كانت نينا تستعجل الثوانِ؛ فهي لا تطيق أن تتألم الأعضاء و تنكمش أجزائها؛ تَضَرُّراً من الغرباء و لو ثانية كانت تستطيع تقليصها رغم إنكار الغرباء إنهم في حاجة الأعضاء ،و لكنها ترى بأم عينها الأعضاء و هي مُتَضَرِّرَة منهم و تتنفس بصوتِ مُتَحَشرِح،و ما إن دخلا الورشة

حتى وجدا زوجة النجار بإنتظارهما و كانت هي ذاتها الفتاة التي لم تتوقع نينا أن تقابلها ثانية(سلوى) كانت سلوى قد أصبحت امرأة كاملة يخطو خلفها طفل ذو ثلاثِ سنوات على أقصى تقدير و يتراقص الظل خلفهما مباشرة على شكل امرأة تصلي...

لم تندهش نينا بمقابلة سلوى ؛إذ كانت مشغولة تراقب عيون الطفل التي تنكر الظل رغم إن جميع الثقافات و الحكايات تزعم إن الأطفال يستطيعون رؤية الظلال و الأطياف إلا إنها رجعت إلى تفسيرها الأول بأنها هي فقط المعنية بالظل ، احتضنتها سلوى بشوقٍ و قلدتها نينا ؛فمنذ أن قابلت نينا سلوى كانت نينا تلمح فيها شيئاً غير واضح و لكنه متعلق بالإيمان ،كانت تلاحظه في عينيها في كلامها في أحبالها الصوتية و هي تهز الشامة في رقبتها و هي تتحدث كان شيئاً فيها ينطق كلمة الإيمان بطريقة تُطَمْئِن قلب نينا...

ألحَت سلوى على نينا بأن تصعد معها شقتها ريثما ينتهي زوجها هيثم من إتمام الباب الذي استغرق صناعته الليل بطوله و قضته نينا في حكايات سلوى على مذاق الكعك بالشاي، كانت سلوى تنظر إلى نينا و كأنها هي الملاك كتَّاب وحي الرب لعبيده، و كانت نينا تشعر بالخجل على وعدها لسلوى الذي نسته بمجرد خروجها من منزلهم منذ ما يزيد عن الخمس سنوات كانت تفكر مالذي ستقوله، فأمسكت سلوى بطفلها و ابتسمت تنظر إلى نينا و قالت(انظري!هو ابن قوتكِ ،بفضلكِ بنيت حياتي كما لم أتمنَ من قبل ،تتذكرين حينما أمرتيني أن أكن قوية بانتظاركِ ؟ كنت أعرف إنكِ لن تأتي أبداً؛ لتخلصيني مُمْسِكَة بكفي ،فهمت إنك لن تعودي ؛فأن أكن قوية تعني ألا أنتظر التحرير من أحد، كنت أفهم ما قصدتيه يومها بالتحديد و هو ما تأكدت منه بعد مرور الأيام، بفضلكِ رجعت إلى مدرستي ثانية، فشلت في أن أصبح طبيبة فدرست التمريض في أحد المعاهد،كنت يومياً أعود إلى منزلي و أتجرع من سموم تسلُّط زوجة أخي الذي كان يعمل في مصنع للصابون و يقضي فيه ستة أيام و يعود إلى المنزل في السابع و لا يتحمل شكاوٍ أو مشاكل ؛لأتلوها على مسامعه عن زوجته ،و في الحقيقة لم أكن أقدر أصلاً على البوح بشكواي ؛فأبي و أمي كانا يخرساني إن حاولت

التحدُّث،بأبشع الطرق إهانة ، يقولون إن أخي لديه ستة أيام جحيمية لا تجعليهم سبعة ،و في الحقيقة كان أبوي يعرفان إننا نعاني سبعة أيام جحيمية؛ بسبب زوجة أخي التي كانت ترفض حتى أن تفتح شقتها في يوم أجازة أخي و تجبر الجميع على تحمُّل رغباتها في الاشراف على معيشتنا، كنت في كل لحظة أتذكر قولكِ (كوني قوية) و لكنني كنت أحياناً أفقد الاتجاه، و في أحد الأيام العادية التي كانت تكلَّلها المشادات بيني و بين تلك المرأة الغبية كنت قد اشتريت فستاناً جديداً و عزمت على حضور حفلة ولادة صديقتي،سمعت تلك المرأة تهمز لأبي قائلة(لا تسمح لها بالخروج بهذا الفستان ثم تبكي بعد ذلك حينما تأتيكِ باكية تمثِّل إنه تم اغتصابها) حينها منعني أبي بالفعل من الرحيل فتعاركت معها و نعتتني بالزانية، قضيت ليلتي على سطح المنزل أبكي؛ محاولة استحضار روحكِ...لا تضحكي ،كنت موقنة إنكِ ملاكي المُحَرِّر.....سمعتها تتحدث مع هيثم في الهاتف) اندهشت نينا فأكملت سلوى(نعم هيثم زوجي! كان عشيقها و لكنها لم تكن عشيقته أبداً، هو أخبرني و أنا أصدقه،كنت أعرف إنها تفعل شيئاً خاطئاً و مُشِيناً منذ اختفى قرطي و لكنني لم أعرف بالتحديد ماهو و كان ينقصني الدليل ،أخبرت أبويي إن شيء ما غير صحيح يحدث و كانت النتيجة إنه تم وصفي بالظالمة الحقود هل تصدقين إنهم قالوا لي ليس لأنكِ خاطئة فكلهن خاطئاتِ،بربكِ يا نينا انتِ الوحيدة التي رأت بأم عينها إنني كنت ضحية) كانت الفتاة ترفع صوتها بانفعال و عينيها تدمعا و نينا تنظر بقلقٍ إلى زوجها في ورشته بالأسفل مشغول بالنشر و القطع فجففت دمعها بابتسامةٍ و تابعت(لاتقلقي لن يسمع حتى لو تحدثت بمكبر صوت،و الله لولا إنكِ أخبرتي الجميع يوم كنتِ بمنزلنا إنني كنت ضحية لكنت كالجميع أصدق إنني خاطئة،انتِ كنتِ دليلاً لي قبل أن تكوني لهم.....

بعد تلك الليلة التي حدثت فيها المكالمة أصبحت يومياً تخرج في الثامنة بحجة توصيل ابنها للمدرسة ثم تختفي أحياناً لساعة أو أكثر لتعود للمنزل تتصرف بوقاحة طوال اليوم و الغريب إنها صارت في تلك الأيام تعود إلى شقتها كثيراً على غير عادتها وتلك المرة تصرفت بحنكة بعيداً

عن تهديد أخي بالقتل و ذل زوجته لي و غضب أبويي الغير مُبَرَّر عني ،كان وجودي في المنزل هو الذي يعرقل مقابلات هيثم و زوجة أخي ،كان أبواي يخلدان للفراش مبكراً و من يتبقى أنا و هو ما سمعته يوم حفلة ولادة صديقتي من فوق سطح المنزل في مكالمة هاتفية فخرجت و تركت لها المنزل؛ لتتم مقابلاتها و تزداد عشقاً لهيثم ؛فالعشق من هذا النوع هو أقوى عقاب لها ،أما بالنسبة لأسرتي فموقفهم كمغفلين هو العقاب الأمثل ،أما أنا فعملت كفتاة هوى،كعاهرة كما وصفني الجميع؛ لأجمع المال و أشتري بكارة صينية الصنع سمعت عنها ، و أعود بكراً لأتزوج و أغرب عن حياتهم جميعاً...

كنت أعود إلى منزلي و أتظاهر بعدم رؤيتي هيثم و هو يقفز من نافذة المنزل الخلفية و لكنه هو من رآني و عشقني كنت أعجبه و يعجبني، كان هيثم يعرف إنني ظُلِمت و لذا أتصرف بشكلٍ غريب لا يفهمه ،أنا تظاهرت إنني لا أهتم به حتى اليوم الذي جعلني أعشقه فعلاً كان يوماً رائعاً كان يحمل في كلتا يديه علبتين من المخمل الأحمر و قال(العلبة الأولى تحمل الأسف و الثانية تحمل الرجاء) فتحت الأولى فوجدت قرطي زهر المستنقعات رابضاً فيها قال لي(غبي من لا يستغل امرأة زانية ،عرفت إنه لكِ و لذا أبقيت عليه لحتى إرجاعه إليكِ، ارتديه اليوم) و العلبة الأخرى كان بها خاتم خطبة و قال(ستتزوجيني حتى لو لم توافقي انتِ)و بالفعل رجعت إلى المنزل و القرط في أذنيي و شاهدت في أعين منال نظرة لا يمكن أن تُنسَى، كانت كأنما تم مص دمها بخرطوم و كان هيثم قد ترك بنطاله أسفل سرير أخي و تحدَّث لأخي و وصف له أماكن الشامات في جسد زوجته و لا أعرف ما حدث بعدها، و أنا تزوجت هيثم و رحلنا إلى هنا، يالله! كانت تعشق فضحي أمام الجميع حتى إنها أخبرت هيثم عن حكاية اغتصابي و لكنني لم أخدعه نحن متعادلان ، اتفقنا على ترك البلدة بالماضي و أقسمنا على ولادتنا في يوم جديد بعيد عن البلدة القديمة) ضحكت نينا و قالت(هنيئاً انتِ قوية) (بفضلكِ) قضت نينا الليلة مع سلوى و زوجها و الحب بينهما رأته بعينيها يقتل كل ما عانته و عاناه زوجها لم تكن أبداً لتصدق لفظ غفران أو نسيان لو لم تره الآن ...

كانت سلوى تحاول انتزاع أية معلومات عن نينا الجديدة التي كانت تفضِّل الاحتفاظ بم في عقلها فيه ،و كأن سلوى كانت مصممة داخل عقلها على أن نينا ليست بشراً عادياً فكانت تصر على سؤالها لتخرج منها بأية حكاية حقيقية أو خبرة أو تجربة فسألتها (مالذي تفعلينه يا نينا)

(لا شيء أنا فقط أبحث)

(عن ماذا ؟)

(لا أعرف،أبحث عنه منذ أن كنت في اسبانيا،تقلَّبت في وظائف عديدة و سكنت بلداتِ عديدة كنت أشعر إنني أقترب منه و ما إن أصل حتى أبدأ البحث من البداية ،الآن أنا في البداية أنا أبأسهن بلا عمل و أشعر بالملل و الكسل)قاطعتها سلوى(اسمعي أنا أعرف دوائكِ،انتِ جميلة، بشرتكِ مضيئة هناك موقع على الانترنت لبث المقاطع المصورة، بإمكانكِ تصوير مقاطع لكِ و بثها على الانترنت، تحدَّثي في أية موضوع ؛الموضة، الجمال ، الطهو ،انتقدي أحدهم، اصنعي الموسيقى ،صدقيني ستنتشر تلك المقاطع أسرع من البرق سيجدك من تبحثين عنه و ستكونين قد جنيتِ مالاً من تلك المقاطع) نظرت إليها نينا مندهشة؛ فتلك الريفية التي تسكن في بلدة منعزلة تطبق التكنولوجيا التي لا تعرف عنها ،أين أصبحت هي من العالم ،لا تعرف عنه شيء و هي التي كانت أول مُطَبِّقِين الصيحات، انتهت الزيارة وودَّعت نينا سلوى رغم إنها لم تودعها في بالها؛ إذ بقيت تفكر في كلامها عن التكنولوجيا التي تطوَّرت بشكلٍ غريب في الأعوام الفائتة تفكر في الظل الخبيث الذي شغلها عن رؤية العالم و لازال يتراقص مُتَبَجِّحَاً بوضوح تصيح فيه(ألم أطيعك عندما اختفيت في رئة ماهر و عين سلامة و بقية الأعضاء؟ ألم استجب لم طلبته؟ لم تصر على التصرُّف بغموضٍ مستفز؟ لم لازال تتبعني كاملاً، فلتتحدث مباشرة ،أو تذهب إلى الجحيم)كان الظل يسمع توبيخها و هو يتراقص ليشكل لساناً ضخماً فهزت نينا رأسها بيأسٍ.و قضت أياماً تفكر في الأمر حتى استجابت لنصيحة سلوى و ذهبت إلى أحد مقاهي الانترنت ...

كان المكان يعج بالذكور بأعمارهم فجلست نينا بانتظار أن يخلُ أحد الحواسيب من مستخدمه و بينما كانت تتمشى في المكان توقَّفت إلى جوار صبي صغير يعترض صارخاً بلهجةٍ ليست غريبة على أذن نينا فجلست إلى جواره تتفحصه و هو يلعب أحد ألعاب الفيديو ببشرة سمراء و عينين زرقاوتين و شعر ناعم كستنائي اللون مدرج في خصلات فاتحة النهايات و كانت ذراعه السمراء ملوَّنة بالأحمر الداكن حتى مرفقه الداكن،لاحظ الصبي أنها تراقبه، فقال(هل تعجبك اللعبة؟)أومأت نينا برأسها و انتهت ساعة الطفل التي حجزها فطلبت منه نينا البقاء ؛لمساعدتها ووافق الطفل ،سألته عن الموقع الذي يبث المقاطع المصورة فساعدها على الوصول إليه ،و كان يتحدَّث بثقة و نينا تُمعِن النظر في عينيه الصغيرتين(بإمكانكِ مشاهدة أي موضوع مُصَوَّر هنا بالبحث عنه و بإمكانك أيضاً بثَّ مقاطع مصورة ،فقط تحتاجين آلة تصوير أو هاتف مزود بكاميرا)

قاطعته نينا (هناك نغمة في رأسي أود لو أستطع عزفها ؛لذا أريد مقاطع لتعليم العزف على الغيتار مثلاً)

(هل تبحثين عن أغنية؟) أومأت برأسها مُوَافِقَة فقال(بإمكانكِ المحاولة..) قاطع حديثهما والد الطفل حينما شدَّه بعنفٍ من ذراعه المُلوَّنَة و كان هو ذاته جار نينا الغريب الذي لم تره منذ أن ذهبت للتدريس في مدرسة نرجس الشماطلي ،صاح في الطفل مُؤنِباً(سمحت لك بساعةٍ واحدة لم تأخرت؟ ألم أنبه عليك بشأنِ الثرثرة) ابتسمت له نينا و لكنه بادلها نظرة واجمة و سحب الصبي و رحلا ،كانت نينا تغالب تفكير غبي يدور في رأسها عن كونها قد أُعجِبَت للتو بطفلٍ تبرر لنفسها ربما مشاعر أمومة تنضح عليها ، تتذكر احساس مشابه انتابها حينما كانت في حضرة ابن سلوى ،ربما لو كانت متزوجة لكان طفلها يكبره بأعوامٍ ،قطع تفكيرها صوت السلسلة التعليمية و هي تبدأ في المقطع، كانت قد حاولت تعلم العزف و هي في الخامسة عشر لتجاري ألفارو و لكنها لم تُكمِل التعلم، طلبت نينا من صاحب المكان أن يسجل لها تلك المقاطع على اسطوانات و اشترتهم و خرجت ؛لتشتري آلة تصوير، فوجئت نينا من تلك

الطفرة التكنولوجية التي حدثت في الأعوام التسعة بعد الألفية الجديدة لم تتخيل ما حكت عنه سلوى حتى رأته: من هواتف نقالة مزودة بكاميرات و أجهزة لوحية تعمل باللمس فاشترت نينا آلة تصوير جيدة ؛ففكرة أن تشتري هاتف نقال كانت ترعبها بقدر ما يرعبها التفكير بأن لا أحد سوف يتصل بها، جلست فوق المبرد المحتوي على الأعضاء و أغلقت الباب الجديد و نظرت إلى آلة التصوير فتذكرت يوم اشترت آلة التصوير في السنة الأولى من القرن الجديد كانت طفرة تكنولوجية و كانت ذاكرة الكاميرا صغيرة محمولة يمكن تشغيلها على الحاسوب تذكرت إنها اشترتها لذات حفلة ألفارو التى سكبت فيها زجاجة العطر و ليزا صورت المشهد بأكمله على تلك الكاميرا و بعدها اختفت الذاكرة من الكاميرا تتذكر نينا حينما كانت تبحث عنها مستميتة لتعيد مشاهدة حفلة ألفارو فتذكرها انغريد إنها يوماً كانت مخمورة و لابد إنها أضاعتها و يضحك الاثنان بعد وعد انغريد بألا تخبر أباها عن سكرها ،تتذكر نينا إنها اشترت ذاكرة أخرى و تلك التي وجدتها بداخل المقراب ،كانت ليزا تحذرها أن شخصاً ما يسرق ذاكرة الكاميرا ليشي بها و لكن نينا كانت موقنة أن لا أعداء لديها تخرج من التفكير في الماضي لتفكر في التجربة الأولى ماذا ستكون مالمفترض بها أن تقوله أمام الجميع ،عندها اخترق الباب و هو مغلق ممدوح وجلس على أرضية المكان مُشَبِكاً أصابعه خلف رأسه ثم قال(سمعت أن فيلماً يحاك هنا،يالله! لاتعرفين كم أحب الأفلام ،تبعه ماهر وقف مُبتَسِماً بيدينِ مربعتين يبرز منهما ابهامه يشير إلى نينا بأن تسير جيداً، ثم في لحظات كان الجميع خلف ماهر و ممدوح صامتين بابتسامة،و الحاج سلامة يبتسم فاغراً ثغره بسخافةٍ أما نينا فنظرت إلى مبرد الأعضاء بيأسٍ و تذكرت اللحن الذي لا تعرف له كلمات فركبت عليه حروفاً لا تُعقَل بأي من لغاتِ الخلق و أنشدته في مقطع غنائي أمام الغرباء وعيناها تدمع بيأسٍ يبرره دخول الغرباء عبر الباب الذي صنعته خصيصاً ؛لمنعهم، قاطع غنائها ممدوح و هو يقول (انتظري أعرف أغنية بتلك اللحن)ثم ضحك بصوتٍ عالٍ و تحدث بصوتٍ متهدج و هو يمسح دمعه مُحَاوِلاً الابتسام(لا لا لا أُصدِّق إنكِ أبكيتنا على أغنية كتلك؟نبكي على أغنية شعبية؟)يكمل ممدوح مُحاوِلاً استفزازها

لسؤاله عن الأغنية (و لكن ربما تغييرك للحنها هو الذي جعلها تتخذ مساراً آخر في نفوسنا) عندها أغلقت نينا آلة التصوير و تجاهلت الجميع الذين نظروا لممدوح بغيظٍ و دفعوه ليعودوا جميعاً إلى غرفتهم بالأسفل أما نينا فظلت تعيد المقطع مراراً؛ لتطرد عن بالها إنها كانت من الممكن بكل بساطة أن تسأل ممدوح عن الأغنية و لكنها لا يمكن أن تُذَل تحت أقدام بائس فظ كهذا، ما يدريها ربما هو لا يعرف الإجابة و كان فقط يريد إذلالها، فقررت نينا بث المقطع عبر شبكة الانترنت، لم يمر الكثير من الأيام حتى انتشر المقطع كالنار في الهشيم دون أن تدري نينا ،كان الجميع يتعجب تلك اللغة التي تتحدث بها، يسأل الجميع عن اسمها أو فعلتها أو مكانها أو من أين أتت بلغةٍ لم يتحدث بها حتى الآن غيرها في الأرض، كان الجميع يتحدث عن ألمه لرؤية تلك العينين البريئتين تدمعا...

لمس المقطع قلوب الجميع حتى إنها سُئِلَت عن بقية المقطع أثناء شرائها البازلاء من المتجر و رغم إنها لم تكن تنتوي أن تكمل هذا المقطع فحديث الناس عنه و شهرتها و شهرة المقطع أطمع الجميع حتى نينا بتكملته فقررت نينا شراء الغيتار ، أرسلت إلى والدها تطلب المال، كانت نينا تعرف متجر مُوسِيقى تراه في طريقها نحو المدينة، مُنعَزِل بين مُفتَرَق طرق ، لم يكن مَبْنِيٍ في بلدة أو مدينة، حتى ليفكر كل من يره أن متجر في أرض على طريق كهذا كان من الأفضل أن يكن متجر مأكولات أو حتى لوازم للسيارات أو أي شيء ضروري لعابري السبيل ،و لكن أليس الأشخاص المزاجيين عاشقي الموسيقى أيضاً يعبرون السبل؟ ماذا إن ألحَّ عليهم العزف و نكزتهم النغمات بين قطران الأرصفة ؟

نزلت نينا من سيارتها و كانت الشمس على وشك الغروب و الهواء من حولها دافيء يحمل أتربة رياح الخماسين، كانت نينا تعلم أن المكان يحكي حكاية لأذنها و هي الصماء عن صوته ، و فقط يسمع تلك الحكاية الهواء الدافيء الذي يظن نفسه أذكى فيحاول أن يُسمِعها الحكاية فينكزها و يزيح الشال عن رقبتها و يُبَعْثِر شعرها الذهبي ،و هي كانت لا تقاومه تظنه يضمها مُشفِقَاً عليها من الظل الذي يغيظها ،عاجزاً عن طرده من ذراته فيرق الهواء بين محاولاته

للحكاية ويحتضنها و هي الأخرى تجيب بضمةٍ أقوى؛ يحاول الاثنان أن تكن ضمتهما أقوى من بعضهما،تجلس على المقعد الأسمنتي امرأة شابة تعقد وشاحاً أسوداً على رأسها من الخلف و ترتدي فستاناً مفتوح من الرقبة و يختلط مظهرها بين راهبة و ساحرة ؛لها نظرة توحي رمشة منها بالشر و الأخرى بالأمان المطلق، كانت تحدِّق النظر في نينا التي كانت تحاول أن تتأكد إن الظل اختفى؛ فآخر رؤياها له كانت بجوار السيارة ، دخلت نينا المتجر و كان فارغاً من الزبائن عدا هي و رجل أعمى كان يعزف على بيانو لحناً تتذكر إنها سمعته في فيلم كازابلانكا تفكر ربما هي أغنية (و مرت الأيام) التي كان يغنيها (سام لألسا و ريك) و لكنها لا تستطيع الجزم كلياً؛ فجميع ألحان البيانو كانت بالنسبة لها لحناً واحداً حتى و إن كانت قد شاهدت هذا الفيلم بألحانه العديد من المرات فقط ؛لتتوصل إلى حقيقة أي الرجلين قد عشقت إلسا بحق ،و على كل لم تفكر يوماً في تمييز ألحان البيانو من بعضها البعض كما لم تستطع تمييز أي غيتار ينبغي لها أن تشترِ فأختارت واحد من بين مجموعة بلا أسباب، يومها كانت تعرف أن ما يربطها بالمكان ليس فقط شراء آلة موسيقية ،كانت تعرف إنها حتماً ستعود مرة ثانية ،عرفت ذلك منذ اختفاء الظل بالمكان رغم إنها لم تجزم يومها إن كان الظل قد اختفى نهائياً أم إن ألوان الهواء المُتَقَلِّبَة و استغاثات الطفل الباكي التي التصقت بأذنيها منذ خرجت من باب المتجر هي من شغلتها عن البحث مجدداً عن الظل، اشترت الغيتار يومها و تعلَّمت العزف عبر المقاطع المصورة و لكن المقاطع وحدها ما كانت لتعلمها لولا أن لديها دافع قوي أقوي من الدافع الذي بسببه اشترت الغيتار و هو السهو عن صوت الطفل المستغيث الذي كان يزداد يوماً تلو الآخر ،يتحدَّث أولاً بهمهماتٍ طفولية لا تسمعها ثم يستجدي و يستغيث يصرخ و ينتحب فيصاب صوته الطفولي بالبحة فيغالب تلك البحة و يستمر في الصراخ لا تسمع منه سوى كلمة أُم و لا) غير هاتان الكلمتان لا تستطيع التفسير، ترفع صوت الموسيقى لتشغلها فيرتفع الصوت مع الموسيقى و يعود الظل؛ ليتحرك ناحية الصوت و هي تحاول تصوير المقاطع في أحد الحدائق وقت الشروق فيظهر فيها هي و هي تحاول العزف و لكنها تنتهي إلى عزف سيء

لشخص مُشَتَّت الفِكر و لا يظهر في المقطع لا الظل و هو يتراقص و لا صوت الطفل و هو يستجدي...

تعود مرة أخرى إلى متجر الآلات الموسيقية ؛لتتبع صوت الطفل الباكي الذي تلبَّسها من زيارة هذا المكان ،كانت الريح عاتية يومها و الجو عاصف كأنما الشتاء يُنَازِع رافضاً الانصياع لقوانين الطبيعة، نزلت نينا من سيارتها لتَتَبَّع صوت الطفل الذي أصبح أكثر وضوحاً ،مشت حيث الصوت الذي يفتك بأقسى القلوب يرتفع، فلمحت طفلاً صغيراً يرتدي بنطالاً أحمر محلوق الرأس تماماً ،مشت خلفه حتى اختفى وراء سيارة قديمة مهجورة فتسلَّلت لتصل إلى خلف السيارة و هناك رأت امرأة جالسة تفترش الأرض و تستند بظهرها على السيارة رأتها ساهمة إلى مكان بعيد أبعد من تصورات نينا عنها، سألتها نينا عن الطفل الذي مرَّ الآن فلم تجبها، أصرت نينا على السؤال و المرأة صامتة جامدة فصاحت بها نينا(ءانت صماء أين الطفل) مررت المرأة كفها أسفل السيارة و أخرجت نصف زجاجة مكسور و غرسته في بطنها و مرَّرته لتصنع فتحة عرضية تدفقت منها الدماء كالشلال و ملأت المكان ،كانت الدماء زلقة لزجة تتدحرج و لا تلتصق كالزئبق، حتى إن نينا جربت لمسها فتدحرجت من أصابعها كأنها مادة صلبة بشكلٍ سائل، ربما أشبه بدماء ماهر و هي تتدحرج على الرئة دون أن تلتصق بها ،صارت المرأة تحدق في نينا و هي في صدمتها من شكل الدماء و لونها رغم إنها رأت الدماء تخرج من ماهر و سلامة و ممدوح و حتى عاصم الذي انزلقت في دمائه و سعيد و لكنها لم تكن تشعر إنها دماء حقيقية كتلك الدماء التي تزحلقت فيها و سقطت على وجهها ،حاولت الهروب و لكن المرأة أمسكت بقدميها سألتها نينا (لا تكوني قاسية أخبريني عن مكان الطفل) أمسكت المرأة بالزجاجة و قطعت مكاناً فوق المكان الأول أمسكت برأس نينا و حاولت أن تحشره في الفتحة التي صنعتها فدخلت نينا بدماغها كان المكان بداخل بطنها شديد الظلام و له رائحة دم قوية تشبه رائحة صدأ الحديد هي ذاتها الرائحة التي كانت تتخيلها تخرج من الناس بصحبةِ الديدان و هي تخرج من أنوفهم و هم يتعفنون و هم صاحيين في خيالها ،ففقدت نينا

الوعي، ثم استيقظت على نكزات المرأة الشابة التي تعقد الوشاح الأسود على رأسها كانت تلك المرأة جالسة كما رأتها نينا في المرة الفائتة...

أيقظت نينا واصطحبتها دون كلام نحو سيارتها و فتحت الباب و أجلست نينا و جلست في المقعد الجانبي سألتها (هل تحبين الموسيقى؟)

(نوعاً ما)ردت نينا

فرفعت المرأة كفها بحزم و قالت(ستعزفين لي شيئاً)

(أنا لست عازفة ،أنا أبحث عن أغنية)

(الفنانون دائماً يقولون نفس الشيء ،يفعلون أشياء غريبة ،!هم غرباء الأطوار)قالت المرأة كأنها تتحدث إلى نفسها (بالله مالذي يمليكم فعل الأشياء الغريبة؟)

(ماذا تقصدين؟)

(هل تتجاهلين نومتك خلف السيارة المهجورة في العاصفة؟)

(كنت أحاول تخليص الطفل؛ هو من طلب مني)

(أي طفل؟)

(لا أعرف إلى أي مدى ستصل ظنونك بي ،لقد حاولت الصراخ لانقاذها و هي تشق بطنها و لكنني لم أستطع ؛شيئاً ما أجبرني على المشاهدة و الصمت ،الطفل صرخ و اختفى خلف أمه التي كانت تنتحر ببقر بطنها و الله لو استطعت انقاذ أمه لما تقاعست و لكن صوته لازال يستجدي في أذني لا استطيع الخلاص منه) أخرجت المرأة اصبعها من فمها و قالت بابتسامة ساخرة(قابلتِ الأم الطفل!إنها عفريت المكان)

(و لكن كيف يصبح العفريت عفريتاً)

(يكفي أن تمتلك مبدأ و تستميت دفاعاً عنه،هي تمتلك مبدأ(أي شيء أبشع من تحمل أعسار تسعون طمث و ألا أقدر على الإنجاب في النهاية)،هي و الطفل نفس الشخص، يقال إنها كانت امرأة أفرطت في التمني حتى أصبحت هي أمنية نفسها! صارت طفلاً و امرأة بنفس

الوقت تستمر في البكاء على هيئة الطفل فعندما تصل إلى تلك الهيئة تتناسى تماماً إنها امرأة عاقلة و تنتحب الضياع كطفل ما إلى أن تصل إلى هيئة المرأة و حتى تنتحب عدم قدرتها على صنع طفل)

(و ماذنبي ؟ لم تلاحقني ؟)

(هي لا تلاحقكِ،تقوم بعرض مختلف لأشخاص تنتقيهم ،عرض لأم و طفل،فقط أخبريها إنك تكرهي الأطفال حقاً و تشمئزين منهم حتى توقف التمثيلية)

(صاحت نينا أنا اشمئز من الأطفال) فخفت صوت الطفل حتى اختفى تماماً ،ساد الصمت لبرهة ثم قطعته نينا(مسكينة تلك العفريت)صاحت المرأة بضحك(بربكِ هل تصدقينها ؟ أخدعتك العفريت ؟لا مسكين في العفاريت)

(و لم تخدعني و هي لا تعرفني ؟)

(بربكِ! تبني العفاريت أجسادهم من خداع المغفلين،لم ينم لساني في الفم منذ أن أخبرتك أن لا مسكين في العفاريت!)

(و ما ضرني ؟)

(تعرضتِ للخداع يا حلوة)

(و كيف عرفت عن أخلاقهم ؟)لاحظت نينا إنها رغماً عنها تخالف وعدها بخصام السؤال مع تلك المرأة؛فعلى ما يبدو هي تعرف الكثير و ربما استدراجها في الأسئلة قد يوقع نينا في مواجهة بعض الإجابات و لذا استمرت في الاستفسارات

و كانت المرأة مستمتعة بالإدلاء بالإجابات(أعرف الكثير من ألاعيب العفاريت في تلك البقعة رأيت الكثير منهم)

(و هل تعرضتِ للخداع بقدر تلك المرات ؟)

ضحكت و قالت(بربك،هي مرة وحيدة و بعدها عقدت ميثاقاً بأن أسمع حكاياهم الحقيقية في مقابل ألا يتم جرجرتي في ألاعيبهم)

(ومالدليل على أن حكاياتهم ليست إلا محض خداع)
(لا دليل) سكتت قليلاً ،ثم قالت(أو بامكانكِ القول إن هناك أشخاص ليس مُقْدَّر لهم أن يتم خداعهم)
(هذا المكان غريب بحق!هل تعملين هنا) هزت المرأة رأسها نافية (إذاً والدتكِ تلك القعيدة صاحبة المكان؟)
(صاحب المكان لا يأتِ إلى هنا مطلقاً،تلك المرأة القعيدة بائعة فقط)
(و ماذا عن الأعمى الذي يعزف بالبيانو، أظنه صاحب المكان،أتساءل كيف يستطيع العزف بتلك المهارة دون أن يرى)
ضحكت المرأة و تحشرجت فأخذت تسعل(أبونا حسين!لا هو ليس صاحب المكان و ليس أحد الزبائن! هو عازف يأتِ فقط للعزف يومياً،هو سلوى العفريت)خفضت صوتها ووضعت يدها على فمها و قالت(بالمناسبة!هو ليس أعمى،أنا لا أدري لم يخدع الجميع و يتصرف على إنه أعمى؛ رأيته بأم عيني يقرأ مجلة ،ألم أقل لكِ بعض الأشخاص ليس مقدر لهم أن ينخدعوا)
(لابد إنك تحفظين العديد من الحكايا)أومأت المرأة برأسها فتابعت نينا(لتعاستي لا أملك سوى حكاية وحيدة أو يمكنك القول إنها عنوان لحكاية و لا أعرف البقية مثلها مثل اللحن الذي أحفظه و لا أعرف الكلمات)
كانت المرأة جالسة باسترخاء على المقعد في سيارة نينا كأنها لن تنزل للأبد و كانت نينا تتحدث معها كما لم تتحدث مع أحد من قبل، أخبرتها المرأة عن اسمها (ياسمين النديمة) و كان لاسمها قصة وعدتها أن تحكيها لها كما حكت لها نينا عن أشياء كثيرة و سألتها(إن كنت ترين العفاريت و تعقدين المواثيق معهم كيف لم تري المرأة الطفل تستدرجني)
(العفاريت تظهر لي؛ وِفقاً لمزاجها الشخصي)
قالت نينا(عندما كنت طفلة كنت أعتقد أن حياتي ستنقلب رأساً على عقب إن مرة صادفت عفريتاً،سيعاقبني على رؤيته سيتتبعني و لن أستطع الخلاص منه؛ فهو كيان يصعب السيطرة

عليه)حكت نينا أسفل ذقنها ثم تابعت(أفكر بم إنك تعرفين العديد من الحكايات ربما !ربما قد صادفتكِ مثلاً حكاية عن ذبابة فاتنة) سعلت ياسمين؛ لتضبط حشرجة صوتها الذى كان يؤكد لجميع السامعين إنها قضت فترة لايُستهَان بها صامتة و يؤكد على ذلك تجعيدة كانت في جانب فمها من ناحية اليسار و قالت ياسمين(ستبقى الذبابة الفاتنة ذبابة! حتى و إن امتلكت أجنحة ذهبية فستبقى تتبرز على أفخم الزهريات ،و الذنب ليس ذنبها إن فتنت، إن الذنب ذنب المفتون بها) ظلت الفتاتان تتحدثا طيلة النهار و تناولتا العشاء سوياً وافترقا في آخر اليوم؛ ليلتقيا في اليوم التالي بلا موعد سابق في نفس المكان، تعددت اللقاءات بين الاثنتين و نست نينا أمر المقاطع المصورة ؛فالنديمة كانت تملك من الإجابات ما سيفوق الإجابات التي تتمنى الحصول عليها من المقاطع ؛فمنذ أن التقت نينا بياسمين النديمة و ياسمين تضع الحلول لنينا كانت لتفعل المستحيل لو طلبته نينا حتى إن نينا فكرت أن تسألها عن الأعضاء و لكنها لسبب ما تراجعت ،شعرت نينا بانجذابٍ لم تشعر مثله من قبل لياسمين ،نفت عن رأسها خاطر إنها قد تكون مثلية الهوى و هو ما يبرر عدم انجذابها لشخص من قبل و لكنها لم تستطع مقاومة انجذابها لياسمين النديمة التي كانت تبادلها نفس الشعور، عاشت نينا و ياسمين شهرين دون أن تتجرأا على الاعتراف بانجذابهما الشديد لبعضهما أو إنكاره ،و نينا تفكر يومياً بالاعتراف بقصة الأعضاء لياسمين النديمة ربما لديها الحل،و في أحد أيام الصيف الحارة كانت نينا تكتب بريداً إلى والدها و إنغريد اللذان لم تسمع منهما منذ فترة، كان الجو شديد الحرارة و غائم بسحاباتٍ جعل نينا ترجَّح إنها قادمة من قعر بركان غاضب نزلت نينا لتسمع الموسيقى على ضفاف النيل ،عبرت غرفة الغرباء بل و تفحصت لعل أحدهم يحتك بها و لكن على ما يبدو كانوا جميعاً في مكان آخر فخرجت خائبة الأمل، تنظر في مياه النهر هادئة و كأنها ساكنة و لا تلمح بها حتى دودة، تنظر على البر الآخر مدينة لم تفكر بزيارتها يوماً ما لابد أن بها أسرة سعيدة مُكوَّنَة من أب ربما يدعى سعيد و أم تدعى هناء قد تزوجا في عرس لطيف كان به قالب حلوى ضخم و انجبا طفل يدعى أحمد و طفلة تدعى هدى، يوصلهم الأب يومياً إلى مدرستهم و يذهب إلى

عمله يعاني، و زوجته تعاني؛ لتحضر لهم وجبة لذيذة يتناولها الجميع سوياً على أنغام تلك المفارقات التي حدثت لهم يومياً و بالنهاية يقبّلون بعضهم البعض و يخلدون إلى النوم، تنتابهم الأحلام يومياً عما سيفعلوه، تشعر نينا بالغيرة منهم؛ إذ لديهم واقع حافل بالأحداث و أحلام أيضاً؟ ياللاسراف! أما هي فماذا بعد؟ عندما وصلت إلى رئة ماهر ظنت إنها النهاية حتى وجدت عين سلامة و ظنت إنها النهاية كانت كلما وجدت عضواً ظنت إنه نهاية حيرتها التي تبدأ من جديد فور تملكها العضو..

تنظر على مد الطريق فلا تجد سوى الزراعات الخالية عل امتداد منزلها ومن الناحية الأخرى بيت جارها الغريب الذي هجره لسبب مجهول ،تشعر بالوحدة فتفكر بالأعضاء لابد أنهم مشتاقين لها الآن، تصعد إلى الأعلى و رؤيتها مشوشة و الأشياء أمامها ملونة بالأزرق من فرط النظر في ضوء الشمس، تقترب من المبرد و تحاول فتحه و لكن قلبها ينبض بشدة في اللحظة الأخيرة تفكر إن حرارة كتلك كفيلة بإتلاف الأعضاء فوراً فتجفل عينيها و تبيض شفتيها لدى تخيلها ماذا سيحدث إن انقطع التيار الكهربائي لفترة تتحدث مع الأعضاء و أذنها على باب المبرد و بعد التشاورات تتفق مع الأعضاء على الاستعانة بياسمين النديمة ،كانت ياسمين على ما يبدو لا تبرح مكانها في ساحة متجر الموسيقى رغم إن نينا لم تهتم عن سؤالها و لو نصف سؤال عن حياتها الخاصة و كيف تنام أو تأكل أو ترتدي حتى ملابسها ،فزارتها نينا هناك و كانت متوترة بشدة سألتها (أحتاج بشدة لمصدر يمد منزلي بالكهرباء لحظة انقطاع التيار)ضحكت ياسمين و قالت(هل حضر ؟ذلك المُتتَبِّع ؟)

(ليس لدي وقت،قد ينقطع التيار في أي وقت)قالت نينا العبارة و سقطت أرضاً مغشياً عليها رأت خيالاتٍ عديدة مُكَلَّلة بصوتٍ يقول ياعنق البجعة! دونا نينا) أما ياسمين فقد ركبت السيارة على الفور و أدخلت نينا و أسرعت نحو أقرب مستوصف رغم إنها لم تجرب القيادة من قبل أفاقت نينا في المشفى على تلك البرودة التي تدخل ذراعها في محلول عبر خرطوم رفيع، قالت ياسمين مُحَاوِلَة إبداء عدم الاهتمام (يقول الطبيب إنكِ تعانين سوء التغذية)تحك

بإبهامها تلك التجعيدة حول شفتيها و تكمل(أها! فهمت لابد أن تعانين من سوء التغذية و أخطر الأمراض المعوية؛فانت لم تتذوقي من قبل طهو ياسمين النديمة)

(هل ستتطهين لي؟)

(حالاً)انتزعت ياسمين الخرطوم من يد نينا و أسندتها على كتفها و خرجتا معاً نحو المتجر؛ لتشتريا بعض الأغراض و نينا تنتابها مشاعر غريبة لا تفهمها مطلقاً خصوصاً لدى تذكرها أن ألفارو فعل معها موقفاً مشابهاً يوماً ما انتزع خرطوم من يدها و أسندها على كتفه و صارت أقدامها بعيدة على الأرض و ذراعها معلق بكتف ألفارو ،تصلا إلى المنزل و تطهو ياسمين ورق الكرنب المحشي بالأرز مع حساء اللحم و تأكل نينا،تلتهم الطعام كما إنها لم تأكل منذ وُلِدَت؛ كان الأكل لذيذاَ بشكلٍ لا يُوصَف، تشعر نينا بمعدتها و هي تتمدد و تتحرك بدفءٍ لدى سريان الطعام بها فتضع يدها على بطنها فتُحَرِّك ياسمين حاجبيها للأعلى و تقول(لا لا ليس مسموح بالشبع قبل أن تنهي طبقكِ بالكامل!)

خرجت منها تلك الجملة؛لتُغَالِب تظَاهرها بعدم الاهتمام ثم وضعت يدها بقوةٍ تقترب إلى الصفع على شفتيها و نينا تنظر إليها ببلاهةٍ فتقول ياسمين(رباه! لا أدري لم أتصرف كالجدات الآن؟)

(هاه! هذا هو! هذا الطعام لايصح وصف مذاقه سوى بمذاقِ طعام الجدات!) تضحك ياسمين(لم تكن لدي جدة تطهو لي حتى أعرف مذاق طعام الجدات)

(نحن متعادلتان،لي جدة و لكنها على ما أظن لا تعرف الطهو؛ لم أتذوق طهوها من قبل)

نظرت إليها ياسمين و هي تحرِّك الملعقة يميناً و يساراً في الطبق لتُحْدِث صريراً كأنها تلوم نينا على وصفها الطعام بأنه كطعام الجدات الذي لم تتذوقه كلتاهما فقالت نينا(مذاق الجدات شيء يُحَسّ على ما أظن، شيء تشعرين به حالما تتذوقي الشيء)سكتت نينا و ياسمين لازلت تحك بالملعقة فقالت نينا هازئة(و لكن طعام الجدات بمفرده لن يؤهلكِ لتكوني جدة؛ فالجدات يكرهن بشدة صرير الملاعق على الأطباق) قالت ياسمين هازئة (و ماذا عنكِ ستكونين الجدة نينا الراقية تلك التي تفهم جيداً كيف تكون جدة) ضحكت ياسمين بصوتٍ مرتفع(يالله! لم انتبه

لهذا الأمر هل هناك جدة تدعى نينا)

(و لم لا؟،هل هناك جدة تدعى بياسمين)

(على الأقل سينادونني بالنديمة)

(مامعنى النديمة؟) سألت نينا،فغيَّرت ياسمين قسماتِها كأنها مُجبَرَة على الإجابةِ و قالت و هي ترفع الأطباق ؛لتنظيفها(عزيزتي نينا! نحن جميعاً أشرار! نرتكب الأخطاء ونتخطاها و لكن الأخطاء، لا تتبخَّر، لا تقبل أن يتم تخطيها دون استشارتها تبقى دائماً لعناتها تلاحقنا؛ مُؤرِّقَة لياليا و لا يُسكِت من نكز الخطأ سوى الندم ،أقول له اصمت و ارتح عن النكز فيَّ أيها الخطأ أنا نادمة و ليس لدي شيء لأفعله حيال ذلك.....يوماً ما فعلت شيئاً فظيعاً حتى الندم بداخلي فقط لم يهدِّئه فدعوت نفسي بالنديمة؛ لأذكِّر الخطأ كلما طرقت ذكراه دماغي إنني نادمة و لكنني حرفت نادمة إلى نديمة حتى لا يعرف الجميع حقيقتي؛من الصعب الإقرار بالندم أمام الجميع؛ الخطأ لا يميز أحد عن الآخر لذا سيكون عدلاً أن أندم أمام أقدامهِ أما أن أندم أمام أعين خاطئين آخرين فلا أظن إنها فكرة جيدة!) ركضت نينا نحو الغيتار و أمسكته و أخيراً عزفت النغمة التي كان ألفارو يضللها في عزفها؛ لعل ياسمين تعرفها و تدلها عليها مرة فالثانية ثم الثالثة حتى نطقت نينا هي المقطع(محدش شاف حبيبي أبو نظرة حنينة) اكفهر وجه ياسمين و ابيضت شفتاها،جلي نبضها ليكاد يحرك صدر فستانها بقوة قالت بصوتٍ منخفض و عينين واجمتين (نفس النشاز! تلك الأغنية لم تكن نغمتها كما تغنين و لكنه كان يغنيها بنفس اللحن،رباه) قالت نينا بعينين دامعتين(أخبريني عن أيمن ذا الشفاة الوردية الفاتحة،حدثيني عن عينيه القنَّاصتين التي اقتنصت مكاناً في روحي عجزت عن الوصول إليه قبله و من بعده)

قاطعتها النديمة و هي تشد خيط من وشاحها و تلفه على أنملتها حتى تكاد نفجر(كنا عاشقين! أنا و مراد دهيم، كنت من أسرة مُتَوَسِّطَة الدخل و كان مراد يعمل في محل للأحذية ،و كنت مصابة بعطبٍ شديد في القلب، كان مراد مُصِر على أن السبب هو الحزن الذي أتلف قلبي؛ كنت دائماً سيئة الحظ ؛قُبِضَ على أخي في حادث إرهابي حينما كنت طفلة و تم اعدامه رغم

إن والدي قد توفى في نفس الحادث الارهابي و زوجني عمي لابنه و هو يعرف إننا و مراد عاشقين، أُصِبت بعطبٍ في قلبي و كنت في حاجة إلى مُتَبَرِّع على وجه السرعة و لو كان من الممكن الحصول عليه من الأحياء لما تقاعس مراد عن التَبَرُّع لصالحي ،كما تقاعس شريف زوجي عن حتى محاولة أن يجد لي قلب قرد ،وعدني مراد أن يضع في صدري قلب أسعدهم سيكون قلباً نقيَّ خالي من الأحقاد ،سعيد)رمت نينا الغيتار أرضاً فتكسَّر و صرخت بالنديمة(كيف وافق أن يُسكِن قلبه خلف نهدي امرأة؟أنانية)رفعت النديمة صوتها كأنها لم يتم مقاطعتها و أكملت(قلب خالٍ من الأحقاد،قلب مغسول بماءِ الحب الذي وقع فيه حديثاً ،يوم رأينا أيمن يتجوَّل في متجر الموسيقى كان يدندن نفس الأغنية التي تدندنيها الآن بنفس النشاز، كان سعيداً يخطو بخفةٍ كأنه يطير، يومها اشترى غيتار و كان مُتَحَمِّسَاً فجلس على سيارته _تلك السيارة الزرقاء التي وجدتكِ مَستلقية خلفها_ كان يجرب الغيتار، كنا في مطلع الصبح فجلس يحاول ضبط لحن لكلماتٍ باللغة العربية(أبداً تحن لكم الأرواح ووصالكم ريحانها و الراح و قلوب أهل ودادكم)كان يحاول بحماسٍ، يضحك و يحاول بلا كلل و نحن عازمين على أن لا قلب يصلح لي سوى هذا القلب، لم أكن أعرف أن الأمر ليس بهذه السهولة؛ فلابد للأنسجة أن تتلائم و لابد لجسدي أن يتقبَّل القلب و لكننا اختطفنا أيمن ،ضربه مراد دهيم على رأسه بحجرٍ كان يُقلِد الأفلام و لكن أيمن لم ينطق بعدها هاتفنا المشفى و اكتشفنا بعدها أن أيمن توفي بالسكتة الدماغية ،حضرت أمه من المؤكد إنك تعرفينها تلك المرأة التي يتم تكريمها في عيد الأم سنوياً، مشهورة ب أم الشهيدين، قالت(لا يُعقَل أن يبقى أمجد حي كشهيد و يفني أيمن سيبقى أيمن حي أيضاً)و تبرعت بأعضائه جميعها و نلت القلب لا تشككي أنا متأكدة أن القلب له)

(انت تكذبين!أخوكِ الإرهابي قتل أمجد و انت تراقبين قلب أيمن المفطور، أفرطتي في المراقبة و الحقد، أدفعك الحسد لأن تسرقي قلباً؟) نظرت إليها ياسمين نظرة بلا معنى فنهضت نينا من مكانها و أمسكت بطبق و رمته في الأرض فأحدث صوت تكسُّر هائل و قالت بصوتٍ

متهدج(تتذكرين الشعر جيداً ،لابد إنك تفهمينه، جميعكم تفهموه عدا أنا!.....بيدرو شقَّ صدر الرجل و أخرج قلبه ؛عقاباً على قتل إينيس ،أنا فعلت الأمر مع ماهر و لم أقصد معاقبته؛ فهو لم يعرف إن الرئة تخص أيمن ،انتِ !) نزعت نينا الفستان عن صدر ياسمين النديمة و غرست قطعة زجاج من الأرض في صدرها و حشرت أصابعها بكل ما أوتيت من قوة؛ لتستخرج قلب أيمن من جسد ياسمين و هي تبكي محتاجة لم تعرف نينا إلى أي مدى يجب قطف القلب إلى أي مسافة يجب قطف الشرايين التي كانت قوية تحاول قطعها بيديها المجردة فتفشل، تحاول قصَّها بأظافرها بلا فائدة و المرأة لازلت حيَّة تتأوَّه و تقول (رأفة بالرأفة ادخليني في خيال عن الذبابة الفاتنة) ،تصرخ نينا(أيتها الساقطة،كيف تجرؤين على طلب شيء كهذا مني،إنها حكايتي أنا و هو) تحضر نينا مقصاً من المطبخ و تفصل الشرايين عن القلب و تُبقي مسافة قصيرة جداً من الشرايين التي تعرف إنها خاصة بأيمن و كيف لا تعرف إن كانت قد وجدت من قبل رئته و قرنيته حتى ...

كانت نينا تغسل القلب بالمحلول و أخذت تهدأ رويداً رويداً حتى هدأت تمامًا عندما أُزِيحَ دم النديمة و نبضها عن القلب نهائياً و عاد له نبضه الأول كان ينبض بدعة بين يديها الصغيرتين يوافق نبضه نبضاتها و تنعكس صورتها بأكملها على غشائه الرقيق كان كما تخيلته تماماً و هي ناعسة على صدر أيمن ،هو تماماً ما افتقدته الرئة التي أخرجتها من صدر ماهر، تنظر إلى الأعضاء سعيدة تتنفس براحة و هدوء و يبقى كل عضو في منتصف الإناء الخاص به يتحرك بلون الحياة الوردي على صوت أغنية الغرباء (لا ملك لدينا! لا ملك لدينا !) فصاحت بهم نينا (اصمتوا و استقبلوا واردتكم الجديدة! ياسمين النديمة!)، صاحت ياسمين (أوه يالطباعكِ الكريمة!)

(على الأقل حافظتِ على القلب نظيفاً حتى تقدميه إليّ) ثم تذكرت نينا إن ياسمين هي السبب في ما فيه الجميع الآن، فصاحت(أيها الغرباء! ياسمين النديمة لا تنتمي إليكم ؛لديها حبيب ...يدعى(مراد دهيم) و هما السبب في غربتكم هما السبب في كل ما عانيتموه هما السبب في

تحوُّلكم لسارقين وإلى غرباء،أعني أن تبدل قطعة من جسدك بقطعة من جسد أحدهم ،ألا يجعل جسدك غريباً عنك شخصياً فمابال معارفك،أتساءل كيف..) صاحت ياسمين مُقَاطِعة(لا لا لا !تصدّقوها؛ مراد لم يعد حبيبي ؛حسب حساب الكل لكنه لم يحسب حساب ألا يتآلف قلبه مع قلبي الجديد، رحل مع امرأة و بقيت أنا نديمة في متجر الموسيقى ....كذبت عليكِ يا نينا،هل تعرفين كيف عرفت أن أبونا حسين مبصر و ليس أعمى،هو من أخبرني رآني و مراد و نحن نقتل أيمن و بعدما خسرت كل شيء و ذهبت ؛لأكمل حياتي في ساحة متجر الموسيقى عقد معي اتفاق قال و هو يخلع نظارته و ينظر في عيني مباشرة(رأيتكِ بأم عيني ،انتِ و الهذا تقتلان المسكين بحجرةٍ) نظرت إليه يومها أحاول أن أرتِّب الإجابة أو السؤال المُفتَرَض على جملته فقاطع تفكيري(صهِ! ستعرفين في بالكِ فقط أنني مبصر و تحفظين السر مقابل أن أحمي سرك و أن أمنحكِ عرض،ستطهين الطعام لي و لكِ يومياً؛ لنتناوله سوياً) رددت باستهزاءٍ ضاحكة من غبائه(و لم تخبرني بهذا السر إن كنت أردتُ كتمانه و لم تحمل نفسك عناء إطعامي ؟)

أجابني الإجابة الوحيدة التي لم أرغب في سماعها(ليس من شأنكِ) فتلك الإجابة كانت تؤكد مخاوفي؛ فهو يعرف إنني لن أبرح أبداً هذا المكان و لم ينوِ أن يترك التفكير فيني يحاول إيجاد مبررات رحيلي ؛كأنه كان مُسَلِّم معي و مع الجميع إن البقاء هنا هو المفترض ، و من ساعتها و نحن بقينا على الاتفاق ، كنت يومياً أنتظر أن تحدث المعجزة و يحن الزمن عليّ بالرجوع حيث مر في المتجر الموسيقى) أمالت نينا رأسها و قالت بصوتٍ منخفض(أيها الأغبياء! جميعكم يحلم برجوع الزمن!أليس ما نحن فيه زمن يمر هو الآخر ؟)نظر الغرباء إلى النديمة بغضبٍ صامت قطعه الحاج سلامة بقوله (أيتها الزانية!عشت بعذاب و العين الغريبة تتفحص جسدي،قطعة في جسدي ليست لي دخيلة بين أعضائي) و تبعه محمود شكري الذي رأته نينا يثور للمرة الأولى (عاهرة!) و استمر الجميع بسبها فصاح ماهر (يا جماعة!) ثم عدل من نبرته و عاد إلى لهجته الراقية(من كان منكم بلا خطيئة فليسبها، لا تنكروا إنها كانت السبب في إيقاظكم من

وهم الأوطان الزائفة التي ظننتم إنها تؤيكم!)صاح به ممدوح غير عابيء بمحاولاتِ ماهر أن يتصرف كأنه دوق (أيها الغبي !نحن ندور في حلقة مُفَرَّغَة؛ تلك الأعضاء الغريبة هي السبب في احساسنا بالغربة أصلاً،منذ دخلت تلك الكلية الملعونة جسدي و أنا أعاني؛حوَّلتني إلى شخص مجهول حتى لنفسي!)صاح به ماهر مستهزئاً(حقاً! هل منعت تلك الكلية حتى ذكراك عن معارفك القديمة) احمر وجه نينا و صاحت بغضب كما لم تغضب من قبل مُوجِّهَة كلامها نحو ممدوح(أيها الداعر الفاسق !كيف تجرؤ على نعت الكلية بملعونة ألم يكفيك أنك سرقتها بكل أنانية لتمنحك حياة على حساب جنوني؟ فلترت بها خمورك العفنة و ها أنت تتهمها بأنها سببت غربتك، اللعنة عليك انت و جميع هؤلاء الغرباء الأغبياء المتقهقرين بين أعتاب الأوطان التي مقتتهم؛ لغربتهم المقرفة) و بين المشادات كان الحاج سلامة يبتسم مُحَاوِلاً التقرُّب إلى النديمة فقط لمضايقتها وهى تزدريه فلاحظ ماهر أن محاولات الحاج سلامة تُشعِر النديمة بعدم الراحة فوبخه قائلاً(لازلت تفتقر أن تكون صاحب ذوق رفيع،لم تضايق الآنسة أيها الفلاح الغبي)

(و من قال إنها متضايقة،أم أنك تظن إنك أفضلنا للظفر بها)صاح الشيخ يحيى(يالله أنجدنا من الغباء،أتتعاركون على الظفر بالمجرمة التي هي السبب في غربتنا) فرد سلامة (عندما فكرت في الأمر وجدت إنني من توسلت الأطباء إلى عين تحررني من العمش!أن الذي بقيت رهيصاً في قوائم انتظار المشافي أُصَلِّي بالاسم الأعظم ليقتلع الله عين أحدهم و يمنحها لي) قال الشيخ يحيي من أثر صدمته بسبب كلام سلامة(أيها الفلاح الزنديق!،كيف تطلب من الله أن يمنحك عين على حساب واحد،الله يملك عيوناً بمقدار كرمه الذي يمنع به العقاب للآخرين على حساب بعضهم) ثم قال مُوَجِّهَاً حديثه إلى ماهر (يا سيد ماهر هل جننت؟هل تعجبك ساقطة و تدافع عنها؟) حرَّك ماهر سبابته و قال بلهجةٍ مبتذلة(أنا أيضاً أجبرني القدر القاسي على أن أبحث عن وطن جديد.لكنني تعلمت من عذابي كيف أواسي أولئك الذين يعانون مثلي)صاحت نينا في غضبٍ(الشاعر الروماني فيرجيل؟!،ألن تتوقف عن السرقة أبداً يا

ماهر ،استمرارك في الفخر بسرقاتكِ أمام عيني يجرح مشاعري،انتم أغبياء أنانيون جميعكم، لا عجب إنكم طُرِدّتُم من ذويكم شر طردة يا كناسة الجيف يا غرباء!) هب عاصم واقِفَاً يتحدَّث بتهكُّم(و انتِ يا آنسة يا جميلة! أصدقتِ أننا الغرباء وحدنا ؟ أخبريني يا عنق البجعة! متى تذكركِ أحد غيرنا، نحن هؤلاء الغرباء الذي تستمرين في ازدرائهم،كدتِ تصابين بالجنون يوم اختبئنا عنك ،و أين والدكِ العزيز ؟ نساكِ بين أحضان إنغريد التي أقحمتيها حياتكم بيديكِ الغبية)

(أنا من بالغت في الغياب حتى اعتادوا عليه)ضحك بتهكم(أعتادوا عليه؟ من يعتاد غياب غالٍ عليه؟ ،لو كان البعد شيء يمكن الاعتياد عليه لم بحثت تلك الأعضاء عنكِ و بحثتِ عنها بين أجساد البشر ،انتِ تصرين على الانقياد لغبائكِ الذي يدور في جمجمتك الفاتنة، لو أنكِ فقط ما صممت على حشر انغريد بينكم لما كنا فيم نحن فيه الآن)

(و ماذنب انغريد أيها اللقيط!) يستمر بالسخرية(تعرفين إنني لن أتضايق من نعتكِ لي باللقيط ؛لأنه فقط خارج منكِ انتِ! كما تعرفين بالظبط ذنب انغريد هو ذاته ذنب منال و ذنب مغتصب سلوى؛ بعض الناس تختار أن تُخلَق مُذنِبَة؛ الجميع يقر بذنوبهم و على رأسهم ذنوبهم التي لا تخرج عنهم إلا بإذنهم؛ هم يظنون أن انتهاجهم الشر يمنحهم القوة و السيطرة على الأغبياء الذين يخسرون الكثير بعدم التفاتهم لهمزات الشر التي تجعل العالم كله متاح أمام أعينهم ،و تعرفين أيضاً إن ما نحن فيه جميعاً خطئوكِ بالكامل ،انتِ من أرسلتِ كلام الجميع إلى الجحيم مقابل أن تُخرِج لكِ تلك الجحيم المُستَعِرَة انغريد)

(تستمر بالهذي عن انغريد)

(تتظاهرين إنك لستِ متأكدة أن هي من وشت لأبيكِ عن حفلة ألفارو ثم وشت لألفارو عليكِ بمكانكِ فمحى كل ما تبقَّى من ذكرياتكِ عن الأمر الذي تصرّفتِ كأنكِ نسيتيه رغم إنه لم يغب عن خاطركِ،كل ما نحن فيه بسبب سرقة انغريد لذاكرة آلة التصوير) كان عاصم ينظر إلى نينا بابتسامة غريبة حملت نينا على الظن إن تلك الابتسامة هي مُحَرِّك الذكريات التي تدور

في خلدها الآن فتتذكر ماحدث قبل حفلة ألفارو كان الشبل الذي اشترته بالمنزل يثير الفوضى و تنضح منه رائحة مقززة جعلت والدها يجبرها على التصرف في أمره لكي يسمح لها الذهاب إلى الحفلة فحبست نينا الشبل في غرفتها فأحالت رائحته الغرفة إلى رائحة بطاطا نتنة داخل أحشاء جيف فعزمت نينا على شراء عطر يخفي الرائحة و في محل العطور لمحت قنينة عطر باهظة الثمن فرأت نفسها و هي تسكبها على ألفارو تحيةً له ،بعدها وقعت حادثة الشبل الجائع و اختفت الذاكرة فنفت نينا عن رأسها همزات عاصم بشأن الماضي؛فحتى إن كانت غبية ساعتها فالآن باتت فَطِنَة و ذكية للحد الذي ينفي عن رأسها أن تفكر في الأغبياء حتى و إن كانت هي منهم ، فحفضت رأسها و أصبحت كدمية بينوكيو قبل أن تُبث فيها الروح و قالت(كنا يوما نجلس على الحَجَر أمام شجرة(الفارجا دالاريون)كنت أحكي له عن قصتها و تاريخها و بينما كنت أحكي و أقول(يُقَال إنها زُرِعَت في عهد الامبراطور الروماني قسطنطين الأول) قاطعني ضاحكاً بانهاكٍ و هو يحرّك أصابعه بين خصلاته(ربما هذا الشيء الجيد الوحيد المُتَعَلِّق بقسطنطين الأول ،ضحكت و قلت(و مالذي لا يعجبك عن قسطنطين ؟)

(لا أعرف و لكنني أكرهه بقدر ما أكره التاريخ؛ يوماً ما قامت أمي بتقطيع كتاب التاريخ فوق رأسي؛ لأن علاماتي في امتحان الشهر في التاريخ كانت سيئة)ضحك و أكمل(حاولت إفهامها إنني أمقت مادة التاريخ و لكنها لم تتفهَّم، أخبرتها إنني لست في حاجة تلك المادة؛ لأنني أعتزم أن أدرس الهندسة و لكنها كانت مُصَمِّمَة على إنني لابد أن أحصل على الدرجة النهائية،أتذكر يوم قطعت الكتاب على رأسي؛ قلت لها لا حاجة لي بحفظ الأكاذيب القديمة فانهالت عليّ بالضرب قالت(لا تتفلسف ،أريد الدرجة النهائية) حينها سألته(هل كنت تُعَاقَب بشدة)ضحك و قال(و إلى الآن و يتم معاقبتي،و لكن الأمهات بالتأكيد لديهن أسبابهن التي تصب لمصلحة الأبناء)عندها صفق عاصم و قال(و من قال إن إنغريد أمك؟ تستمرين في إنكار أن انغريد سيئة؛ألأنكِ لم تتحملي أن تصبح صفقتكِ لشراء أم فاسدة بلا معنى!)أكملت كأنما تتجاهل كلام عاصم(بعدها أخذته؛لنتمشَّي على الصخور إلى جوار نهر الإيبرو،أعجبه المشهد

لدرجة الانبهار و لكنه كان يشعر بالبرد رغم إن الجو لم يكن بارداً أصلاً، كان كفه الأسمر مصفر ليشبه بطن نبات عباد الشمس بحثت عن أصابع كأصابعه لرجلي المثالي فلم أجد)قاطعها عاصم(توقفي!) و هنا قامت نينا و كأنها تنين من نوع جديد ينفث ناراً من عينيه و صاحت مُوَجِّهَة كلامها إلى ياسمين(أيتها الساقطة،كيف تحملتِ أن تشاهدي كف أيمن و هو يفتقر إلى دفء دمائي،صلي للرب ألا تكوني قد فركتيه) نظرت ياسمين بأسى و حاولت فتح فمها ، صاح ممدوح ساخراً(ها انتِ أخيراً تسألين غريباً)

فقاطع الحاج سلامة(ياللغباء! تلك المرأة لم تصبح غريبة حتى الآن ثم..)و هنا وقف ماهر و سعل ثم قال بلهجته الراقية مُوجِّهَاً كلامه للجميع(فالنعد للموضوع!الفيصل بين تنمرنا على ياسمين النديمة أو إيوائها سيكون اختبار الغرباء ،يجب أن تمر باختبار الغرباء)صاح به الشيخ يحيي و(و لم انت الذي تحدد؟)

(أنا القائد هنا ؛أنا مُؤسِّس وطن الغرباء، أول مولود به) ثم خفض صوته كأنما يتحدث إلى نفسه(لا أصدق إنني أتشارك أعضاء مع هؤلاء الحثالة،عندما عرفت إنني أحتاج رئة فكرت أن أنشيء جمعية الأنسجة الواحدة،جمعية سرية تتوحد فيها أنسجة أجساد الأعضاء الذين كنت سأختارهم جميعاً من المجتمع الراقِ و سيكون الجسد الذي سنحصل منه على القطع المفقودة راقٍ أيضاً)ثم رفع صوته موجهاً كلامه إلى الجميع (لا أصدق إنني أتشارك جسد مع امرأة بلا حياء تعقد على رأسها وشاحاً للخلف و لا رجل بلا ذوق يرفض الحديث مع شركائه و لا شاب لقيط بلا أسرة و لا شاب سافل داعر ولا مدعي غبي يظن أن الدين خلق لينجيه وحده،و لا فلاح أجش الطباع سمج الأخلاق، و تسألون لم أنا الذي أحدد؟)صاح سلامة (موافقون!فالننه هذا)فبالغ ماهر في ضبط نغمة صوته إلى حد الابتذال مُوَجِّهاً كلامه للنديمة(هل جربتِ يوماً أن تحصدي قمحاً و ذرته الريح بعيداً؟) تحدثت ياسمين تنظر للأرض (لا أعرف!)ثم صاحت كأنها تذكَّرت الإجابة(و لكن من المؤكَّد إنني فعلت؛ فأنا حزينة)

كوَّن الجميع حلقة حول ياسمين النديمة و غنوا (الغرباء صار لهم وطن،وطن غريب مثلهم!)

كانت نينا تشاهد و القلب ينبض بيديها رغم إنه خرج من جسد ياسمين منذ ما يقارب الربع ساعة و لكن ماعلاقة خروجه بياسمين من عدمه بنبضهِ أصلاً؛ إن كان النبض فيه لا يخص ياسمين ،وضعته نينا في وعاء و رصَّت الأعضاء في أوعيتها على الأرض في الترتيب المُفتَرَض في الجسد و نامت إلى جوارها رغم المشكلة التي واجهتها و هي أن الأوعية كانت كبيرة بعض الشيء تُفَرِّق الأعضاء عن وضعهم الصحيح نامت نينا إلى جوار الأعضاء و رأت أيمن يزورها للمرة الأولى منذ رحل فجر هذا اليوم كان مسجياً على الأرض و الأعضاء مرصوصة في أماكنها بجسده تتنفس بهدوء و يغطي عليها بغشاء لماع من جسده، قال لها (كيف مضيتِ و كأنما أعجبك الفراق ؟)

(لازلت لا تستطيع نظم الشعر و تستعير الأغاني؟ تلوم و كأنك انت الذي بقيت حائراً في انتظاري و كأنك انت الذي بحثت عني بين الأجساد؟كيف لقلبك أن ينبض في جسد غريبة؟)

نظر إليها باستهزاء يكلل أجابته بأنه فعلاً بحث عنها بين الأجساد(لم يكن خياري أن يشقوا صدري)

(حقاً! لم يكن خيارك؟ ألم تختر أن تتخلَّ عن جسدك ؛لإيقاف ألم شقَّه) وقف يمرر أصابعه بين خصلات شعره و شفتيه تزداد في البهت و يحاول أن يجمع حديثاً فيفشل و نينا تنظر إليه بعينين دامعتين تقول(أي ما حدث! أي ما فعلت !انت قد قلت لي أنك مؤمن بصحة أفعالي و أنا آمنت بصحة أفعالك قبلها)

(و لذا التقينا بعدما فرقوني في الأجساد الجوفاء)

سألته (و ماذا عن الظل يا أيمن،هل تحمَّلت أن ترني مُعَذَّبَة بالخوف و الحيرة؟)

أمسك بمعصمها بارز العظم بأصبعيه و ابتسم(لم يكتسب جسدكِ انشاً)شدت ذراعها قائلة (لا أصدق)فقال بهدوء(لا أعرف شيئاً عن هذا الظل،ربما هو يتبعني منذ رحلتي مع والدتي إلى الجنوب) ابتسمت بعينين دامعتين و هي تنهي محاولاتها لأن ترى أيمن يجذبها بعنفٍ كلما

ابتعدت ،كانت تستمع كثيراً بهذا الأمر أن تغالب رغبتها و تمثّل الابتعاد و هو يجذبها من ذراعها بقسوة؛ ليبقيها جواره و قالت(ياللغباء! الذي كان ينتابني الظل أسود بالكامل و ضبابي لا لسان لديه؛ ليتحدَّث هو استخدم كل سبل التواصل لإبقائي منتبهة و أنا التي حنقت عليه بغباء،لا) هز أيمن كتفيه و لوى شفتيه و قال(لا أعرف هل يجب أن أقول ما سأقول أم لا و لكن جرأتكِ و شجاعتكِ يحفزاني،كما أن فكرة أن لديك قلبي بأثلامه التي تحوي الأشياء التي تلوصه بكتمانها عنكِ يدفعاني للقول ، الظل يتبعني من رحلتي للجنوب، كيان يدفعه ليلملمني كلما تبعثرت،انتِ قطعة مني و لذا يلملمكِ مع قطعي،انتِ تعرفين أن لقائكِ بماهر و عاصم و محمود شكري و سلامة و البقية لم يكن مصادفة)ضحكت لعدم قوله اسم ممدوح مباشرة ،خفض رأسه بأسى و قال(جميعهم كانوا يعرفون بعضهم من البداية و يبحثون عنكِ)قاطعت(أنا التي أنهكها البحث)فقال(أعرف!...)قاطعته بابتسامة(ستأخذني في رحلة إلى الجنوب!)ابتسم و قال(سآخذكِ!)

(ستصدق إنني أجلت زيارة كل معالم بلادك لحتى صحبتك)

(ستقضين نصف يومك في عالمي و نصفه الآخر في عالمكِ،أعرف إنني أتصرف بأنانية و لكنني سأحاول قدر المستطاع أن أبقى في عالمكِ)قالت(نحن في عالم واحد! لا تقل) استيقظت نينا على صوت الباب الخشبي و هو يُغْلَقْ بقوة ووجدت طفلاً واقفاً إلى جواره هو ذاته الطفل الذي كان في مقهى الانترنت كان واقفاً أمام الباب مباشرة يرى نينا نائمة إلى جوار أعضاء موضوعة في أوعية سألته نينا و هي تبكي لانقطاع حديثها دون رغبتها(أيها الصغير اللعين ،كيف دخلت إلى هنا؟)

(بالمناسبة أدعى (علي) و للتو عبرت غرفة الجثث)

(أجساد فارغة عفنة!)

(من أنا؟)

(أهلاً! انضم للنادي ألا تخجلون جميعاً عندما تطلبون مني أن أجد لكم الإجابات؟)

(لايهم ما تقولين! يجب عليك اختلاق الكثير من الأجوبة حالاً)

تحدَّث و هو ينظر إلى الأعضاء ،وقفت نينا أمام الأعضاء تحاول أن تواريها برعبٍ و تقطع نظرته المستمرة و قالت(أيمن لم يرحل إلى أية مكان! تلك الأعضاء تختنق في أجساد الغرباء لن تتحمل حتى تتعفَّن إن طمع فيها الغرباء ثانية ،أجوفي الأجساد،هل انت شبح؟ كيف دخلت إلى هنا؟)حرك الطفل رأسه يميناً و يساراً(لا يمكنني أن أمنحك اجابات و انتِ تمنحيني مزيداً من الأسئلة، سنتصرف واحداً مقابل الآخر) نظرت إليه نينا بتعجبٍ و هي لازالت تحاول قطع نظراته المتلصصة ناحية الأعضاء فقال الطفل(هل اسمكِ نبيلة الجابري؟)

أجابته (لا) و أخذت تفكّر في دورها، ترى ماذا يمكن أن تسأل طفلاً لم يبلغ العاشرة، مالسؤال الذي تنتظر له إجابة من هذا الطفل الذي ينظر إليها بخيبةٍ بعد علمه إنها ليست نبيلة الجابري التى سأل عليها للتو، فقالت(و لم يكرهني أبوك؟) قال الطفل(هذا ما كنت للتو أسألكِ عنه،تلك نبيلة الجابري هي أمي؛ كان والدي يزعم إنها متوفية بل يملك لها شهادة وفاة رغم إنه لا يملك لها أقارب أو حتى صور،كان لدي شكوك إنها على قيد الحياة و هو ينكرها ؛لأنها فعلت ذنباً عظيماً معه ربما خانته و تأكدت تلك الشكوك حينما قرأت مذكراته التي كان ينعت فيها تلك المرأة بأنها فاسقة و سامحيني هو نفس الوصف الذي نعتكِ به يوم تقابلنا في مقهى الانترنت،يومها قال لي لا تتحدث مع الفاسقات خصوصاً من نوعية تلك المرأة مُشيراً إليكِ ،كان يتحدَّث عنكِ بسوءٍ شديد يحذِّرَني من التعامل معكِ يقول إنكِ بلا حياء تتبعين الناس رغم إنهم يرفضونكِ،قال لي ألا أنظر مباشرة إلى لمعة عينيك لئلا أقع مشفقاً)

كان يتحدث و هو يتحرَّك مُحَاوِلاً أن يسرق النظرات للأعضاء و هي تستميت في إخفائها فسألها مباشرة (هل يمكنني رؤيتهم؟)

(ولماذا؟ أتريد أن تسرقهم؟ تريد أن تخرج و تروي للناس حكايتهم؟ أن ترفع صوتك الطفولي و تقول (انظروا يا قوم رأيت يوماً قلباً عاشقاً ينبض كالشمس وهي تنبض بالضوء، رأيت كليتين لمَّاعتين كالكرستال و رئة منسوجة بعناية كالنسيج الذي صنعه الرب لآدم و زوجه

؛ليواريا سوأتهما بعد التوبة،سيكون صوتك رزيناً واثقاً ،لن يظن الناس و لو لثانية واحدة إنك طفل يختلق، سيهرعون وراء أوصافك الصادقة و دماغك الذكي)

قاطع الطفل وضحك باستهزاء(أخرج؟ هذا ما أسألك عنه، تحطَّمت بوالدي السيارة ،أعرف إنه فعلها مُتعمِّدَاً،ليلتها قرأت مذكراته و هو رآني و أنا أفعلها، تحطَّم قاصداً حتى لا يخبرني بالإجابات) و لبرهة صمت الطفل و أخذ ينظر إليها بهدوءٍ شديد كأنما استعاد طفولته و شمر ذراعه اليسرى فبدت و هي مُلَوَّنَة تماماً بالأحمر كأنما للتو تم حرقها في وعاء يستعر بالمسلي ، و فوق تلك الذراع المختلفة عن الجسد بقعة صغيرة حمراء، صار يحك فيها بأظافره و يحك حتى كشط جلدها و نزفت صديداً خفيفاً فتوقَّف، سألته نينا(و ماهي الأسئلة؟ قلها مباشرة! إن كنت تقصد تلك عن المرأة الفاسقة فأنا لا أعرف شيء)

(لا لا لا يمكنني إخبارك،لا يمكنني فضح ما أراد والدي اخفائه،كنا جيراناً لفترة حينما كنت طفلاً)

(انت لازالت طفلاً!)

(أياً كان كنت أرى الأشباح تخرج من منزلكِ؛ لتغسل ملابسها في النهر، انقطعت عن الشرب لفترة حتى كاد لساني يجف أخبرت أبي أن يذهب؛ ليخبر الأشباح في منزلكِ أن تتوقَّف عن تلك الأفعال المُقرِفَة ؛فنحن نشرب من هذا النهر ،ضحك أبي و استهان بم أقول فتسلَّلت ؛لأفعل المهمة بنفسي، التقطني أبي ووبَّخني بشدةٍ، لم أذكر إنه وبخني مرة في حياتي كهذه أبداً،قال لي أن أبتعد عن الناس و خصوصاً تلك المرأة التي تسكن هذا البيت ،يارباه! الآن فهمت لم حذَّرني منكِ ربما رأى تلك الطقوس التي تفعلينها أو ربما لسبب آخر هو ما تعرفينه و يعرفه هو،الآن أنا حقاً لا أهتم بالمعرفة عنكِ و لكن انت قولي لي ماذا تعرفين عني؟)

(ضللت الطريق يا فتى!)

أمسك بسحاب المعطف الطفولي الذي يلبسه و صار يعضه في انتظار أن تجيب تلك المرأة،

أسرف في عض السحاب حتى كاد يتقطَّع و هو غير مهتم؛ فماذا سيخسر صبي يتيم ،و في النهاية رفع صوته(اسمعى يا امرأة! لن أبرح مكاني حتى أعرف ...و بالمناسبة لن أقول لكِ معطيات ما يجب أن أعرفه ،أنا لست غبياً لأكشف أوراقي) لم تفهم نينا أهذا الصبي ذكي جداً أذكى منها لكي لا تفهم مايريده أم إنه طفلاً يهذي بالغباء الذي لايُفهَم؛ فمرة قال إنه يريد معرفة إن كانت أمه و الأخرى سألها مالذي تعرفه عنه و بالنهاية يسألها أن تقص له شيئاً لا يريد أن يسألها مباشرة عنه؟ هل هناك المزيد، و رغم غرابة عرض الصبي لنينا إلا إنه هو ما أرادت سماعه ؛فهو قال(لن يبرح مكانه حتى يعرف) و هي لا تعرف مالذي يريد معرفته و لذا سيبقى معها للأبد و كان هذا الحل هو أحسن السيئين؛ فإما أن يفضحها و إما أن يبقى ،و تمنت ساعتها نينا لو كانت تستطيع القتل لقتلته ،قالت(آه لو كنت أستطيع إزهاق الأرواح و حمل الجثث و تحمُّل رائحة دمائها المقرفة لكنت قتلت هذا الطفل)جلس الطفل على الأرض ساعتها و جلست نينا أمامه يحدقان في بعضهما و يدور في بالهما نفس التفكير (لا يجب أن يغب هذا عن عيني!) ...

بقيا عدة أيام متلازمين؛ يستيقظا سويا، يحضِّرَا إفطارهما سوياً و يتناولاه معاً ثم يشاهدا التلفاز أو يقرأا الكتب، و يعبث هو بالغيتار المكسور و هي تجلس مع أيمن الذي كان يحضر في أوقات يختارها شيء مجهول يأتِ على نفس الهيئة اللماعة التي تخفي الأعضاء تحتها و هو مسجي فتحكي له عن علي فيبتسم فقط و كانت ابتسامته تلك من تشجع نينا على تحمل بقاء علي ، حتى انتهت المؤن في منزلها فخرجا إلى المتجر و غاب الطفل لثوانٍ عن عينيها و عاد و معه أدوات تلوين و عندما عادا إلى المنزل أهداها الصبي أدوات التلوين قائلاً(ينبغي أن نُلَوِّن أوعية تلك الأعضاء؛تحتاج لمزيدٍ من البهجة) بعدها نام الصبي على الأريكة و نينا تتفحَّص به و أحضرت قلامة أظافر و صارت تهذب أظافره حتى صاح عاصم من الأسفل باستهزاءٍ(هل هذا حقيقي؟ دعوتيني باللقيط و ها انتِ تقلمين أظافره،ياللمسكين! وقع في أيدي امرأة بلا رحمة أُشفِق عليه من اليوم الذي ستدعينه فيه باللقيط!) تحدث الشيخ يحي بلهجةٍ

واثقة(التبني حرام! لا تغار يا عاصم ليس مسموح لها بأن تتبناه!)صاح ممدوح مستهزئاً(يا صغيري هل تغار لأنها دعتك باللقيط و تتبنى لقيطاً آخر،ألن تنضج أبداً؟)فصاحت ياسمين ضاحكة و ممسكة بثدييها(لا لا تخف يا رضيع سأتبناك أنا) زفر ماهر قائلاً(امرأة بلا حياء) فأمسكها ممدوح بقوة من ذراعها وصارا يتمايلا و يرقصا و الحاج سلامة يلحن لهما بصوته الأجش و ماهر ينظر إلى الجميع بغضبٍ ثم تحدث مُعتَبِراً كلامه وحي مُقدَّس يضع نقطة النهاية لكل النقاشات(عاصم! ليس لأنك ربيت بلا أم تطمع في كل أمهات العالم! يا عزيزي لا ذنب للجميع إن كنت ربيت بلا أم لا تكن أناني!)

قاطعه عاصم بغضبٍ شديد(أناني! انظروا من يتحدَّث عن الأنانية! السيد ماهر،أخبرني يا سيد ماهر اين ذهب سعيد فراج ؟و أنا الأناني؟)نظر ماهر إلى الأرض بثقةٍ فأكمل عاصم(أنا سأخبركم،ستحبون الحكاية، السيد ماهر كان حريصاً ألا يرتدي أحداً زياً مشابهاً لزيه،بل كان مُتَطَرِّفاً في الحرص، حينما أنهى عملية نقل الرئة عرف إنه يحمل جزءاً من الرئة و شخصاً آخر يحمل جزءاً آخر منها،لم يهدأ باله حتى عثر على هذا الشخص و قتله و ألصق تهمة قتله إلى الجوهري السكير صاحب صالة الألعاب؛ لابتزازه، السيد الأناني لم يحب أن يتشارك أحد معه في رئة) رفع ماهر حاجبيه(أظن إنه شيء لا يعيبني،إنه اسلوبي!)كانت نينا تشاهد بصمتٍ شديد تعرف إنها بدون أن تقاطع و تكلِّف نفسها ذلة السؤال لغرباء ستجد الإجابات، فصاح يحيي بيأسٍ (استغفرك يا رب! ماهؤلاء القوم!) و محمود شكري ينظر و هو يحرك شفتيه و النديمة تخبط كفيها و سلامة يقول (صُدِمت بأخلاقكِ يا أشعب!كان ليشاركنا الآن واحداً يزيد عزوتنا!) كانت نينا تنظر و لا تستطيع الحكم إن كانت تلك المهزلة حقيقية أم إنهم لا يزالون يسخرون من عاصم فصاح ماهر(الزموا حدودكم جميعكم و لا تنسوا أبداً إنني السبب في جمعكم هنا كما وجدت سعيد فراج، و جدتكم جميعاً، أنسيت يا سلامة من حرَّضك على الاشتراك بالصالة ،و انت يامدوح ألم أخبرك أن تذهب إلى كفرسالومة؛ فهناك راكباً يحتاج مواصلة و انتِ يا نديمة من قال لكِ ألا تبرحي مكانكِ في متجر الموسيقى؟و انت يا يحيى أنا

من وضعت اعلان المركز أمام عينيك الضيقتين و انت يا سيد القاضي! عاصم هل تنكر إنني جذبتك بعيني لإتباعي حيث هنا أنا من وضعت القطع مكانها؛ لتجمعها نينا في خطواتِ ،ألفتم الكذب حتى صدقتموه!)بعدها نظر ماهر إلى نينا و لازالت صامتة فاستفز ممدوح هدوئها و قال بسرعة (سيد الأمير الوزير القوي ماهر! نعرف إنك صاحب الفضل الجلي و لكن لا يمكنك أن تصب المعلومات كإناء مثقوب؛ تلك المرأة المتعجرفة تحصل على الإجابات دون أن تطلبها بأدب)فرفع ماهر حاجبيه و اقتنع بكلام ممدوح و كتم بقية الإجابات على غرار عاصم الذي كتم في نفسه إنه خرج ذات يوم على طرقات بابٍ مجهولة القبضة و من يومها لم يعد أبداً، ساعتها قامت النديمة فجأة و قالت (ماهر! لا تظن إنك صاحب فضل علينا؛فنحن في الأساس لا نعرف إن كان ما فعلته فضل أم نقمة علينا، و حتى إن كان فضلاً سنبقى على عهدنا غرباء و لا ملك لنا لا ملك لنا) و صارت تغني فانضم الجميع إليها ،و نظرت نينا إليهم بغضبٍ و صعدت حيث الطفل النائم ، جلست إلى جواره تفكِّر كم كانت غبية حينما كانت تشعر بالاشتياق إلى ماهر و كم كانت ساذجة حينما زار قلبها الأسى لدى تلطيخ الجوهري لذكراه ،كان هو الشيطان المحرِّك للجميع كان يعرف ما يدور و يخفيه بلؤمٍ حتى تلك اللحظة، ولذا اتخذت قرارها بأن تنشيء هذا الطفل على عكسها ذكياً ،ستعلِّمه هي من خلاصة خبرتها؛ حتى لا ينشأ غبياً كما نشأت هي دون أم و لذا قررت أن تسجِّل له على الدراسة بنظام المنازل و أن تجد عملاً ،و حتى تجد العمل المناسب أرسلت إلى والدها تطلب منه مبلغ ضخم و بالفعل لبى والدها الطلب و أرسل لها ما طلبت، كان هذا المبلغ هو ثمن الأوراق الرسمية التي فصَّلتها للطفل ؛وِفقاً لهواها...

و في أحد ليالِ الصيف لطيفة النسمات اختفى الصبي في الخارج لمدة ساعات، عانت نينا خلالها القلق الشديد و لكنها مطلقاً لم تعاني اليأس من رجوعه؛ كأنهما قد قطعا وعداً لا يُخْلَف بألا يفترقا، بعدها حضر الصبي و معه صندوق خشبي بحجم ماعز و مجرفة ما إن رأت نينا الأشياء حتى تأكَّدت من مآرب الصبي ،و بعدها ركبا السيارة دون أن يتحدَّثا عن الأمر،

فقط أخبرها الصبي عن العنوان و سجله على تطبيق الخرائط في هاتفه و صارا يتبعانه ،وصلا إلى قبر أيمن عند منتصف الليل و بقيا لمدة ينتظرا حتى ترحل أم الشهيدين...

كانت امرأة نحيفة و قصيرة و ذات عروق بارزة و عينين غائرتين ،كانت تفترش الأرض أمام قبر وحيد يحمل ثلاثة أسماء اسم للأب وولديه و ما إن رحلت ،و بقت نينا وحيدة مع الطفل صار الطفل يعض شفته السفلى متضايقاً و قال(كيف ستميزين عظام أيمن من بين ثلاثة أجساد)قالت نينا(جسدين فقط!، أخبرني أيمن أن أمجد تناثر جسده كمسحوق في انفجار ارهابي)

(مهلاً!و لم يكتبون اسمه على شاهد القبر)

(تحتاج الأم إلى مكان لتجد فيه طفلها،لابد إنه يحلُّ هنا، حتى لو كان جسده مسحوقاً في مكان آخر...مهلاً لا أصدق.. انت تسألني كيف أُميز عظام أيمن عن أبيه)ضحك الطفل و هو يهز رأسه ووضعا المجرفة جانباً؛ فلم يكونا بحاجة إليها؛ إذ كان القبر بناء اسمنتي مُغلَق بعددٍ من قوالب الطوب الأحمر، فتحت نينا القوالب و تكسَّرَت أظافرها على شاهد القبر و (علي) يضيء لها بالهاتف،بعدها أدخلت رأسها من الفتحة فوجدت عظماً مُرَتَّباً على هيئةِ انساناً مسجي و عظماً آخر مُكَوَّمَاً على الجانب عندها عرفت نينا أن عظم أيمن هو المسجي و رأته بأكمله يبتسم لها بشفتيه الباهتتين و عينيه السوداوتين، كان يغني أغنية لا تعرفها مطلقاً تذوب في كلماتها رائحة عطره التي تملأ المكان، كانت نينا ساهمة و رأسها بداخل فتحة القبر الضيقة و (علي)ينكزها من الخلف(نينا! اسرعي قبل أن يلتقطنا الحارس أسرعي !)

بعدها أفاقت نينا و شدت العظم بأكمله إلى داخل الحاوية البلاستيكية ،التي اختارتها بدلاً من الصندوق ،بعدها عادا إلى المنزل و رصَّت العظام كما رأتها في القبر تماماً، قال (علي) بخيبةِ أمل(كلفنا الصندوق و المجرفة مبلغاً ...لو كنت أعرف)

(كان أيمن ليتضايق من ثني قدميه في الأماكن الضيقة)

و بعدها حضر أيمن كاملاً و صارت نينا تقضي نصف يومها في عالم أيمن و النصف الآخر في

عالمها تنتظر أن تحل في عالم أيمن ...

عاشت نينا مع الصبي سنوات و لم يفترقا أبداً طوال تلك السنوات، اختفى الظل تماماً و رحل دون أن يستمع شكر نينا له ،و الغرباء لازالوا يتصرفوا بغرابةِ يبالغون فيها يوماً تلو الآخر و لكن مع تلك الغرابة كانت نينا تتقبَّلَهم كلياً رغم إنها لم تُبدِ الأمر علانية ؛كانت تسبهم علناً و تكن لهم مشاعر ألفة غريبة و مجهولة تحثها على أن تتمسك بهم، بل و تبحث عنهم إن غابوا؛ ربما أعجب نينا أن يصبح بيتها مأهولاً عن هذا البيت الفارغ الموحش الذي دخلته في سنتها الأولى بمصر؛ الآن تعيش هي و أيمن و(علي) و الغرباء رغم إنهم كانوا يتجاهلون أيمن كلياً و يتجاهلهم أيمن لسبب تجهله نينا و لا تسعى ورائه ...

و مع مرور الأيام وجدت نينا عمل كمترجمة عبر الانترنت،و أصبح خروجها من منزل محدود بعددِ مراتٍ سنوياً؛ مرة لشراء الكتب للصبي و مرة للامتحانات و مرة ؛ لتقبض راتبها و لشراء لوازمها التي حاولا قدر الإمكان الإقلال منها، و لم يكن قضاء نينا و احتمالها لتلك السنوات دون أن تنتحر بسبب عشقها للحياة أو قدرتها على المتابعة دون أيمن و إنما كان بسبب تحذير أيمن اليومي لها (لايمكنكِ أن تأتِ إليّ وقتما رغبتي،إن فعلتيها لن نجتمع أبداً) كان يخبرها يومياً(لا تكوني السبب الذي يجعلني أراكِ ميتة)

ترد عليه(أولست ميت يا أيمن أي شيء كان أكثر قسوة من أن أرى قلبك ينتفخ بجسد امرأة يحيها و أنا أحتضر)

بقيَتْ على هذا الحال، تتصبَّر بحضور أيمن و أعضائه الحية التي كانت تتحرَّك في جسده الشفاف أمامها و لابد أن حضور أيمن على أية هيئة كان كفيلاً أن يجعل القدر و الحياة و الوجود بأكمله يبتسم لنينا ،كانت هي و (علي)يقضيان أيام رائعة مُنقَطِعَة تماماً عن العالم أكملا تجهيز المنزل و كانا يزرعا الخضر و الفاكهة في حديقة المنزل، يستمعان للموسيقى و يصنعاها، و يشاهدا الأفلام العالمية، و يقرأا الكتب و الروايات كانت نينا تشتري ل(علي) كل ما يخطر بباله و كان أول هدية تهديها له مقراب للنجوم؛ ربما كانت تود أن يُبقي نظرهُ للأعلى؛ فأن

ينشغل بين النجوم أفضل له من أن يتعلَّق بشيءٍ حقير مُهمَل من بقاياها...
و في أحد الأيام المعدودة التي فيها خرجا للتسوق، كان هناك حدثاً غريباً في المركز التجاري ، دخلا من باب المركز التجاري فوجدا زحاماً شديداً يشبه يوم الحشر نظر إليها (علي) و نظرت إليه في نفس الوقت و ابتسما ابتسامة ماكرة و هتفا في نفس الوقت(الحلم يتحقّق) و انطلقا ركضاً ؛ليجمعا من المركز ما يستطيعا جمعه في السطو الجماعي، كانت الناس تنتزع البضائع ؛تفتح الأكياس، تقضم الطعام و ترمي و تحمل أكثره معها ،و الأجهزة الكهربائية مُحَمَّلَة على الأعناق، و الأطعمة مسحوقة في الأرض، أمسكت نينا ب(علي) بقوة و هو أمسك بها و الناس تتخبَّط بينهما و يندهس قدماهما الصغيرين تحت أقدام فحول السطو، كانا يحاولا تجميع قدرما يستطيعا هما الآخريين، كانت الناس كالوحوش الضارية ؛أفواههم مفتوحة لا تُميَّز منها سوى كلمة(ثورة) و أعينهم ثابتة لا ترمش، و أيديهم مُنْبَسِطَة و أرجلهم ثابتة ،يصيحون بأصواتٍ غير مفهومةٍ للبشر و أعينهم تلمع بابتسامةِ جشع،جمعت نينا و علي ما قدرا على حمله بمساعدة شاب أراد مجاملتهما و رحلا مسرعين على نصيحته بأن يغنما بسيارتهم قبل أن يغنم بها أحد آخر، وصلا إلى المنزل و هما يضحكان،لايدريان أين النجدة و الشرطة و مالذي حدث في العالم و هما غائبين عنه؛ ليجعل من السهولة السطو الجماعي على مركز تجاري ضخم؟، فرشت نينا و علي الغنائم و صارا يفرزاها ،غنما أطعمة بكمياتٍ أكفتهم الخروج لفترة هائلة و غنم علي هاتفين نقالين و قارب هوائي و ملابس أطفال و مستحضرات تجميل و أدوات مطبخية،و طعام قطط و حقائب ظهر و ساعة حائط، قضيا ليلتهما يضحكان و يرويان المواقف و بالنهاية أشعلا شمعة غنماها من السطو؛ لتغفر لهما خطيئة السرقة ؛ليُسكِتَا الشعور بالذنب ،و لكن أي ذنب إن كان الجميع يأخذ حتى إن الشاب الذي ساعد نينا ،كان يعمل في هذا المركز في الأساس و حتى كان يرتدي زي العمل الرسمي أثناء السطو، كانت تلك الغنيمة كافية لإبقائهما مدة طويلة دون حتى أن يقوما بفتح باب منزلها و في الحقيقة حتى إن أصلاً انفتح الباب فلن يكن هناك بأساً؛ إذ أن أفكارهما لا تخرج من أدمغة بعضهما الاتي أغلقاها عن

إدخال أية فكرة من أية شخص سواهما، حتى لم يحاولا اكتشاف من الذي تسلَّل إلى البيت المجاور الذي قضى فيه (علي) جزءاً من طفولته مع سائق الشاحنة،لاحظا أن في البيت حركة غريبة، و كم من مرة وجدا شباباً يتسلَّلون إلى البيت مُحَمَّلين بحقائبِ ظهرٍ و جميعهن مطلقين لحاهم، في باديء الأمر ظنت نينا إن الظل قد عاد على طريقةٍ جديدة و لكن ما أكد لها إنه ليس الظل هو أن (علي) قد شاهدهم أيضاً،كانت نينا تلمح واحداً منهم تحديداً يراقبها هي و علي و كان علي كلما لاحظ إنه يراقبها في الحديقة كان يمسك بيدِ نينا و يرقصا، ظلا على تلك الحال مدة طويلة دون أن يقررا أن يذهبا و يكتشفا حتى من بالبيت...

و كان علي يذهب لأداء الاختبارات و نينا في انتظاره خارج الحجرة تتساءل هل يجب أن تدعو له بالتوفيق أم التعسُّر؛فإن تفوق سيمر الزمن سريعاً و إن تعسر سيشعر بالإحباط ،و كانت نفس الأفكار تمر ببال علي هل يجب عليه التفوق و عندها سيتوجب عليه سريعاً تركها بأية شكل أم التعسر و إصابة جهودها معه بالخيبة و على أية حال بالنسبة لكليهما فأن يُكَلَّل مجهود المرء بنجاح حتما شيء سعيد...

ظلا على تلك الحال حتى يوماً ما وصلها بريد من اسبانيا يُعلِمُها بوفاة والدها و كانت نينا على أهبة الاستعداد في أية لحظة لخبر كهذا أو مشابه له و لذا كانت قد استخرجت للشاب الصغير جواز سفر باستخدام بعض التسهيلات ،و رحلا معاً إلى اسبانيا و هناك كانت جدتها قد أصبحت قعيدة تماماً و بالكاد عرفت نينا ،و كانت تحرِّك عربتها أخت نينا الجديدة (ماتيلدا) التي فقط قابلتها نينا الآن...

كانت (ماتيلدا) تبكي بحرقةٍ و هي تجلس إلى جوار انغريد و يتهافت المعزيين على التخفيف من وطأ مصيبتهما و نينا واقفة إلى جوار(علي) تبحث بعينيها عن خالتها التي عرفت فيم بعد إنها استقرت في فيننا، انقضت ساعات و نينا واقفة إلى جوار(علي) تشاهد المعزيين و هم يتخطونها ؛ليصلوا إلى انغريد و ماتيلدا و (علي) ينظر حوله يتأمل في نوعية تلك الحياة الغريبة ،يحاول تطبيق دورس تعليم الاسبانية التي لقنته بها نينا ،و أخيراً قابلت نينا ألفارو كان وحيداً

ربما تخلَّت عنه عازفة التشيللو أو هو الذي تخلّى عنها و لكن من الواضح أن أصابعه الموشومة بحروف نينا كانت حرة من أية امرأة أخرى ، كان ألفارو يحدِّق النظر بها هي و الشاب معها رغم إنه يصغرها بنحو عشرين عاماً إلا أن فرق السن لم يبد جلياً عليهما للحد الذي دعى ألفارو لأن ينظر إليهما بحقدٍ شديد، و كان ألفارو على عادته من الجنون و غرابة الأطوار؛ فكما بقي سنوات يخفي يخفي أراد في لحظة أن يكشف كل ما خفي و لكن بطريقته هو التي تحيِّرها هي و تغذَّي غرابته و متعته بإذلالها و جرَّها خلفه تتوسَّل الإجابات،فقال(يبد إنكِ وجدتِ طفلكِ أخيراً يا نينا)

و كانت الجملة كصاعقة ضربت صدر نينا (لم يكن لدي طفل أبداً يا ألفارو...بسببك!)

ضحك ألفارو و تظاهر إنه يحاول إخفاء الأمر؛ ليزيد من حيرتها و لكن نينا كانت كعادتها تدحض كل خطط ألفارو فنظرت إليه بغيظٍ و قالت(انت فظيع!)فقال ألفارو كأنه لم يستمع لإتهامات نينا(كان ابنكِ ليصبح بنفس عمر هذا الشاب) مُشِيراً إلى (علي) و كانت نينا قد تعلَّمَت درساً مفيداً من الغرباء و تحديداً ممدوح حينما كان يبكي و يلوم نينا على نسيانها حتى لحادثة اغتصابه لها فأن تتجاهل أشد الأذى من شخص يعني إنه قد مات في عالمك أو إنك تعلن إلغاء وجوده في الأساس، و على هذ النمط تصرَّفَت مع ألفارو ،تجاهلت إنه كان السبب فيم حدث لها من الأساس و ربما بالاتفاق مع الفاسقة انغريد التي أدخلتها بنفسها إلى حياتهم و طفق ألفارو يعد على أصابعه و هو يبتسم (هممم حسناً ربما ليس في عمر ابنك لو كان في عمره لما استطاع أن يخرج من بلده بلا وصي أم إنك تزوجت من رجل في عمر أبيكِ)

(ألفارو لا أود أن أكن سخيفة،و لكن إسرافك في الغش في انفعالاتك يجعل منها انفعالات سخيفة و مبتذلة،يبدو إنك لم تقضِ وقتاً كافياً في الدراسة في جامعتك،هل للدكتور(دومنغيز)علاقة بالأمر) لان ألفارو و أظهر تعبيراته جليَّة فاحمر وجهه و خفض صوته و قال مُحَاوِلاً استلانتها كأنه قد عاد إلى نفسه الذليلة ؛لاسترجاعها(نينا لم تتصرفين معي كعدو لكِ، لقد أنقذت حياتكِ) نظرت إليه بلا تأثُّر فجذب معصمها و قال(لم لاتتذكرين إننا كنا

عاشقين،لم لاتتذكرين أول يوم تقابلنا،كنتِ تقفزين عبر سور المدرسة لحضور حفلتي و أنا كنت ألتقطتك،كل أغانيي إليكِ،سأخبركِ بكل شيء)نظر(علي) إلى ألفارو بغيظٍ و جذب يد نينا بقوة لينتزعها من ألفارو قائلاً(أنا خطيبها لا أحب أن تتحدث إليها،خصوصاً أن الوقت ليس مناسباً ألا تستطيع اختيار الأوقات؟) و أمسك نينا من يديها بقوة بعيداً عن ألفارو..

قضيا عدة أيام في منزلها في اسبانيا و و لم تكن غربة نينا أقل من غربة(علي) في هذا البلد الذي أصبح غريباً على كليهما بكل ما تحويه كلمة غربة من معانٍ فرجعا إلى بلدهما الأخرى التي لم تكن بأقل غربة بالنسبة إليهما من اسبانيا رجعا إلى مصر بناء على رغبة (علي) الذي لم يشعر بالارتياح لانغريد و لا ابنتها ماتيلدا و في طريقهما إلى مصر كان (علي) يتحدث عن هؤلاء القوم الذين رآهم ،يحاول التخفيف من فجعة نينا على والدها و جدتها التي على ما يبدو أنها فقدت الذاكرة، كان يسخر من الجميع بطرافةٍ و يصف انغريد و ابنتها ماتيلدا بالحثالة و يصف كيف كان يفهم ما يقولون عنه كانوا ينعتونه بالعربي كأنها سبة و كانت نينا تنعت نفسها بالغبية التي زجت بانغريد في حياتهم رغم عن تحذيرات الجميع ،رغم إن انغريد لم يظهر عليها شيئاً مغايراً لما كانت طبيعتها من قبل ،و في نهاية الكلام قالت(على كلٍ سنعود إلى بلادنا و لتحترق انغريد بنيران ماتيلدا و ألفارو و الجميع)

فقاطعها علي(هل انتِ غبية نعم تحترق و لكن بالتأكيد لن نترك لها أموال والدك و نتركها دون أن نزج بها خارج منزلنا في اسبانيا) ابتسمت نينا و نظرت إلى علي(رغم إننا لا نحتاج إلى أموال أو منازل و لكن أن تدفئنا نيران النقود المحروقة خير من أن تلمسها انغريد الغبية)

(ذكريني حينما نعود أن نحاول اكتشاف أمر المتسللين إلى منزل والدي) أومأت نينا بالموافقة و لم تستطع إخفاء علامات القلق البادية على وجهها فقال على(أنا لن أتركِ و أعيش في منزل بمفردي،سنطرد المتسللين فقط،إن ذهبنا سنكون سوياً و إن عدنا سنعود سوياً)

و منذ ذاك الحادث مع ألفارو كانت نينا تشعر بأن (علي) يكن لها مشاعر و لم تكن تمانع تلك المشاعر لسبب لا تعلمه و خصوصاً لملاحظتها إن أيمن كان راضياً عن تلك المشاعر مبتسم

الثغر على سيرة علي و مرتاح البال لوجوده معها ،و لم تكن خالية البال لتفكر أصلاً بهذا الأمر ؛إذ أن أمر طفلها الذي أخبرها ألفارو عنه لم يفارق خيالها ،تساءلت كيف يمكن لألفارو أن يكن بتلك الأنانية و تلك الفظاعة هو أخبرها في ذاك اليوم أن الطفل مات و لم يستطع الأطباء إنقاذه و عندما صدقت و استقامت حياتها عاد ليحيرها هذا الغبي و يذكرها ، ظلت أياماً بعد تلك الزيارة واجمة يلح عليها الحزن ،فرجح (علي) أن أمر طفلها أزعجها بشدة فجلس يسري عنها قال (الجميع لديه أسرار و بم إني عرفت سركِ سأخبركِ بسري،أبي لم يكن أبي و لم يكن لدي أم أبداً ؛هو التقطني من الشارع في نفس اليوم الذي اكتشف فيه خيانة زوجته ....،أراد أن نكمل حياتنا سوياً و لكنه رآني أقرأ مذكراته و عرفت كل شيء فقتل نفسه حتى لا يجيب عن الأسئلة)شعرت نينا بالشفقة الشديدة على(علي) الذي لا يعرف أباً و لا أم فزادت كآبتها و ليسري عنها صمم خطة التسلُّل إلى المنزل رغم إنه قانوناً منزله إلى إنهما فضلا التسلل؛ ليعرفا مالذي يخبئه القوم المتسللون في المنزل ،كان للبيت رائحة كبريت و منذ دخلا إلى المنزل همس (علي) في أذن نينا أن مراقبهما لازال يرقبهما في الأركان (فالنستمتع بإغاظته) وقفا يرقصا نفس الرقصة في بهو المنزل التي اعتاداها منذ سنوات و قال لها أحب مشاهدته ينتف شعرات ذقنه غيظاً بصوتٍ عالٍ (سيكون لنا منزلاً شتوياً و آخر صيفيا و لكني أتساءل أيهما سيكون صيفياً و أيهما شتوي)قالت نينا برقة(علي!انت تعرف،إننا لا نستطيع ترك منزلنا الأول)حك علي ذقنه الأمرد و قال(أعرف و لكن على الأقل لتتجولي فيه الآن و أريكِ كف قضيت طفولتي و نطرد هؤلاء المتسللين الحمقى من المنزل)تجولت نينا و علي بين الغرف توقَّف(علي) ينظر من نافذة غرفته إلى منزل نينا و قال(من تلك النافذة كنت أشاهد منزلكِ بأكمله رغم إن والدي قد طلى زجاجها تماماً ،فوقفت إلى جانبه تتأمل منزلها من بين خربشات طفولية في طلاء أخضر معتم للزجاج، تابع علي(من هنا رأيت العفاريت و هي تلهو في مياه النيل، كانت أيديهم رخوة و أعينهم مُحَاطة بالأزرق القاتم)و أثناء حديثهما تذكرت نينا إنها تركت النافذة الموازية لتلك النافذة مفتوحة على مصرعيها فأسرعت ركضاً هي و علي الذي انتزع

حقيبة سوداء كانت ملقاة تحت فراشه القديم و عادا ليؤمّنَا منزلهما ، بعد أن وصلا منزلهما أمسك (علي) بالحقيبة و هو ينظر إلى نينا و يقول(انظري ماذا وجدت تحت فراشي و أنا طفل) فقالت و عينيها دامعتين(علي!يغيظني محاولة ألفارو لإغاظتي و إثارة حيرتي،رغم إني أنكر ذلك،يغيظني إنه يملك حقاً شيئاً يغيظني)ثم تحدثت مُوجّهة كلامها إلى أيمن(تحمَّلت كل تلك الفترة دون أن أصرح بالسؤال عن مكان طفلي،لا يجب أن تعرف إنني أم سيئة إلى تلك الدرجة،أتساءل عن طفلي! ياللسخف! و لكنني أنهار، لا أستطيع المُوَاصلة في النكران) شعر علي بالذنب الشديد حيال نينا و شعر إنه السبب في إدخالها الآن تحديداً في نوبة الكآبة تلك التي حلَّت عليها بعدما اصطحبها إلى منزل طفولته و حكى لها عن تلك الطفولة فرمى الحقيبة جانباً؛ ليخفيها عن نظرها و و حاول تهدئتها و أقنعها بأن يخرجا معاً و اختار لها بنفسه فستاناً مُزيَّن بفراشاتٍ زرقاء يشبه إلى حد كبير ذاك الفستان الذي كانت ترتديه في عرسها مع أيمن و أخفاه ألفارو عنها بمساعدة أهلها....

جلسا لتناول الشاي في أحد المقاهي على النيل، تحدق نينا نظرها فيه أصبح شاباً وسيماً حنوناً، شديد الذكاء يحصد أعلى الدرجات رغم إنه لم يزر من قبل مدرسة سوى بيوم الامتحان ،(لابد إنه سيلتحق بكلية مرموقة في السنة القادمة) أرعب هذا التفكير نينا ؛فالكليات لا يمكن دراستها من المنزل، بالإضافة إلا إنه عاجلاً أم آجلاً سيترك لها المنزل، ربما سيقع في الحب مع زميلته في الجامعة و ربما سعجبه نمط حياة أخرى لم يجربها و ربما تقنعه شابة ذكية بالزواج و لدى تلك المرحلة من التفكير انتفضت هلعاً فانسكب الشاي على فستانها و أحرقها فدفعت الطاولة و كان يبرز منها مسمار خدش(علي) في ذراعه المُلّوَّنة فتدفق منها الدم كالشلال و على الرغم من ذلك لم ينتبه (علي) سوى للسؤال إن كانت نينا بخير ،كان يتفقَّد فَزِعاً إن كان الشاي الساخن قد أحرقها، أما نينا فقامت فَزِعَة لرؤية الدم يتدفَّق من ذراع (علي) فقطعت قطعة من فستانها؛ لتُسكِت هذا التدفُّق و لم يكن (علي) مهتم بشيء قدر اهتمامه بتهدئة روع نينا ،كان يضحك و يقول(لا تقلقي ليس الأمر بجللٍ؛تلك الذراع الملونة!

تعرفين هذه عادتها تُدَفِّق الدم مع أي خدشٍ صغير) و بعدما تمت السيطرة على الموقف مشيا عائدين إلى المنزل، سألته نينا عن سر ذراعهِ المُلوَّن فأجابها(أنا لست متأكد و لكن قرأت في مذكرات والدي إن ممرضة وضعتني على جانب الطريق فأخذني أبي فوراً و كان أبي فضولياً بشأني فسعى و نفذ الخطط؛ ليعرف سري، تركني أهلي في المشفى بعد ولادتي،أظن إنني كنت في عهدة تلك الممرضة التي فعلت أمراً خاطئاً فتسببت بتلوين ذراعي بهذا الشكل و لأنها ظنت إنني سأموت أو سيبتر ذراعي أسرعت و تخلَّصَت مني بوضعي على قارعة الطريق و أخبرت الجميع أن أهلي عادوا لأخذي هي كانت متأكدة بشكلٍ ما إنهم لن يعودوا لأخذي أبداً، أتساءل أي تعبير كان باد على وجه أهلي لرؤيتي أي شيء جعلهم يشمئزون مني بهذا القدر؟لم كنت مكروهاً لهذا الحد، الممرضة كانت تحاول قتلي حينما ومض ضوء سيارة أبي في عينيها،أنا أعرف يدور في خاطري تلك الذكري،تمثَّل كما لو أنني أستطعت الوعي حينها..)كانت نينا تنظر إليه و تحتضنه بعينيها فسألها(لم لاتتكلمين)

(أُفكِّر في كلام ألفارو ،كان ابني ليكون في نفس عمرك،لو كنت ربيتك حينها لكان...)

قاطع بحزم(هيه! أنا لست ابنك!)و تابع مازحاً(يمكنني أن أكون أي شيء صاحبك ،حبيبك زوجك لكن ليس ابنك)و بينما هما يتحدثا مرَّ إلى جوارهما شابان كانا واقفين منذ فترة إلى جوارهما،أخذا يتفحَّصَا النظر إلى ساقي نينا العاريتين ثم ألقيا بعض الكلمات البذيئة التي حرَّكَت الرجولة النائمة في الشاب الصغير فلقنها درساً، يومها تأكَّدت نينا أن الشاب الصغير يكن لها مشاعر حقيقية، و لم تكن نينا لتقدر على ممانعة مشاعره و كيف تمانع تلك المشاعر التي تظهر في نظراته (الحنينة)التي تطابق نظرات أيمن و هو المبرر الذي اتخذته نينا لمشاعرها تجاه الشاب الصغير بالإضافة إلى مبرر آخر و هي نظرة أيمن السعيدة كلما تحدثا عن علي كان يصمت مبتسماً راضياً على عكس وجومه كلما ذكرت له الغرباء، حتى إنها سمحت لعلي له أن ينام إلى جوارها في نفس السرير؛ لتحكي له كل يوم حكاية بطلتها الذبابة الفاتنة ،سمحت له أن يشاركها هي و أعضاء أيمن و بقايا عظامه الغرفة و في أحد الأيام بينما كان علي نائماً سمعت صوت

خشخة في الأسفل و رأت الرجل ذو اللحية يقفز كالظل في حديقة منزلها كانت تعرف إنه جاء يسترجع الحقيبة التي أخذها علي ذاك اليوم ،فتحت الباب فظهر في مواجهتها تماماً و تحدَّث بسرعة (جئت لأنذرك ببطلانِ و فجور ما تفعلا،ان كنتِ والدته فلايحق لكما أن تفعلا ما تفعلا معاً،حرام و إن لم تكوني والدته فحرام أيضاً)ضيقت نينا عينيها و قالت(أيها السافل المتلصص،تلك الحقيبة كانت في منزل علي،لا حق لك في أن تطلب شيء كهذا)

(إنها مواد خطرة،لا يمكنكِ الاحتفاظ بها،نصنعها لننل الحرية...لا تقولي إنكِ ضد الثورة و الحرية)

(تسألني عن الحرية و تحتل منزل (علي) و تريد تنظيم حياتي بداخل منزلي و تنتقد تصرفاتي!)تحدثت باستهزاء،كانت نينا لا تعرف ما يجري بالبلد تلك الأيام و لم تكن تطمع بالمعرفة، رفضت رفضاً باتاً أن تفرط في الحقيبة أو حتى أن تفكر في إيقاظ علي المتعمق في النوم،فشرعت بالدخول، فرفع الرجل صوته(جماعتي لن تسمح بالمنكر الذي يحدث بينكما!) زفرت نينا بلامبالاة و دخلت المنزل، و لابد أن الرجل قد شعر من لا مبالاتها إن لديها ما يجعلها لا تعبأ بأي تهديد، نست ما حدث تماماً و عاشت هي و على حتى جاء اليوم الذي ارتعبت منه نينا، أنهى الشاب ثانويته و حصد درجات تؤهله؛ للالتحاق بكلية الهندسة؛ فقد كان يعتقد أن (نينا) ستستسلم له فقط عندما يطابق أيمنها الذي حفظ سيرته ،كان عازماً على أن يصبح مهندساً رائعاً ؛ليحقق إلى (نينا) ما تتمناه ولم يكن يعلم أن وجوده إلى جوارها هو فقط ما تتمناه، حاولت نينا اقناعه بشتى السبل أن يبقى و ستحضر نصيبها من تركة أبيها بالدولارات ستكفيهم ماعاشوا و لكنها كانت تنتهي في التفكير إلى إنه من الأنانية أن تحرمه فرصة رؤية العالم رغم إنها مؤمنة إن العالم لا يستحق أن يُرَى و مع ذلك يجب عليه نيل الفرصة كالجميع ،قبل أن تجهز حقيبة علي مرت إلى جوار الغرباء لترى إن كانت الشماتة بادية في أعينهم فوجدتهم جميعاً نائمين عدا محمود شكري الذي كان ينظر إليها بصمتٍ فاستدارت راحلة فتحدث مخالفاً التوقعات(خطأ يا نينا! خطأ لا يمكن أن تألفي أخلاق الغرباء؛هم بالنهاية

غرباء، لا يمكن توقُّع مالذي سيبدر منهم،ربما عاصم يتصرَّف كطفلٍ محبوب و ربما ماهر جلف ،و ربما ممدوح يتصرف برقي، و ربما أنا أتحدث حديثاً مُطولاً أحكي لكِ فيه عن أنانية الذبابة الفاتنة،كانت الألوان جميعها تلمع على جناحيها و مع ذلك طمعت في الأكثر من جميعها،و كانت المخلوقات كلهن تنعكس في مرايا عينيها و رغم ذلك كان الطمع يدفعها للصراخ؛احتياجاً للأكثر،كانت لتقطف أزهار الربيع و تسحق بتلات الورود؛ باحثةً عن وردة لم تعرف عنها و جهلها هو الذي كان يدفعها للبحث،كانت المخلوقات كلها تتذلل تحت أقدامها الهلباء بالذهب الخالص و لذا كانت مستمرة و على أتم الاستعداد لأن تسحق كل ما في طريقها ؛لتصل إلى مبتغاها و لم تكن شريرة و لا خبيثة و إنما تلك أخلاقها و نواياها؛ فأن تجمع فيك كل الخصال و أن تجتمع فيك كل المخلوقات سيلتحم فيك الأضداد و تصبح مخلوقاً متعادلاً لا ميزة فيه،ستبحث بكل جمالك عن وردة عادية تملك خصلة من خصالكِ،ستبحث بكل موهبتكِ عن موهبة حقيرة تميز شيئاً لا يملك سواها،إنها مسكينة! أما عن المفتونين بها فهم آلهة الغباء؛يحرِّكهم الطمع عن التمتع بميزة الخصلة المميزة فيهم ليركضوا نحو شيء يحوى الكل فيذوبون بلا هدف فاتحين أنفسهم لنيل الكل الذي يضغط على صدورهم المفتوحة على أقصى اتساع لها فيفتتهم في الهواء إلى مسحوق تنفضه الذبابة من أمامها ليسقط على أقذر البقاع بلا شفقة،فالذبابة جمعت الشفقة كلها في كيسها ليستخدمها لخدمتها المتتبعين فقط،أما هي فتبقى دائماً مسكينة!) استيقظ الشيخ يحيى و قال(لا أحد يعبث مع ذبابة إن تسلبه شيئاً لا يستنقذه منه و أنثى و فاتنة كيدها عظيم ! و لكن تبقى هي مسكينة) ردد ماهر كلمة مسكينة و قال (لا شأن لنا) فخفض محمود شكري رأسه ثانياً ليعود إلى سكونه و أخذت العيون تتفتَّح تلو الأخرى فعرفت نينا إن حفلة ستبدأ الآن و ستكون حفلة مُطَوَّلَة و لذا عليها أن تقطعها من البداية؛لتغتنم من علي أطول وقت قبل رحيله الذي لن تسمح به أصلاً، جهَّزَت (نينا) حقيبة (علي) التي حملت من دموعها ما يفوق الأغراض المصحوبة و اتفق معها أن توقظه؛ ليرحل مع نسمات الفجر، نامت إلى جواره فاحتضنها بقوةٍ كان علي قد فاقها طولاً فالتصقت رأسها أسفل

صدره يصنع نبضه نغمة لحكايات أيمن في رأسها ،كان لدى أيمن الكثير من الحكايات و الكلمات لنينا التي ظلت محبوسة معه في حلم طويل يحكي لها أيمن للمرة الأولى عن (علي) الذي خدر نائماً قابضاً عليها رافعاً ذقنه فوق شعرها الذهبي؛ ليخفى دموعه و تتحجر في مقلتيه المقهورتين ...

أيقظها باسماً بشفتين ورديتين باهتتين وشعر ناعم ينسدل على عينيه،أحكمت ضمتها التي ارتخت خلال نومهما إلى صدرها ثانية في ضمة طويلة أذابت قواه و عرقلت خططه القادمة و نهضت من الفراش و هو يبكي عجزه عن فراقها و عدمه و لكنها في تلك اللحظة كانت قد اتخذت قرارها بألا يفترقا ثلاثتهما، و شاهد المارة منزلهم و هو يضوي مُنفجِراً؛ لتتفتت أجسادهم و تضمها النيران؛ لتوحدها أخيراً...

النهاية....